



من المسرح العالمي

العددان

٢٨٦ - ٢٨٧

١- العقد

٢- عمدة حي سانيتا

تأليف : ادواردو دي فيليبو

ترجمة وتقديم : د. سلامة محمد سليمان

مراجعة : د. كليسا تشركوا

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يناير ١٩٩٧

العددان

٢٨٦ - ٢٨٧

(مارس/ أبريل ١٩٩٥)



من المسرح العالمي

١- العقد

٢- عمدة حي سانيتا

تأليف : ادواردو دي فيليبو

ترجمة وتقديم : د. سلامة محمد سليمان

مراجعة : د. كليسا تشركوا

سلسلة شهرية تصدر عن

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

المشرف العام:

د. سليمان العسكري

أمين عام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

مستشار التحرير:

د. محمد مبارك بلال

مديرة التحرير:

وسمية الولايتي

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب ٢٣٩٩٦ - الصفاة . الكويت 13100

المقصد

تأليف : ادواردو دي فيليبو

ترجمة وتقديم : د. سلامة محمد سليمان

مراجعة : د. كليلا تشرکوا

العنوان الأصلي للمسرحية

Il Contratto

مقدمة

يطرح ادواردو دي فيليبو في مسرحية «العقد» قضية من قضايا المتعددة تضاف إلى القضايا التي سبق أن طرحها في أعماله التي نشرها في سلسلة من المسرح العالمي . . . ومنها مسرحيات عائلي والأشباح وأصوات الأعماق ونابولي مليونيرة وغيرها من المسرحيات .

ويمكن القول إن القضايا التي يتطرق إليها المؤلف هي في مجملها قضايا اجتماعية وإنسانية وإن اختلفت الطرائق والزوايا التي يتناولها منها كأنها كلها مفردات في قاموس شامل أو حبات عقد يعمل على التأمها هويانا هويانا حتى تكتمل سلسلة الآراء والاقتناعات التي يبتغي استظهارها وإخراجها إلى النور.

والقضية المطروحة في هذه المسرحية تقوم على محورين أساسيين هما : محور المال والخداع ، ومحور الحب والموت ، والعلاقة في المحور الأول علاقة انتهازية تبادلية تقوم على شحذ الذهن ، وابتكار أساليب المكر ، والخداع في نهب الأموال والممتلكات ، وفي المحور الثاني يدفع الخوف من الموت والطمع في مضاعفة العمر إلى الارتباط بعلاقات عائلية موتورة تبدو في الظاهر قائمة على المحبة والتراحم وتنطوي في الباطن على المقت والبغض والأنانية ، والمحوران متداخلان ومرتبطان ببعضهما ، ويدوران في إطار النزعات البشرية والعلاقات الإنسانية والمتغيرات الاجتماعية ، وتغلب الحياة المادية على الحياة الوجدانية .

ومسرحية العقد تكتسب بعدا فنيا خاصا ، ومذاقا إبداعيا متميزا بفضل الحبكة الفنية الأصيلة التي صاغها فيها المؤلف ، وبفضل ما يتمتع به من قدرة

على تطوير أسلوب الحوار، وابتكار الحيل التقنية، وخلق جو من الغموض والفكاهة والجريسة والمفاجآت المذهلة.

ومن ناحية أخرى جعل المؤلف من الريف المكان الذي تجري فيه الأحداث الدرامية للمسرحية، والريف هو المكان الأمثل في هذه الحالة لتسليط الضوء على العناصر الأساسية المحركة لعجلة القضية، ولقد صور ادواردو جو الريف تصويراً فنياً صادقاً أبرز من خلاله الجوانب السلبية التي تعكس العادات والتقاليد المتوارثة، والتي تجسم المعتقدات الساذجة والشغف بالخرافات والسحر والشعوذة.

وقد انتقى المؤلف شخصيات المسرحية من نماذج ريفية أيضاً ليست هي في واقع الأمر إلا نماذج بشرية تعج بها كافة المجتمعات، وتطفو منها على السطح بصفة خاصة طائفة الأغنياء الجدد الذين أثروا ثراءً فاحشاً وكسبوا ثروات طائلة في زمن قصير مستخدمين أساليب أقلها مشروع وأكثرها غير مشروع، ثم تحولوا من بعد نحو السعي وراء الرفاهية والترفيه والجري وراء اللذات بشتى أنواعها وصنوفها دون الارتكاز على ثقافة ما، أو على قيم أخلاقية، أو اجتماعية، أو روحية تدعم مسيرتهم في الحياة.

وإذا تطرقنا بالحديث إلى جيرونتا سبترينو بطل المسرحية لوجدنا أنه شخصية شاذة، فريدة من نوعها. . فهو رجل يزعم أنه يبعث الموتى ويحييهم، أو بمعنى أدق يقوم بدور الوسيط بين الموتى وذويهم ليعيدهم إلى الحياة، وجيرونتا هذا لا يدعي لنفسه التمتع بقوى دينية خارقة أو قوى سحرية عجيبة تأتي بالمعجزات وتحقق المستحيل، وإنما يزعم أنه يؤلف بين القلوب ويجمع بينها بأواصر المحبة والمودة والإخلاص، وينسب إلى هذا سر «بعثه الموتى» إلى الحياة.

والدهش في الأمر أن جيرونتا لا يمارس عمله في الخفاء كالسحرة

والمشعوذين ، وإنما يقوم به في العلن وعلى رؤوس الأشهاد . . فالصحافة المحلية والقومية تكتبان عنه وعن معجزاته ، والشرطة تقوم بين الحين والحين بتفتيش بيته والتحقق من عدم قيامه بأعمال تقع تحت طائلة القانون كما أن المتعاملين معه يؤمنون بصدق صلاحه ويحيطونه بهالة من الاحترام والتقدير والإجلال ، أما هو فدائها واثق من قدراته ومستعد لمواجهة المتشككين والشاكين ، ويدعم موقفه بالأدلة الدامغة وهي تتمثل في صور كبيرة لأشخاص أحياهم بعد الموت ومذيلة بكلمات الشكر والعرفان والاعتراف له بمنحهم فرصة أخرى للحياة ، والصور كلها موقعة من أصحابها بخط أيديهم على أن أكبر دليل يراه الناس أمامهم على صدق قوله هو ازيدورو ، أخوه بالتبني ، الذي أحياه بعد الموت أمام حشد من الأصدقاء والجيران والمعارف في ظروف لا مجال فيها للغش والتحايل .

فهل هذه فعلا هي حقيقة جيرونتا؟

الواقع أن جيرونتا كان في مطلع حياته رجلا طيب الخلق حسن النوايا بشكل يدعو للعجب ، ورغم أنه لا يكاد يعرف القراءة والكتابة إلا أنه سليل أسرة عريقة ميسورة الحال ، وقد ورث عن أبيه ثروة طائلة كانت تتيح له حياة سهلة مترفة ، وكان حبه للناس واعتزازه بهم وثقته فيهم فيضا متدفقا لا يعوقه عائق فمد يده لهم وأحسن معاشرتهم ، ولكن لم تلبث الحياة أن كشفت له عن سذاجته وعن سيطرة الشرور والمطامع وتغلغلها في المحيطين به فأخوته سلبوه ميراثه وممتلكاته وابن أخيه سلبه زوجته ، وسلبه الاثنان معا ماتبقى له من مال ، وزوجته هذه كان قد انتشلها من غائلة الفقر والهوان ورفعها إلى مصاف السيدات المنعمات ، وأحاطها بأسباب الرعاية والمحبة ، وخرج من تجربته هذه بشعور مرير بالحنية والخسران فاهتزت ثقته واقتناعاته اهتزازا شديدا وعكف على إعادة النظر في دعائم حياته «وأدرك أنه في مجتمع مثل مجتمعنا إذا لم يلتهم

الإنسان غيره، فإن غيره سوف يلتهمه فالقيم الأخلاقية المزعومة تخفى وراءها الجشع والنفاق من أولها إلى آخرها، فأدرك مدى فداحة الثمن الذي دفعه، والورطة التي نالت منه فاشتعلت في صدره عوامل الحقد والغل وأضمر في نفسه الانتقام»(*) .

وفي الوقت الذي بقي فيه جيرونتا وحيدا منعزلا عن الناس يجتر آلامه وأحزانه ويتدبر أمره وقع له حادث غريب لم يكن ليخطر له على بال فذات يوم جاءه من ينعي له ازيدورو الإنسان الوفي الوحيد الذي بقي له في الدنيا فانطلق كالمجنون لا يصدق أن رفيق حياته قد مات، وحين رآه مسجى على فراش الموت وسط جمع غفير من الناس يبكونه ويترحمون عليه، استجمع كل قواه وبثها حسرتة وفجيعة وصرخ يناديه ويحثه على النهوض وعدم الاستسلام للموت . . فهب ازيدورو من فراشه ونهض وسط فرحة الناس وذهولهم أمام المعجزة التي وقعت على يدي جيرونتا!

وطبيعي أن في الأمر سوء فهم فليس من المعقول أن يُبعث ازيدورو حيا بصرخة حب أو صرخة ألم أو غيرهما، وإنما الحقيقة أنه كان يعاني من حالة إغماء أو غياب عن الوعي ولكن الخرافات المسيطرة على تفكير المحيطين به جعلتهم يتوهمون وقوع معجزة فنسبوا إليه القدرة على إحياء الموتى .

وكانت هذه الواقعة هي مفترق الطرق في حياته . فقد هبطت عليه هذه الذريعة من السماء ليتحول من رجل طيب إلى رجل خبيث يحركه المكر والدهاء، والرغبة في الثأر لنفسه، وتفتق ذهنه عن حيلة عجيبة تحقق له انتقامه، ويسترد ما نهب منه من أموال وممتلكات، وتقوم هذه الحيلة على الحصول على جانب كبير من التراكات التي يوصي بها أصحابها إلى ورثتهم بعد

* ماريو مينيوني، مسرح ادواردو دي فيليبيو، ترفيقي، روما ص ٢٦١ (بالإيطالية)

موتهم وذلك باستغلاله مظهره في الاستقامة وكرم الأخلاق الذي عهد فيه الناس . وتجدر الإشارة هنا إلى أن القانون الإيطالي ينص على أن التركة تقسم إلى ثلاثة أنصبة متساوية ، نصيبان منها مشروطان ولا يستطيع الموصي إلا أن يخصصها لمن حددهم القانون ، أما النصيب الثالث فهو نصيب حر غير مشروط ويستطيع الموصي أن يهبه لمن يشاء .

وهكذا أذاع جيرونتا بين الناس أن «بعث» ازيدورو للحياة تم بفضل دائرة المحبة التي انعقدت حوله لما كان يكنه له الناس من مشاعر حب صادقة ، ونتيجة لما يتمتع به من طيبة وأريحية وسخاء ، وأدخل في روعهم أن هذه حقيقة عامة يمكن أن تقع لهم كما وقعت لازيدورو، ولكن بشرط أن يغيروا ما بأنفسهم ، وأن يوقعوا معه عقدا أخلاقيا يتضمن الالتزامات التالية :

البند الأول : يلتزم السيد/ التزاما غير مشروط بالآتي :

أ- حب أسرته حبا صادقا .

ب- قطع أية علاقة عادية ، أو عاطفية بأية امرأة خلاف زوجته .

ج- أن يأوي أقاربه في بيته ، وأن يكفلهم بالود والترحاب حتى وإن اعتبرهم من قبل غير أهل لكرمه لارتكابهم آثاما في حقه ، أو تعديهم عليه ، وظلمهم له .

د- أن يراعي العدل في كتابة وصيته سواء بالنسبة لزوجته أو أبنائه ، وألا يغفل كل من سهر على خدمته من المحتاجين الذين تجاهلهم من قبل .

هـ- أن يخصص النسبة غير المشروطة في الوصية إلى الصهر ، أو القريب الذي قام بتحملة في حياته واعتبره متطفلا .

البند الثاني : يجب تسجيل الوصية وتسليم نسخة منها في ظرف مغلق إلى أفراد الأسرة ، ويكلفون بفضه عقب الوفاة مباشرة ، ويجب وضع ورقة في نفس

الظرف تضم تنبيها بالاتصال فورا بالصديق العزيز جيرونتا سبتزيو تليفون رقم: ٧٨١٦١٧.

البند الثالث: إذا تم تنفيذ الشروط الواردة في البندين السابقين بدقة وبالحرف الواحد يتعهد السيد/ جيرونتا بإحياء الميت بشرط أن يتم استدعاؤه في وقت لا يزيد عن خمس ساعات.

البند الرابع: لا تقدم أية أتعاب مهما كان نوعها أو طبيعتها للسيد جيرونتا سبتزيو مقابل وفائه بالتعهد المشار إليه في البند الثالث نظرا لأن ما يؤديه من خدمات لا يقدم إلا بالمجان ويعتبر السيد/ جيرونتا نفسه راضيا كل الرضا بعد أن يحصل على صورة تذكارية بسيطة تسجل الواقعة وتذيل بإهداء يتضمن العرفان بصنيعه(*) .

ولو ألقينا نظرة متأنية على هذا العقد وشروطه لتبينت لنا مجموعة من الحقائق. فالعقد في ظاهره يحض على الخير والتقوى، ويدعو إلى الصلاح والإصلاح، ولكنه في ذات الوقت ينطوي على خدعة محكمة التدبير استلهمها من إدراكه لطبائع البشر، ودخائل أنفسهم.

وفي هذا الصدد يمكن رصد عاملين يلفتان النظر: الأول منهما هو الخوف من الموت، والأمل في العيش حياة أخرى لمواصلة التمتع بالثراء والجاه. والثاني هو الإيمان بافتقاد المحبة بين الناس، وأن ما يبدو منها ليس إلا تظاهرا يخفي وراءه المصالح والمطامع والهوى «فأمام الموت نجد أناسا من أمثال نابليون بوتا يرجعون إلى الحق، ويسلكون طريق الخير فيتزوجون من أرملة مجرم عتيد ويتبنون أبناءه الذين لا يخذلون أباهم في شيء، ويأوون في بيوتهم ذوي قرى مجهولين يبحثون عن أسمائهم في دفاتر الفيش والتشبيه»(**).

* انظر المسرحية «الفصل الأول».

** أندريا بيزيكيا - دعوة إلى قراءة ادواردو، مورسيا، ميلانو ١٩٨٢، ص ١١٤ (بالإيطالية)

أما عن افتقاد المحبة بين الناس فيكفي الإشارة إلى مشهد أسرة جايتانو تروتشينا بعد وفاته لتتضح لنا حقيقة المحبة بين أفراد الأسرة . فما أن سجوه على فراش الموت حتى تبخرت كل القيم الإنسانية والأخلاقية ، وبدلاً من أن تبكيه زوجته وأبناؤه انطلقوا في سباق مع الزمن لتجريده من كل غال وثمان سواء كان يرتديه أو كان يحتفظ به في بيته ، ثم انكبوا على تناول العشاء يأكلون ويشربون بشهية مفتوحة ، ويخوضون في سيرته وينتقدون أوجه سلوكه في الحياة الصالح منها والطالح على السواء . وعندما لاحت لهم فرصة إعادته إلى الحياة «أبدوا تردددهم وطلبوا مهلة للتشاور، وعندما اتفقوا فيما بينهم بنوا اتفاقهم لا على رغبتهم في عودته إلى رحابهم ، وإنما على ما تحققه هذه العودة من مصالح ومنافع يحرصون عليها» .

ويقول أندريا بيزيكا «إن مشهد أفراد أسرة جايتانو الذين هبوا كالذئاب الجائعة لينهبوا كل ما يقع تحت أيديهم بينما الرجل لا يزال راقداً على فراش الموت لمشهد من أعظم المشاهد المسرحية ، سواء من حيث القدرة على فضح افتقاد الشاعر الإنسانية ، أو من حيث خلق جو كوميدي بارع الصنع»(*) .

وهذان العاملان هما الأساس الذي ينصب به جيرونتا شبাকে حول ضحاياه بناء على قواعد محسوبة ، كما يتضح ذلك من حوارهم مع الصحفي تشيكيونولا في الفصل الأول ، كأن تكون ميتهم مية طبيعية وليس بنزيف في المخ مثلاً ، أو بورم خبيث ، أو نتيجة لحادث مؤلم ، أو كأن يكونوا من غير المثقفين أو المتعلمين فهؤلاء على حد زعمه «متميزون في الحياة» ولن يفيدهم العيش حياة أخرى ، ولكن المهم أن يكونوا من الأثرياء المحدثين ممن لهم قريب ضال يضمونه إلى الأسرة ويعيش بينهم .

* المرجع السابق ص ١١٤ .

وهذا القريب بالذات هو محور نجاح خطة جيرونتا فهو دائما شخص
معدم أو رقيق الحال، فاشل أو منحرف، ممقوت من أهله، ولا يلقي إلا
الكراهية والبغضاء لاقتناعهم بأنه متطفل ودخيل عليهم خاصة بعد أن
يكشفوا أنه يحظى بالنصيب غير المشروط في الوصية .

فإذا كان أقرب الناس إلى الميت لا يحرصون على «إحيائه»، ويبدون الطمع
في أملاكه وأمواله فإن الآخرين ليسوا أفضل منهم حالا، ولا غرو أن يتطلع كل
منهم للاستحواذ على ما تطوله يداه .

فجاكومينو القريب الذي انتشله جايتانو من حياة الفقر والضياع وأغدق
عليه العطاء لم يدخر وسعا في الفوز بثلاث التركة الذي كتبه له، وسلك في
سبيل هذا كل الطرق المتيسرة من اللجوء إلى النيابة إلى التهديد برفع الأمر
للقضاء ومن محاولة رشوة جيرونتا أو التحالف معه إلى الفرار بالنقود خارج
بلاده .

والصراع التقليدي بين جاكومينو وكارميلوتشو الذي ينتهي عادة بالعزم
على قتل الغريم وحرمانه من نصيبه في التركة، أو لاستقطاع نصيب الأسد منها
هو في نهاية الأمر آلية من آليات حب المال والتكالب عليه، وإن كان من
الصعب أن تتفجر في الأحوال العادية فإنه من المؤكد أنها تتفجر ويتسع نطاقها
في الأحوال غير العادية كالتي يثيرها جيرونتا .

وطبيعي أن دائرة المحبة التي يطلب جيرونتا من أهل الميت عقدها حوله
لأداء مهمته المزعومة إن هي إلا اللمسة الأخيرة في تدبيره الماكر، ومادامت دائرة
المحبة لا تلتئم أبدا حوله فلا غبار على جيرونتا وعلى سلامة موقفه . فالذنب
ليس ذنبه وأهل الميت أنفسهم هم الذين يرضون له بالفناء الأبدي .

وبعد أن تتكشف كل الخيوط، وتظهر الحقيقة يلوح بوضوح أن كلمة

«البعث»، وإعادة الحياة، وما شابهها يدخلان هنا في باب اللعب بالألفاظ وتعلقان في واقع الأمر بالأقرباء الضالين الذين يستفيدون من النصيب غير المشروط في الوصية والذين يستدرجهم جيرونتا بعد الفراغ من حيلته إلى كتابتها على الصورة الكبيرة التي يعدها لهم مسبقا بحجة الاحتفاظ بها كذكرى لهذه المناسبة.

وإذا انتقلنا من دائرة جايتانو تروتشينا وعائلته إلى دائرة نابليون بوتو ومدعويه لتبين لنا بُعد آخر من أبعاد المسرحية من شأنه أن يحيل الموقف من الخاص إلى العام، ومن الفردي إلى الجماعي، ويكشف عن عدم اقتصار هذه المثالب على عائلة بعينها، وإنما على انتشارها كظاهرة في مجتمع بأكمله.

فلو نحينا جانبا الطرق التي حقق بها نابليون ثروته الطائلة، وهي واضحة كل الوضوح شأنها في ذلك شأن خوفه من الموت، وإلحاحه على جيرونتا لتوقيع العقد، وهو في هذا لا يختلف كثيرا عن جايتانو تروتشينا، وكذلك لو مررنا مرور الكرام على الحفل الذي أقامه بمناسبة زفافه، والذي أنفق عليه ببذخ شديد وسفه ملحوظ، توقفنا قليلا عند المدعوين لوجدنا أنهم جمع غفير من أهل البلدة يشمل شرائح من مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية من الأجراء إلى السماسرة ومن العمال إلى التجار إلخ. ويمثل هذا الحشد صورة بليغة للطمع والجشع وعدم القناعة، ويتجلى هذا في التهافت على الطعام والشراب وعلى التهامه واحتسائه بنهم يفوق الحدود، وعلى الإغراق في الملذات والشهوات. ويرى راؤل راديس في معرض حديثه عن هؤلاء الناس «أن البطل الحقيقي للمسرحية ليس جيرونتا سبتزيو، وإنما ذلك الحشد المشين من البشر الممثل في فئات متنوعة من الناس الذين يجمع بينهم جميعا الجشع والدناءة»(*) وعندما يرفع جيرونتا الكأس إيدانا بشرب النخب يعبر في تهكم لاذع عن الأوضاع المؤسفة للناس. ففي النهاية يمنح جميع الهدايا التي بعثرت تحت

* في فيورنتزا دي فرانكو - مسرح ادواردو، أونيفر سالي لاتيرسا، باري، ١٩٧٥ ص ٢٠٧.

قدميه إلى المدعوين فلا ينتظرون مجرد انتهاء النخب ، وإنما يندفعون للاستيلاء على كل شيء في شراهة منقطعة النظير.

وفي النهاية يفلح جيرونتا في بلوغ مأربه ، وفي الانتقام لنفسه ، ولا يكتفي فقط باسترداد أمواله وأملاكه المسلوبة ، وإنما ينهب كما يستطيع من أموال الآخرين ، كما يستعيد مكانته الكبيرة المتميزة في المجتمع ، ويحيطها بهالة ضخمة من الاحترام والإجلال تصل إلى درجة التقديس .

على أن جيرونتا ليس إلا مثلاً من أمثلة كثيرة ومتعددة يفرزها المجتمع ويصطدم بها من آن لآخر ، ولقد أتقن ادواردو دي فيليبو رسم صورته والجو المحيط به والألاعيب العجيبة التي يمارسها ، كما سعى إلى تعرية ما يختبيء تحت سطح العلاقات الإنسانية من ظواهر ، ومظاهر للفساد الأخلاقي .

ودون اللجوء إلى الحبكة البوليسية أخفى المؤلف الحقيقة حتى منتصف الفصل الثالث تقريباً ، وركز في المشهد الأخير على المعنى الذي أراد أن يؤكد في ثنايا المسرحية «المشهد الأخير يترجم ببراءة الرمز إلى صورة ، ويمحو بجوه السريالي الأشبه بجو الأحلام كل ماهو آلي وكل ماهو محسوب بدقة متناهية في تسلسل الأحداث وفي بناء المواقف وتتابعها ، وكل ما سرده المؤلف من قبل يتفجر بعنف في هذا المشهد في صورة اتهام شديد موجه ضد مجتمع يدنس الغش والنفاق والشراسة وضعف المشاعر الإنسانية»(*) ، ويسلط ادواردو دي فيليبو الضوء على هذه الحقيقة بإسْدال ستار النهاية على ذلك الحشد الكبير من المدعوين ، وهم ينكبون على انتزاع الليمون والبرتقال من السلال وكل منهم يكدس أمامه الدجاج والبط والديوك الرومية المحمرة والمشوية .

* ماريو منيوني ، مسرح ادواردو فيليبو ، ترفيقي ، روما ص ٢٦٦ (بالإيطالية) .

شخصيات المسرحية

ازيدورو

جیرونتا سبتزیو

مساعد الشرطة

جوفاني تشيكنيولا

المصور

نابليوني بوتا

سليفيا تورتشينا

جاكومينو تروتشينا

بالميرا تروتشينا

كارميلوتشو تروتشينا

مفتش الصحة

سلفاتوري كومو - وكيل النيابة

شرطيان

نونتزياتا

بريجيدا

لشانو

أنجليكا توزيلي

مادلينا ترينفو

رومينكو

فرانشيسكيللو

بسكوالي سالينس

«جمع من أهل البلدة والفلاحين والأجراء وأصحاب المحال والسماسة وعائلاتهم جميعا»

الفصل الأول

قاعة ضخمة في بيت ريفي من البيوت المنتشرة على طول الطريق المليء
بالتلال المفضي من ماسة لوبرنتسي إلى بوزيتانو.

منتصف الصيف والليل منعش ، وهواء البحر المفعم بعبر بساتين
الموالح النضرة المزدهرة المحيطة بالبيت يتسلل من النوافذ المفتوحة ، وينثر
مزيجا عليلا من روائحها حول المكان . قطعنا الأثاث الرئيسيتان هما دولاب
للأرشيف مشحون بملفات مرتبة بنظام دقيق ودولاب للبطاقات . باقي
قطع الأثاث غير متجانسة ، وإن كانت كلها مصنوعة من الأخشاب المتينة
غالية الثمن . مصباح كيروسين متنقل على المكتب ، وآخر يتدلى من
السقف .

الظلام يخيم على المكان في الخارج ، وانعكاس الأضواء يكشف كتلة
بساتين الموالح التي تنحدر من التل نحو البحر حيث تخفت بالتدريج
ألوان الأفق وحيويته .

عند رفع الستار تظهر القاعة خالية غارقة في صمت مطبق لا يتخلله إلا
نباح كلب بعيد ونباح كلب آخر أبعد بكثير يرد عليه . تسمع فجأة من الغرفة
المجاورة جلبة كراسي تنقلب ، أو تصطدم بقطع الأثاث والجدران ، تعترض
شخص أثناء جريه فيتخلص منها . يرتفع صدى حذاء ضخم في جميع أرجاء
البيت ، ثم يسمع لهث الرجل ، وأخيرا يرتفع صوته في رعب .

ازيدورو : (من الداخل) الرحمة أيتها العذراء! الغوث يا قديس
انطونيوا! أنا أخطأت ولكنني لم أتعمد الخطأ . غفرانك
يا ربي! غفرانك يا ربي! (يقتحم الغرفة لاهثا ويحتمي وراء
المكتب الذي يجد فيه مهربا . ازيدورو يبلغ من العمر
خمسين عاما ولكنه شاخ قبل الأوان . شاحب الوجه ،
زائغ البصر).

يظهر جيرونتا سبتزيو على عتبة الباب . رجل طويل
القامة نحيل الجسد يبلغ الخامسة والخمسين من العمر.

جيرونتا : دنيء! . . قدرا مغفل! . . حقا إنك لمغفل خائن!

ازيدورو : كلا .

جيرونتا : بل نعم .

ازيدورو : كلا!!!

جيرونتا : إذن أبله! اختر بينهما ولكنك لن تستطيع الاختيار لأنك
خائن وأبله معا وسيلتبس عليك الأمر . فها دمت خائنا
فلن تسلم بأنك أبله ومادمت أبله فلن تفهم أنك
خائن .

ازيدورو : أنا أحبك .

جيرونتا : اخرس! لقد ذهبت عند الحلاق أيها الحقير الدنيء
لتجدد سحتك . . نعم ذهبت ولم تضيع الوقت أملا في
أن يلتقطوا لك الصور وأن ترى وجهك الكالح في
صحف الغد. ماذا قلت لدون انطونيو القاضي؟
تكلم . .

ازيدورو : لا شيء .

جيرونتا : تعال هنا .

ازيدورو : جيرونتا . .

جيرونتا : قلت لك تعال هنا!

ازيدورو : (يلحق به متلعثما) جيرونتا . .

جيرونتا : اركع على قدميك!

ازيدورو : حاضر (يركع بين يدي جيرونتا)

جيرونتا : انظر جيدا في عيني .

ازيدورو : حاضر.

جيرونتا : إذا كان عليك أن تشكر الله على أنك جئت إلى الدنيا
لأول مرة، فيجب أن تشكرني أنا لأنك عدت إليها مرة
أخرى وأنت تستطيع أن تتكلم، وأن تتنفس وتمشي في
الطرقات .

ازيدورو : لا شك .

جيرونتا : وعليك أن تشكرني لأنك تستطيع النوم في الليل ، وتشعر
برطابة ملاءة السرير على جسدك ، وتنام في وداعة ،
وتستيقظ في الصباح على الجو المنعش في الربيع وعلى
الشمس في الصيف ، وأن تأكل المكرونة بالطماطم
الصابحة والبيض الطازج والفاصوليا وأن تحتسي النبيذ
الأبيض والأحمر وتشبع من كل الخيرات التي وهبتها لنا
الطبيعة .

ازيدورو : أشكرك . . أشكرك . .

جيرونتا : وإذا كان الله قد وهبك الحياة ثم انتزعها منك وأعدتها أنا
إليك فمن صاحب الفضل عليك بعد الله؟

ازيدورو : أنت . .

جيرونتا : قبل قدمي .

ازيدورو : حاضر (ينبطح على الأرض متعجلاً ويقبل قدمه) .

جيرونتا : القدمين! (ازيدورو يسرع بتقبيل القدم الأخرى) والآن
تكلم . أريد أن أعرف كل شيء . . هل أفرطت في
الكلام؟

ازيدورو : أنت تملكك الخوف ولكن الـ . .

جیرونتا : أجب عن سؤالي . . هل أفرطت في الكلام؟

ازیدورو : قليلا . . قليلا .

جیرونتا : ومن كان مع دون انطونیو القاضي؟

ازیدورو : لا أحد . لقد اعترض طريقي بالقرب من محل ألبان ماريا

جراتسيا وتحدثنا وحدنا فقط . كانت الساعة حوالي

السادسة والرابع وكنت في طريقي إلى البيت بينما كان هو

عائدا لتوه من البلدية . وكان قد عرف أن رجال الأمن

كالعادة عبارة عن مساعد شرطة وجندين وأنهم قادمون

لإجراء مزيد من التحقيقات والتحريات . ولما أخبرني

بهذا قلت له : أهذا معقول؟

أما زال هناك من يشكك في موقف جیرونتا سبتزيو؟

أهناك حاجة إلى مزيد من الأدلة والصحفيين؟

جیرونتا : لماذا . أهناك صحفيون مع رجال الأمن؟

ازیدورو : وماذا يهمك؟ أليس في وسعك أن تطويعهم؟ لقد جاء في

السنوات الثلاث الماضية الكثير منهم واستطعت أن

تطويعهم ببساطة ، فاطو أيضا من يأتي منهم اليوم . هل

يخيفك الصحفيون؟

جیرونتا : ما أسخفه من سؤال؟ أنا لا أخاف إلا الله ، فهل تظنني

أخاف من صحفي؟

ازيدورو : هذا هو رأيي . . وطبيعي أن الكلام ساقنا إلى حكايتي
فقال لي : لعلك كنت فاقد الوعي في تلك الساعة .

جيرونتا : وأنت بماذا أجبتة؟

ازيدورو : أجبتة بـ . .

جيرونتا : بأنك كنت تسمع صوت السيارات وعربات النقل . .
وأنك كنت تسمع بكاء الناس من حولك وكلامهم .

ازيدورو : وكنت أعني ما يقولون . .

جيرونتا : يا إلهي ! كيف تعني ما يقولون مادمت كنت ميتا عندما
لحقت بك؟

ازيدورو : كنت ميتا ولكنني كنت أعني كل شيء .

جيرونتا : اسكت يا أبله ! إنها ضجة وأصوات سمعتها في حياتك
الأولى ومازلت تسمعها في حياتك الثانية ولكنك تظن أنك
كنت تسمعها في تلك الساعة . أنت حيوان ومن المؤكد أن
تأتي الشرطة لتتحرى والصحفيون ليطلعوا ويتقصوا الأخبار
مادمت قلت بغائك المستحکم إنك كنت تسمع أصوات
السيارات وعربات النقل . لو كنت قد تأخرت عليك
نصف ساعة لكنت الآن مدفونا تحت التراب .

طرق على الباب الخارجي

- ازيدورو : البوليس ! (يجري نحو نافذة ويطل منها) من هناك؟
- مساعد الشرطة : (من الخارج) أين الكلاب يا ازيدورو؟
- ازيدورو : مربوطة (يتجه إلى جيرونتا) ماذا أفعل؟
- جيرونتا : دعهم يدخلون .
- ازيدورو : تفضلوا . الباب مفتوح وأنتم تعرفون الطريق .
- جيرونتا : الصول وحده .
- ازيدورو : كلا . . . إنهم خمسة .
- جيرونتا : الصول وشرطيان وصحفي . . فمن الشخص الخامس؟
- ازيدورو : لعله المصور .
- جيرونتا : افتح الباب .
- ازيدورو : هل أقول لهم إننا تربينا كأخوين شقيقين وأنتك أطعمتني وآويتني؟
- جيرونتا : قل الحقيقة .
- ازيدورو : الحقيقة التي لا شك فيها هي أنني سمعت أصوات عربات النقل ، والناس يكون من حولي .

جيرونتا : هذه حقيقتك أنت والتي لا تهم أحدا، أما الحقيقة العلمية فإنك لا تستطيع أن تفهم لأنك أبله، والجميع يعرفون هذا، ولست في حاجة للبرهنة عليه.. . افتح الباب.

(ازيدورو يخرج على حين يذهب جيرونتا ليجلس على مقعد وثير)

ازيدورو : (من الداخل) تفضلوا.

مساعد الشرطة : آسف لإزعاجكم.

ازيدورو : لا.. لا إزعاج على الإطلاق يا حضرة الصول. جيرونتا في انتظاركم.

مساعد الشرطة : (يدخل) مساء الخير.

جيرونتا : مساء النور.. أهلا وسهلا.

مساعد الشرطة : لا تؤاخذني، ولكن ماذا أقول لك.. . أحسبك قد اعتدت على هذا. إنها مجرد شكليات.

جيرونتا : (مبتسما في طيبة) شكليات أخرى؟ لا بأس.

مساعد الشرطة : معي صحفي جاء من روما على عجل.

جيرونتا : ومعه مصور. فليتفضلا.

مساعد الشرطة : الشرطيان اللذان صحباني سيبقيان في الخارج. لا داعي لحضورهما.

جيرونتا : ازيدورو! ادخل الصحافة.

ازيدورو : تفضلا.

(يدخل تشيكنيولا ووراءه مصور صحفي)

تشيكنيولا : شكرا.

مساعد الشرطة : إن الناس ياعزيزي جيرونتا تستيقظ في الصباح لا لتضع حلة الفاصوليا على النار لإطعام الأسرة وإنما لتدس أنفها في شؤون الآخرين وتغمر البلدية بالخطابات. . . وعندما تكون خطابات مجهولة لا نعيها اهتماما وغايته نحفظ بها فترة ثم نمزقها وينتهي الأمر. ولكن ما العمل إذا كانت خطابات موقعة وتحمل أسماء معينة؟

جيرونتا : ومن وقعها هذه المرة.

مساعد الشرطة : تذكر الخطيئة ولا يذكر الخاطيء. وماذا أقول لك؟ أنت رجل عرفت الحياة وتدرك الموقف. . . أنا موجود هنا والشرطيان بالخارج وأنت تحت تصرفنا. فلنقم بالتفتيش وإلا زعموا أن البلدية أهملت البلاغ.

جيرونتا : هاكم البيت . . فتشوه . . ولكن أنتم تعرفون مسبقا أنني رجل جاهل لا أعرف إلا القليل من القراءة والكتابة ولذا لن تجدوا كتابا أو ورقة مكتوبة . لقد حطمني الصحفيون يا حضرة الصول! الصحافة قضت على راحتني ولكن كما قلت أنت بحق إنني تعودت على هذا فقم بالتفتيش ومرحبا بك في بيتي .

مساعد الشرطة : كيف تقول هذا وأنا أعرف البيت شبرا شبرا . الإقرارات الموجودة في هذا الأرشيف فحصتها وأعدت فحصها أكثر من عشر مرات فأني تفتيش تريد أن أقوم به؟
(إنني جئت لزيارتك وللأسؤال عن صحتك ، وسوف أمكث معك عشر دقائق ثم انصرف)

جيرونتا : ازيدورو! هات زجاجتين من نبيذ العام الماضي .

ازيدورو : حالا (يخرج) .

جيرونتا : تفضل بالجلوس .

مساعد الشرطة : شكرا .

تشيكنيولا : لا أظن أنك تحب الصحفيين كثيرا .

جيرونتا : يا صديقي المحترم

- تشيكنيولا : اسمي جوفاني تشيكنيولا .
- جيرونتا : تشرفنا . . من أي صحيفة؟
- تشيكنيولا : أنا أعمل مراسلا لبعض المجلات الأدبية في الخارج وأكتب لعديد من الصحف في إيطاليا .
- جيرونتا : آه . . أنت لا تعرفني جيدا فأنا لا أشعر بالحقد نحو أي إنسان .
- مساعد الشرطة : إن جيرونتا سبتزيو -ولا أقول لحضوره- طيب القلب ومحظى باحترام الناس وحبهم . وفي رأيي أن هذا بالذات هو السبب في حسد أهل السوء وحقدهم عليه وسر ما يكتبونه من خطابات مجهولة ضده إلى البلدية . إنه مر بكثير من المضايقات والجميع يعرفون هذا .
- جيرونتا : ليست حياتي لغزا من الألغاز .
- ازيدورو : (عائدا) النبيذ . .
- جيرونتا : اجلس يا ازيدورو . . اجلس إلى جوارنا .
- مساعد الشرطة : في صحتكم .
- جيرونتا : في صحتك .
- تشيكنيولا : إنه لذيذ الطعم .

- جیرونتا : نحن نقوم بصنعه أنا وازیدورو ونابلیونی ناظر العزبة .
- ازیدورو : إننا لا نشتری شیئا من أحد .
- جیرونتا : الأرض کریمة مع من یزرعها .
- ازیدورو : ولدینا أرانب ودجاج ونربی الخنازیر .
- جیرونتا : والزیت نصنعه نحن أيضا . . زیت نقي خال من الحموضة . وسوف أرسل لك بعضا منه یاحضرة الصول .
- مساعدا الشرطة : أشکرك ولكن لاداعی للتعب .
- تشیکنیولا : إذا أذنت لی أرید أن أوجه إلیک بعض الأسئلة .
- جیرونتا : لا مانع .
- تشیکنیولا : هل لا یزال أبوک علی قید الحیاة؟
- جیرونتا : کلا . . مات منذ سنوات عديدة .
- تشیکنیولا : ماذا کان یعمل؟
- جیرونتا : عندما بلغ الثامنة عشر من عمره کان یملك أراض شاسعة تصل حدودها من بلدة مندراجونی إلى نهر سییکو ناحیة نابولی ، کما ورث من فرع العائلة الرئیسی مقاطعة دوقات رونشیلیونی وقلعة من القرن الثالث عشر فی منطقة فیتربو .

تشيكنيولا : مذهل ! ولم تحاول أبدا أن تتمتع بمثل هذا اللقب
النبيل؟

جيرونتا : اللقب كان من نصيب أخي الأكبر، أما عن أهميته ألم
أقل لك إن القلعة أقيمت في القرن الثالث عشر؟

تشيكنيولا : فعلا .

جيرونتا : إن ذلك الكرسي الضخم المذهب الذي تراه أمامك
(يشير إليه في أحد الأركان) وتلك العبادة المخملية
القديمة هي كل ما تبقى من القلعة العتيقة ومن عظمة
اللقب . كان أجدادي يجلسون عليه عند استقبالهم
للفلاحين ليساوموهم على سعر القمح ، وكان أبي هو
الآخر يفعل مثلهم ، فيجلس على العرش ويستقبل
المزارعين ويقول : كان هذا الموسم طيبا والمحصول وفيرا
فابتسم الحظ لكم يا أبنائي وأدار لي ظهره ، فادفعوا قيمة
الأجر والعوائد وسوف يتعين على سيدكم أن يربط
الأحزمة ليعول أسرته ويحفظ لها كرامتها ، وإني لأعهد
بنفسي إلى قلوبكم الكريمة لتساعدوني على دفع
العجلة ، وفي غمرة التأثر كان الفلاحون يشعرون بأنه من
الشرف أن يقدموا له أجرا أعلى وأكثر إنصافا يتناسب مع
قيمة مكاسبهم .

تشيكنيولا : وإذا جاء الموسم مضروبا .

جيرونتا : يربط أبي الأحزمة .

تشيكنيولا : مساومة مباشرة تقوم على أساس التفاهم الحر المتبادل .

جيرونتا : هذا صحيح . ولكن بعد أن انتهى التفاهم المتبادل مات أبي حزنا . فقد استطاع أن يتحمل قيام الفاشية والنقابات ومصادرة جانب كبير من أراضيه ، ولكنه لم يستطع تحمل انعدام الثقة .

تشيكنيولا : لقد قلت منذ قليل -إذا لم تخني الذاكرة- إنك لا تعرف إلا قليلا من القراءة والكتابة فكيف يحدث هذا مع مكانة أبيك الاجتماعية الكبيرة؟

جيرونتا : عندما كنت في المدرسة أعدت السنة الثالثة الابتدائية ثلاث مرات ولما كانت المعلمة تقول لي إنني كسول ومهمل كان ردي عليها أن الدراسة لا تهمني في شيء لأن أبي ثري ، وبعد موته وبما أني كنت سخيّا مع الجميع ولا هم لي إلا العطاء والعطاء . .

مساعد الشرطة : إنه كبير القلب .

جيرونتا : اجتمع إخوتي . . ثلاث نساء ورجلان وجميعهم أحياء يرزقون واتفقوا فيما بينهم على الحجر عليّ .

ازيدورو : هذا إجحاف شديد .

جیرونتا : أنت تعرف یا ازیدورو کم أحبك ولكني لا أسمع لك بأن تسیء إلى إخوتي . لقد كان الحق معهم ، وخیرا ما فعلوا ، فأنا أفرطت في الثقة بالأصدقاء الذين كانوا يعرضون عليّ مشروعات فاشلة واستثمارات مؤكدة الخسارة . ورب قائل يقول ولكن إخوتك استطاعوا أن يستثمروا رؤوس أموالهم وأن یقیموا المشروعات وأن يضاربوا وأصبحوا الآن من أصحاب المليارات .

حسن فليبارك لهم الرب ولكن لولا قیامهم بالحجر علي لما تبقى لي اليوم من ملك ، هو وإن كان لا یوفر لي حياة الملوك إلا أنه لا یحرمني من اللازم الضروري .

تشیکنیولا : ألسـت متزوجا؟

ازیدورو : هذا أيضا وتر حساس .

جیرونتا : تزوجت فتاة یتیمـة كانت تعمل في مغسلة دون موافقة إخوتي ، واسأل حضرة الصول وازیدورو كيف كانت تعيش في بيتي .

ازیدورو : كالملكة .

مساعد الشرطة : كانت تنفق النقود وتبعثرها هنا وهناك كالهوانم .

جیرونتا : وبعد شهر من الزواج وجدتها في الفراش مع ابن أخي الأكبر .

مساعد الشرطة : كان يجب أن تطردها من البيت فوراً ، ولكنك ضعفت أمامها .

جيرونتا : لم أضعف ولكني قلت في نفسي الإغراء إغراء فهو شاب وهي شابة مثله . . ولو أن ما بينهما كان علاقة قوية فإنهما سيذهبان لحالهما دون حاجة لأن أعكر صفوهما أو أطردهما . وهذا ما حدث فعلاً ، فبعد شهرين اكتشفت أن العلاقة بينهما علاقة جادة لأنها أفرغا ما في الخزانة وتركاني دون ليرة واحدة ولاذا بالفرار . ويقول بعض الناس إنها في أمريكا ويقول البعض الآخر إنها في استراليا . وقد مرت الآن عشر سنوات على ذلك اليوم ولم تصلني عنهما أية أخبار .

مساعد الشرطة : إنه قديس . . يمكنك أن تكتب في جميع الصحف أنه قديس .

جيرونتا : لا داعي للمغالة فأنا لم أعدم أبدا طبقاً من الشربة وكوبا من النبيذ .

مساعد الشرطة : هذا الرجل الذي تراه أمامك لو أراد أن يلتقط الكرة على الطائر ويستغل الموقف منذ ثلاث سنوات عندما وقع حادث ازيدورو لأصبح الآن مليارديرا . فقد جاء الناس يحجون إليه ويرتمون تحت أقدامه مبدئين استعدادهم لأن يدفعوا الغالي والنفيس من أجل عقد من العقود التي تراها هناك .

- تشيكنيولا : هل استطيع أن آخذ نسخة من هذا العقد؟
- جيرونتا : بالتأكيد فهناك نسخ مطبوعة .
- تشيكنيولا : وأخرى من نص الإقرارات .
- جيرونتا : الإقرارات مكتوبة على الآلة الكاتبة . ففي صباح كل يوم تأتي الأنسة وتكتب عددا منها يكفيني لمدة أسبوع (إلى ازيدورو) اعطني نسخة مطبوعة من العقد ونسخة من الإقرارات مكتوبة على الآلة الكاتبة .
- ازيدورو : حالا! (إلى تشيكنيولا) تفضل .
- تشيكنيولا : شكرا .
- جيرونتا : لقد نشرت الصحف من قبل نص الإقرار ونص العقد .
- تشيكنيولا : لا يهم . . فأنا أريدها لي (يشير إلى ازيدورو) أهذا هو ازيدورو صاحب الحادثة؟
- مساعد الشرطة : يجب أن يشكر جيرونتا فبفضله مازال ينعم بالحياة .
- جيرونتا : أنا وهو كالأخوين الشقيقين .
- ازيدورو : عندما كان صغيرا أصيب بمرض التيفود الخبيث . كان عمره يومها عشر أو إحدى عشر سنة فنذر المرحوم والده نذرا للسيدة العذراء أن يربي يتيها إذا نجى ابنه من

الموت . ونجى جيرونتا فابتسم الحظ لازيدورو سبوزيتو -
المائل أمامك - من بين اربعمئة وخمسين تعيسا كانوا
يعيشون في الملجأ . وبعد موت أبيه ظل جيرونتا الوحيد
من بين أفراد أسرته الذي أبقى على حبه لي فأطعمني
وكساني ورعاني وأعاد لي الحياة على وجه الأرض .

جیرونتا : بعد موت أبي وأمي أرسل إخوتي ازيدورو إلى ضيعة لهم
في الريف ليرعى مصالحهم ويشرف على المزارعين .

ازيدورو : وخلال هذه الفترة لم ينقطع جيرونتا عن زيارتي كما لم
انقطع أنا عن زيارته .

جیرونتا : كان عندي «كارثة» فكنت أقوم بين الحين والحين بزيارة
لسانتا أجتا .

تشيكنيولا : حيث وقع الحادث قبل ثلاث سنوات . .

ازيدورو : بالضبط .

جیرونتا : . جاءوا إلى هنا في ماسة لاستدعائي وقالوا : مات ازيدورو .
فركبت الكارثة وجريت إلى سانتا أجتا . وسانتا أجتا مصيف
يزدحم بالناس في الصيف . وحين وصلت كان الخبر قد سر
ى في البلدة كلها فوجدت البيت غاصا بالناس وازيدورو
مسجى في فراش الموت ومحاطاً بالورود والشموع الأربع
والناس من حوله يجهشون بالبكاء والطبيب يعد شهادة

الوفاة، فانطلقت صارخا فيه كوحش جريح يحركني كل الحب الذي اضممرته له منذ طفولتنا وكل الحزن الذي انتابني حين رأيته محاطا بالشموع الأربع : ماذا تفعل؟ جاءك أخوك جيرونتا سبتزيو أنت لست ميتا انهض! ففتح ازيدورو عينيه وتحرك لسانه فهاجت سانتا أجتا وماجت وراحت الصحف تتحدث عن معجزة . . وأنت تعرف الصحف وما تفعله . هذا هو سبب الوشائيات التي تحدث عنها حضرة الصول وتعرضني لقلّة الراحة والتحقيقات والشعبية والحقد والحسد .

تشيكنيولا : لا تؤاخذني ولكن بعد حادث سانتا أجتا المذهل الصاحب والذي اعتقد أنك أنت نفسك قد فوجئت به ، ألم تقع على يديك حوادث مشابهة أم أن قدرتك على تحقيق المعجزات - ولنسمها هكذا - قد توقفت عند هذا الحد؟

جيرونتا : لم يدر في خلدي أبدا أني أملك قدرة على تحقيق المعجزات . ولكنني اعتقد أن لدى قدرات يمكن أن تكون في متناول الجميع ، وليس لدي مانع من الخوض في هذا الموضوع إن شئت ولكنك تريد أن تعرف إن كان حادث سانتا أجتا قد تكرر أم لا؟ وردي عليك أنه نعم . . لقد تكرر حادث سانتا أجتا وأعدت الحياة لأناس كثيرين ولدي الأدلة على ذلك وسأطلعك عليها .

ازيدورو!

ازيدورو : السمع والطاعة . (ينهض ويتجه نحو حامل رسم يصف عليه صورا مكبرة بالأبيض والأسود تضم لقطات جانبية لرؤوس أشخاص مستلقين للخلف وغارقين في الضحك بملء أشداقهم كأنهم أشباح مروعة) .

جيرونتا : (في كل مرة يضع فيها ازيدورو صورة على الحامل يعلق عليها) هذا بعثته إلى الحياة منذ عامين وقد كتب الإهداء بيده فاقراً . .

تشيكنيولا : «أعدت الحياة إلى يا جيرونتا فشكرا لك» توقيع جوزيبي سافاريزي .

جيرونتا : واقراً هذا . .

تشيكنيولا : «أنت الذي بعثني حيا يا جيرونتا سبتيو» . توقيع بيبينو سانتاريللا . (يوصل القراءة) « . . انتصرت على الموت ! موتي يا جيرونتا العجيب» . توقيع سلفستري .

جيرونتا : وهذه سيدة ماتت في العام الماضي . اقراً .

تشيكنيولا : «عاش الموت إذا كانت العودة إلى الحياة ممكنة ، ولتسقط الحياة إذا لم يوقعنا الحظ في طريق جيرونتا سبتيو» . عظيم عظيم . . ولكن لا تؤاخذني يا سيد سبتيو فأنا واجبي أن أقوم بدور الشيطان ، فقل لي إذن من يعرف هؤلاء الناس ؟ ولماذا لا يظهرون على الملأ ؟ ولم لا يصرخون في الناس بالنعمة العجيبة التي أسعدهم الحظ ونالوها على يدك ؟

جيرونتا : أتعني أنك تريد نشر الصور؟ ليس هناك ما يمنع فهم أحياء يرزقون ولا يمكن أن يكذبوا .

مساعد الشرطة : لقد رأيت بنفسى شخصين أو ثلاثة ممن رأيت صورهم الآن وأكدوا لي أنه أعادهم جميعا إلى الحياة . ومن جانب آخر حققت معه النيابة وتحرت السلطات عن أولئك الناس ثم بعد كل هذا تجيء أنت لتقول . . . لقد أخبرتك من قبل أن جيرونتا سبيترىو لا يريد أن يتاجر بملكاته .

جيرونتا : لقد أعطيتك العقد المطبوع ويمكنك أن تلقي نظرة على الإقرار الذي يوقعه الذين يطلبون أن أعيدهم إلى الحياة .

تشيكنيولا : إننى أصغيت باهتمام شديد إلى كل ما ذكرته ولكن لا تؤاخذنى إذا قلت أنك تثير الشك والدهشة فى نفسى ، والمسألة ليست لعبة ، فأنت تقول مرة أنك لا تأتى بالمعجزات ومرة أخرى تؤكد أن عندك القدرة على إحياء الموتى ، فخبرنى إذن بماذا تحيهم ؟ بالعصا السحرية ؟

جيرونتا : بل بالحب والعمل الطيب والإشفاق على الناس لدرجة التخلي عن كل حق . عطاء . . . عطاء . . . عطاء . . . وتجرد من كل متاع دون خوف من أن يتمكن منك الفقر . . . وبحب الناس أجمعين دون تفرقة أو تمييز بين الأصدقاء والأعداء . عطاء وعطاء وعطاء فأنا لو طلب منى أحد دما لشققت قلبي وقلت له خذ .

- تشيكنيولا : (مذهولا) عظيم . . عظيم . .
- جيرونتا : ألم أقل لك إنه قديس؟!
- ازيدورو : اقرأ العقد لتقتنع .
- جيرونتا : اقرأ، اقرأ .
- تشيكنيولا : (يقرأ) «عقد أخلاقي . البند الأول : يلتزم السيد . .
التزاما غير مشروط بالآتي : أـ حب أسرته حبا صادقا
مخلصا .
- جيرونتا : أكمل .
- تشيكنيولا : بـ «قطع أية علاقة مادية عاطفية مع أية امرأة خلاف
زوجته» . طبعي إن توفرت النوايا الطيبة والأمل الخالص
في استرداد الحياة بعد الموت . لنرى ماذا أيضا . جـ - «أن
يأوي أقاربه في بيته وأن يكفلهم بالود والترحاب حتى
وإن اعتبرهم من قبل غير أهل لكرمه لارتكابهم آثاما في
حقه أو تعديهم عليه وظلمهم له» هذا الشرط الثالث
أصعب من سابقه .
- جيرونتا : ولكنه ضروري . اكمل .
- تشيكنيولا : (يوصل القراءة) دـ «أن يراعي العدل في كتابة وصيته
سواء بالنسبة لزوجته أو أبنائه وألا يغفل كل من سهر على

من المحتاجين الذين تجاهلهم من قبل». هـ - «أن
يخصص النسبة غير المشروطة في الوصية إلى الصهر أو
النسيب أو القريب الذي تحمله في حياته واعتبره
متطفلا. البند الثاني: «يجب تسجيل الوصية وتسليم
نسخة منها في ظرف مغلق إلى أفراد الأسرة ويكلفون بفضه
عقب الوفاة مباشرة. ويجب وضع ورقة في نفس الظرف
تحمل تنبيهها بالاتصال الفوري بالصدیق العزيز جيرونتا
سبيتزيو في رقم ٧٨١٦١٧» البند الثالث: «إذا تم تنفيذ
الشروط الواردة في البندين السابقين بدقة وبالحرف الواحد
فإن السيد جيرونتا سبيتزيو يتعهد بإحياء الميت بشرط أن
يتم استدعاؤه في وقت لا يزيد عن خمس ساعات». البند
الرابع: «لا تقدم أية أتعاب مهما كان نوعها أو طبيعتها
للسيد جيرونتا سبيتزيو مقابل وفائه بالتعهد المشار إليه في
البند الثالث نظرا لأن ما يؤديه من خدمات يقدم
بالمجان. ويعتبر السيد جيرونتا نفسه راضيا كل الرضا إذا
حصل على صورة تذكارية بسيطة تسجل الحادثة وتذيل
بإهداء يتضمن العرفان بصنيعه». عظيم، عظيم ولكن
اسمح لي بسؤال. هل يستطيع أي شخص أن يوقع على
هذا العقد إذا طلب منك ذلك؟

جیرونتا : كلا. ليس كل شخص فأننا أختار الأشخاص الذين
يستحقون هذا بناء على قواعد محسوبة.

تشیکنیولا : هل يجب أن تتوافر فيهم شروط معينة.

- جیرونتا : نعم . يجب أولاً أن يكونوا من المتمتعين بصحة ممتازة . فما
استطيع أن أفعله هو أن أعيد النبض إلى قلب توقف
لأسباب مجهولة ولكن ما حيلتي مثلاً أمام نزيف في المخ
أو موت في حادث أو ورم خبيث؟
- تشیکنیولا : مفهوم .
- جیرونتا : فالطبقة التي ينتمي إليها الشخص لها وزنها أيضاً .
- تشیکنیولا : الطبقة؟
- جیرونتا : أنا أحب الشعب . . العمال ، الحرفيين ، الصناع ،
فطهارة النفس التي يتمتع بها هؤلاء الناس تسهل
العملية التي أقوم بها .
- تشیکنیولا : (ساخراً) إذن أنا مثلاً لا أستطيع التوقيع على عقد
منها؟
- جیرونتا : المثقفون متميزون في هذا العالم ، فما فائدة أن يعودوا إليه
ليتعلموا ما سبق لهم أن تعلموه؟
- تشیکنیولا : ورغم هذا فأنا حري بحق أن أوقعه . فمن يعرف؟
- جیرونتا : يعوزك الإيمان .
- نابلیونی : (من الداخل) ازیدورو!
- ازیدورو : (يطل من نافذة) نابلیونی!
- نابلیونی : اسأل السيد جیرونتا إن كان من الممكن أن أقابله .

- ازيدورو : (يلتفت إلى جيرونتا) نابليونى يلتمس مقابلتك . هل أدعه يصعد؟
- جيرونتا : مازال معنا ضيوفنا .
- مساعد الشرطة : فيها يخصني سأنصرف الآن فقد أزعجتك بما فيه الكفاية .
- تشيكنيولا : وأنا أيضا استأذنك ولكن قبل انصرفي أريد أن التقط بعض الصور إذا سمحت .
- جيرونتا : أنت حر التصرف فأنت في بيتك (يتوجه إلى ازيدورو) قل لنابليونى أن يصعد ودعه ينتظر في «الانتريه» .
- ازيدورو : (من النافذة) تعالى يا نابليونى . سأفتح لك الباب (يخرج)
- تشيكنيولا : نبدأ بصورة للأرشيف .
- جيرونتا : كما تشاء .
- تشيكنيولا : وأخرى وأنت جالس على المكتب . هل هناك مانع في تصوير الصور المكبرة لمن أعدت إليهم الحياة .
- جيرونتا : قلت لك منذ قليل أن تنشرها إذا أردت بل ولدي صور مصغرة منها يمكن أن أعطيك نسخا منها .
- تشيكنيولا : لا، كلا، تكفيني هذه . ولكن هل تسمح لي بأن أنشر الإهداء وعليه أسماء الأشخاص وألقابهم .

- جيرونتا : يمكنك أن تفعل ما تريد .
- تشيكنيولا : وإذا سمحت لي أحب أن التقط لك صورة على «العرش»
والعباءة على كتفيك .
- جيرونتا : آسف لأنني بهذا سأقصر في حق كثيرين من زملائك
طلبوا مني هذا ورفضته .
- تشيكنيولا : ولماذا رفضته؟
- تشيكنيولا : مفهوم
- جيرونتا : فالطبقة التي ينتمي إليها الشخص لها وزنها أيضا .
- تشيكنيولا : الطبقة؟
- جيرونتا : أنا أحب الشعب . . العمال والحرفيين والصناع . فطهارة
النفس التي يتمتع بها هؤلاء الناس تسهل العملية التي
أقوم بها .
- جيرونتا : لأن هذه الصورة ستبعث خيبة الأمل في كل من يؤمنون
بي . أنا لا أريد أن أزج في رسالتي بسخافة العرش . هذا
الكرسي العظيم له قيمته عندي وحدي لأنه ذكرى من
عائلتي .
- تشيكنيولا : (لا يلح) شكرا على كرم ضيافتك ومع السلامة .

- جيرونتا : شرفتنا .
- مساعد الشرطة : التفتيش انتهى وسعدت مساء .
- جيرونتا : في رعاية الله وشكرا لك .
- مساعد الشرطة وتشيكنيولا يلتقيان عند خروجهما
بازيدورو وهو عائد .
- تشيكنيولا : (إلى المصور) التقط له صورة .
- ازيدورو : (يبهره ضوء الفلاش) كدت أن تعميني ! هل أدخل
نابليون؟
- جيرونتا : ادخله .
- ازيدورو : حالا (يخرج ويتبعه المصور والصحفي ومساعد
الشرطة)
- جيرونتا : (يطل من إحدى النوافذ) ما أطيب هذا الجو المعطر
وما أجمل هذا الليل !
- نابليون : (يدخل) مساء الخير .
- جيرونتا : مساء النور .
- نابليون : (المشرف على أملاك جيونتا . رجل ضخم البنيان . يبلغ
نحو الخمسين من العمر) شعرت بالتعب مرة أخرى .

جیرونتا : لا بأس عليك .

نابلیونی : فقط . .

جیرونتا : إذا كان هناك ما أستطيع أن أفعله من أجلك أخبرني به .

نابلیونی : أنا لا أنام الليل وأنت تعرف السبب .

جیرونتا : أنت عنيد متشبث بالرأي .

نابلیونی : لیکن אני عنید ومتشبث بالرأي فماذا أفعل؟ أأستسلم
للأس وأدخل مستشفى المجانین؟!

إنني أذهب كل ليلة إلى الكنيسة وأحضر قداس كل أحد
وأقوم بالاعتراف والتعميد كل أسبوعين . وإلى جانب هذا
توجد امرأة تعسة أمام الكنيسة تطلب الإحسان .
المسكينة كفيفة لا ترى ، وقبل أن أدخل أضع في يدها
مئة ليرة . . وفي الأيام الأولى كنت أقول لها . «أنا نابليوني
بوتا . تفضلي مئة ليرة . . » أما الآن فلا حاجة بي لأن أقول
لها شيئا . فهي تتناول النقود وتتحسسها بيدها وحين
تدرك أنها مئة ليرة تهتف بي : «مساء الخير يا نابليوني»
وأقلعت أيضا عن السباب ، حيث إنني كنت أسب
بعدد رمال الأرض ، و كنت أتخذه تنفيسا عن الكرب .
وفي سبيل محو أميتي أجلس أمام التلفزيون وأتابع برنامج
«لا تقل أبدا فـات الأوان» ولكن معدتي لا تلبث أن

تتلوى كأنها حشيت بغطاء عربية نقل لا تستطيع أن
تهضمه ثم يتتابني صداد ولا أجد مهربا من النهوض
والخروج لاستنشاق الهواء . والنوم لا يغشي عيني . وأنا
مريض بالقلب . وكما تعرف فأنا أخلص لك وأخدمك
بما أنت أهل له . فهل بعد هذا لا تريد مساعدتي؟ أنت
تعرف سر عذابي .

جيرونتا : ما تطلبه مني لا أستطيع أن أمنحه لك ومن الأفضل أن
تنساه ليستريح بالك .

نابليوني : لا أستطيع أن تمنحه لي . .

جيرونتا : كلا . . لأنك لا تستطيع أن تتعاون معي في البداية وليس
هناك أحد يتعاون معي بعد النهاية . أنت تعرف العقد
جيذا فقد قرأت لك جميع بنوده وشرحتها لك بوضوح .
فلمن تسلم الوصية التي يتعين أن تكتبها تنفيذا للبند
الأول؟ أنت ثري ولا تنقصك الأملاك فابحث لك عن
زوجة ، وإذا لم تنجب بالزواج فتبن طفلا أو طفلين أو
ثلاثة وهكذا تجد لك أسرة ويصبح من الممكن عندما
تحين الساعة إقامة دائرة المحبة اللازمة لإعادتك إلى
الحياة . اصنع إلي جيذا يا نابليوني أنا لا أصنع المعجزات
أتريد أن تفهم هذا أم لا ؟ أنت وحيد مقطوع من
شجرة ، ولا أعني أنه ليس لديك أسرة فقط بل ليس
لديك مجرد قريب أو حتى صديق .

نابليون : اعتقد أن لي أقرباء من بعيد كان قد حدثني عنهم المرحوم والدي ولكني لا أذكر إن كانوا أحياء أو أمواتا وإن كانوا أحياء فلا أعرف أين يوجدون .

جيرونتا : انظر كيف بلغ بك الحال . . ولكن ما الغرابة في هذا فأنت عشت كالحیوان . لقد عملت خمساً وثلاثين سنة عند عائلتي وأنا أعرفك حق المعرفة .

نابليون : ومع ذلك فلا تستطيع أنت بالذات يا سيدي أن تشكو مني في شيء .

جيرونتا : هذا هو بيت الداء . فأنت عشت طول حياتك على مبدأ أنا وشأني دون مراعاة لوجود الآخرين ، والآن أصبحت في حاجة إلى الآخرين ولكن لا تجد الآخرين ، فعليك إذن أن تواصل حياتك عملاً بمبدأك أنا وشأني فقد صرت وحيداً حولك .

نابليون : وازيدورو؟

جيرونتا : وما شأن ازيدورو؟

نابليون : ألم يكن وحيداً بلا أهل عندما أعدت إليه الحياة في سانتا أجتا؟ إن المسألة كلها أنك تستثقل دمي وتكن لي العداوة .

جيرونتا : أنت أحمق جاهل لا تستحق مجرد الإجابة (ينهض فجأة ويجري نحو باب الدخول وينادي) ازيدودو! أين أنت يا ازيدورو؟

ازيدورو : (من الداخل) أنا هنا يا جيرونتا .

جيرونتا : تعال! . . أتريد أنت أن تقارن نفسك بازيدورو؟ إن ازيدورو لم يعيش أبدا وحيدا كما تظن . . إن أول ضوء وقعت عليه عيناه هو ضوء الملجأ وعندما بدأ عقله يكبر بدأ يعي أن حوله الإنسانية برمتها .

ازيدورو : (يدخل) ماذا هناك يا جيرونتا؟

جيرونتا : قل لي . . عندما كنت في سانتا أجتاهل كان لك أصدقاء؟

ازيدورو : أصدقاء! لقد كنت أسير في الشوارع حاملا قبعتي في يدي لأوفر على نفسي مشقة خلعها كل لحظة لأحيي الأصدقاء الذين أقابلهم .

جيرونتا : وهل كانوا يحبونك؟

ازيدورو : كنت أسعى لنيل حبههم ولكن ليس بمجرد الكلام فأنت تعرفني جيدا . وكان في وسعي أن التمس مساعدة الأصدقاء من كل الطبقات وفي كل الظروف . كان يكفي أن أشير بيدي فأسمع على الفور: ماذا تحتاج يا ازيدورو؟

ويوم وفاتي تحول بيتي إلى محل للورد وفاترينة للحلوى .
وقبل أن أموت كان البعض يهدي إلي ربطة عنق ،
وبعض الآخر حافظة نقود حتى بابيتشيللو الذي يعيش
على الصيد ويعلم الله وحده كيف يعيش ، كان يهدي
إليّ كل عام كيلو من السردين وكنت أملكه وعندما أكل
واحدة منه أمام المدفأة في ليالي الشتاء كنت أذكره .

جیرونتا : وأنت كيف كنت تتصرف معهم؟ ماذا كنت تفعل
ليحبوك؟

ازیدورو : لا شيء . وماذا كان في وسعي أن أفعل؟ كانوا يقولون إني
ظريف في حكي الحكايات فكانوا يقصدونني لأقصها
عليهم ، وإذا احتاج أحد إلى أنيس كنت أوانسه ، وإذا
دعاني صديق على الطعام وأنا فاقد الشهية لأنني أكلت
من قبل كنت أظهار بالجوع وأكل مرة أخرى لكي
لا أكسر خاطر من أراد أن أشاركه طعامه وإذا كنت
أملك ليرة أنفقها مع الأصدقاء وإذا كنت لا أملكها لا
أنفق أبدا نقود غيري وإذا أراد صديق أن أذهب معه إلى
السينما أقول له إني لم أر الفيلم وأذهب معه لكي لا أفسد
عليه متعته . وماذا كان في وسعي أن أفعل أكثر من
هذا؟

جیرونتا : وهل كنت تدفع أجر الفلاحين؟

ازيدورو : الأرض كانت ملكا لأختك السيدة أولبيا وكنت أشاركها فيها مناصفة . فكان نصف المحصول يذهب إليها والنصف الآخر أبيع حصة منه لأدفع أجر الفلاحين والضرائب والحصة الأخرى احتفظ بها لأعيش منها أنا والفلاحين المساكين الذين كان يدخل السرور على قلوبهم حمل بعض ثمار الأرض التي فلحوها إلى أبنائهم .

جيرونتا : يمكنك الانصراف وإذا احتجت إلى شيء سأنادي عليك .

ازيدورو : أمرك . . (يخرج)

جيرونتا : أرض أخي كالوجيرو المطلة على بلدة سان لييرا توري ، تلك الأرض الممتازة الموقع والتي تساوي اليوم ثقلها ذهباً . . لقد استطعت أنت أن تحطم الرجل المسكين بالقروش المحدودة التي كنت تعطيها له آخر كل عام دون أن يرى من أرضه لا أقول غلة ليرة واحدة ، وإنما على الأقل برميل نبذ أو زجاجة زيت حتى أنه قرر في النهاية أن يبيع الأرض فاشتريتها أنت بأبخس الأثمان . . وأخي الآخر تيودورو . ألم تفعل معه نفس الشيء ؟

نابليوني : إنها يستحقان ما جرى لهما لأنهما أخطأ في حقك وحقك أنت بالذات .

جيرونتا : آه، لا تؤاخذني، إذن أنت قمت بعمل نبيل . لم أكن أعرف هذا! فأنت تقصد أنك جردت أخويّ من أرضهما شيئاً فشيئاً لتعاقبهما على ما ارتكباه في حقي من خطأ.

نابليون : بالضبط .

جيرونتا : وكنت تقتصد النقود يوما بعد يوم .

نابليون : وأسبوعا بعد أسبوع .

جيرونتا : وشهرا بعد شهر .

نابليون : كالنملة . .

جيرونتا : وعندما استكملت المبلغ . .

نابليون : دفعت الثمن نقدا وعدا على الفور أوراقا بألف ليرة ورقة فوق ورقة .

جيرونتا : وهذه النقود من أين أتيت بها؟

نابليون : كيف من أين أتيت بها؟

جيرونتا : من كان يعطيها لك؟

نابليون : ومن كان يجب أن يعطيها لي يا سيدي؟ لقد كدحت من أجل الحصول عليها .

- جيرونتا : أعطتها لك الأرض؟
- نابليون : طبعي .
- جيرونتا : إذن فسّر لي هذا الأمر . كيف تغل لك الأرض التي اشتريتها ولا تغل لأخوي؟
- نابليون : أنت حقا قديس . . أمازلت تدافع عنها بعد كل ما فعله معك؟ .
- جيرونتا : دعك من موضوع الدفاع عنها فهذا شأن آخر وأجب على سؤالي .
- نابليون : يا سيدي جيرونتا كان عمري وقتها عشرين عاما أما الآن فعمري خمسون عاما .
- جيرونتا : إذن من الممكن أن نكون لصوصا في سن العشرين ولا نستطيع هذا في سن الخمسين .
- نابليون : في سن الخمسين نفكر بطريقة مختلفة تماما ، ولديك الدليل على هذا .
- جيرونتا : حقا . . لأنه ليس لدي ما يستدعي الشكوى منك . أعرف هذا فقد قلته لي من قبل . فأنت نزيه معي والنتيجة أن قطعة الأرض التي تتكرم بها على أخويّ تغل علي أكثر مما تغله أراضيهما مجتمعاً . حقا هذه

معجزة يا عزيزي نابليون! إن المعجزات تصنعها أنت
لا أنا وتعرف لماذا تصنعها؟ لأنك تريد العقد ولا تريد أن
تفهم أنني لا أستطيع أن أمنحه لك .

نابليون : ولكنني جئت من أجله وسوف أحنى هذا الرأس حتى
يلامس الأرض لتمنحه لي فلا تغضب لما صارحتك به
واعتبر كل ما بدر عني خطأ في خطأ وسوف أغير
ما بنفسي ، وأطرح عليك رأيا آخر لتدرك أنني أفكر في
عمل طيب . . أنا مريض بالقلب ولن أعمر طويلا
ولابد لي من العقد ، فإذا كانت الأراضي التي أملكها هي
السبب في عدم استحقاقي للعودة إلى الحياة بعد مماتي
فإني أقول لك يانا بليونى - بوتا كلمة واحدة . إن الأرض
سأكتبها باسمك ولا أريد ليرة واحدة في مقابلها وبذا
تشفي غليلك من أخويك .

جيرونتا : نابليون! أأصابك السقم؟ لقد قلت لك ألف مرة أنني
لم أقبل مليا من أحد لأنني لا أتاخر بقدرتي . وإياك أن
تعيد هذا القول مرة أخرى . أما العقد فلا تستطيع
الحصول عليه لأنك وحيد وليس لك أسرة . أفهمت؟
كما أنه ليس لك أصدقاء تعتمد عليهم لأن الجميع
يغضونك ، وعندما تموت فإن كل من يعرفونك سوف
يحتفلون بهذه المناسبة . إن الأوان لا يفوت أبدا من يريد
أن يتعلم القراءة والكتابة ولكنه يفوت من يعجز عن

إصلاح حاله وعن التمتع بحب الناس في الوقت المناسب . لقد كان الناس يذرفون الدمع حول فراش موت ازيدورو، ولم يكن أحد يعرف إن كان عدد الموجودين في الحجرة أكثر أم عدد الواقفين على السلام أو عدد المجتمعين في الفناء أو في الخارج؟ وكان الجميع يجهشون بالبكاء فتكونت حوله دائرة المحبة لأنهم جميعا كانوا يريدون له الحياة .

نابليوني : (في دفعة صدق مع النفس) لأنه خائب .

جيرونتا : أما أنت ففالح للغاية ولذا تستحق العودة إلى الحياة لتعيد فيها ما صنعت في حياتك الأولى! معنى هذا أن الدنيا تصبح جنة بمعنى الكلمة إذا مات كل الفالحين مثلك ولم يبق فيها إلا الخائبون مثل ازيدورو بشرط أن تموتوا وتبعثوا كما يحلوا لكم . ازيدورو!

ازيدورو : (من الداخل) نعم يا جيرونتا .

جيرونتا : يمكنك الانصراف الآن يا عزيزي نابليوني فالوقت متأخر وأريد الذهاب إلى الفراش .

ازيدورو : أمرك .

نابليوني : إذن انصرف!

- جيرونتا : ما كان يجب أن نتبادل ما قلناه .
- نابليون : ولكني لا أنام . . لا أنام (يخرج)
- جيرونتا : ازيدورو! هل تنام الليل؟
- ازيدورو : نعم أنام ملء جفني .
- جيرونتا : وأنا أيضا أنام ملء جفني ولكن هل تصنع لي معروفا قبل أن أذهب إلى الفراش . .
- ازيدورو : تفضل .
- جيرونتا : خذ دجاجة (وبإشارة معبرة يوميء له أن يذبحها) وقل لفورتوناتو عند حضوره في الصباح أن يسلقها .
- ازيدورو : فورتوناتو قال إنه سيحضر معه جبنا طازجا .
- جيرونتا : دجاجة طازجة وجبنا طازجا . . هذا لا بأس به . تصبح على خير.
- ازيدورو : وأنت من أهله .
- يدق جرس التليفون
- جيرونتا : آلو . نعم أنا ج . س . من يتكلم؟ منزل تروتشينا؟ متى؟ . . منذ ساعة . . شيء محزن . . فهمت كلا،

كلا . . وما فائدة هذا؟ يكفي الآن ج . س وستعرفونه
بالكامل بعد نصف ساعة عندما أصل إليكم . ولماذا
كل هذه الأسئلة؟ افعلوا ما قلت لكم وكفى (يضع
الساعة ويسرع نحو الأرشيف . المتعاقدون يسجلون
البيانات الدقيقة الخاصة بهم على شرائط ومعها قائمة
بكل ممتلكاتهم . جيرونتا الذي يتقن عمله يبحث بين
الشرائط المرتبة في انتظام على شريط يحمل اسم الحالة
التي تعنيه) ترا . . ترى . . ترو . . ترولينو . . تروتشينا
جايتانو . (يضع الشريط في المسجل ويضغط على
الزر)

صوت الميت : «أنا جايتانو تروتشينا ابن المرحوم ماتيو، أبلغ من
العمر ستة وخمسين عاما . متزوج وزوجتي تدعى
سلفيا . انجبنا ابنين هما كارميلوتشو وبالميرا . بدأت
حياتي العملية بالزراعة ثم عملت مقاولا والآن أحظى
بوضع اجتماعي متميز والمنزل الذي أقطن به ملك لي
ويقع في بلدة مونتيكيو . لقد عملت كثيرا في حياتي
ولكنني ما زلت أشعر بأني قوي وبصحة جيدة . أشكر
لك يا سيد جيرونتا ما ستقوم به من أجلي بعد أن
توافيني المنية» .

جيرونتا : (يقفل المسجل) ازيدورو . هيا بنا!

ازيدورو : إلى أين؟

جيرونتا : إلى مونتيكيو.

ازيدورو : في مثل هذه الساعة؟

جيرونتا : إنه عمل.

يسدل الستار

الفصل الثاني

بلدة مونتيكيو على بعد نصف ساعة من بلدة ماسة لوبرنتزي . في منزل تروتشينا . داخل بيت ريفي كبير شبيه ببيت الفصل الأول ولكنه أكثر اتساعا وامتلاء بالأقواس التقليدية . وبه سلام تفضي إلى الطابق الأعلى حيث الشرفة وإلى أسفل حيث الأراضي التي تحف بحقول العنب والموالح والزيتون ويتخللها طريق المدخل الواسع . المكان يغص بالمقتنيات المتناثرة التي تجمع بين فساد الذوق البرجوازي وضرورات الحياة التي تفرضها التقاليد الريفية .

منقولات وقطع أثاث رديئة الدهان أطرزتها بين القديمة والحديثة ، وأدوات أخرى تتراوح بين أدوات للزينة رفيعة المستوى ومعدات زراعية سهلة الحمل .

مضت خمس دقائق على خروج جيرونتا من منزله . ورثة جايتانو تروتشينا الأربعة : زوجته سيلفيا وابنه البكر كارميلوتشو وابنته بالميرا وابن عمه جاكومينو يجلسون في أماكن متقابلة من الحجرة ، وبعضهم يتفرس البعض الآخر .

توفي رب الأسرة فجأة ومازالت مائدة الطعام معدة لخمس أشخاص ، وفي وسطها إناء الشربة مترعا بحساء المكرونة والفاصوليا الفاخرة . سيلفيا تبادر بالكلام بعد لحظة صبر .

سيلفيا : لغز محير! مجموعة من الاحتمالات واللااحتمالات المعقدة يستحيل النفاذ إليها وكلها حاول أحد العشور على خيط تزداد تعقيدا وغموضا .

جاكوميينو

: يا سبحان الله! أين ترين هذا اللغز؟ وأين هذه المجموعة
من الاحتمالات واللااحتمالات المعقدة المستحيل النفاذ
إليها؟ إنك ترين كل شيء أسود لأن المصيبة كانت بحق
كبيرة بل وغادرة بالطريقة التي وقعت بها . والتي لم تخطر
على بال أحد . يا له من مسكين جايتانوا!

(ينهض ويقرب من المائدة) كيف يحدث هذا؟ كنا
نتأهب للجلوس على المائدة لنأكل هذه الشربة التي
طلبها هو . . . فماذا حدث؟ وماذا لم يحدث؟ لقد
قال: أشعر بدوار . لا أستطيع أن أتنفس ، سأذهب
لأتمدد خمس دقائق على الفراش . . (مشيرا إلى الحجرة
المجاورة) ويذهب ليتمدد وإذا به يصبح جثة هامدة .
(يضع مغرتين من الحساء في الطبق ويبدأ في الأكل)
موت أشبه باحترق لمبة فجأة . لقد أصابتك الدهشة
والذهول وطبيعي أن ما يحرك لسانك في هذه اللحظة
هو الألم .

سيلفيا

: من يعزق الأرض كما عزقتها يعرف جحود العاصفة
والجفاف (كارميلوتشو يقرب من المائدة ويملا طبقه
ويأكل هو الآخر) الألم ألم ولا مفر من الاحتفاظ به لوضعه
في كفة الميزان الأخرى لوزن عائد محصول الموسم الوفير.
الألم موجود ويجب الاحتفاظ به حتى يحل اللغز.

جاكومينو : (وهو يعيد ملء طبقه ويواصل الأكل) أنا لا أفهم .
بالميرا . . أنت على لحم بطنك . كلي معنا . (بالميرا لن
تعطي جوابا . تظل عابسة ومحملة) لا أفهم سر كلامك
عما تسميه اللغز (يغرى سيلفيا بالأكل فيقدم لها طبقا
ويغمس المغرفة في الحساء) طبق حساء مكرونة وفاصوليا
(يصب مغرفة من الحساء في الطبق ويقدمه لها دون أن
ينتظر ردا منها) .

أنت فتحت الوصية بناء على رغبته (سيلفيا تتناول الطبق
وتأكل بحذر) ووجدت فيها ورقة تحمل رغبته بوضوح
ودون لبس . . رقم تليفون الصديق ج . س صحيح لأنني
اتصلت به ورد علي بنفسه وبعد أن علم بالخبر أكد لي أنه
سيحضر فورا . فما هو اللغز الذي يجب حله؟

سيلفيا : (تجلس في اعتدال على المائدة وتأكل وتشرب وتخرج ورقة
مطوية) الرسالة ! هذه الرسالة التي أرفقها بدبوس في آخر
ورقة من أوراق الوصية . (تلم آخر ملعقة من الحساء من
قاع الطبق وتلتهمها)

كارميلوتشو : (يأكل ويشرب) لماذا لا تطلعينا على ما جاء فيها؟

بالميرا : مادمنأبناءه يحق لنا أن نعرف كل ما كتبه .

سيلفيا : يحق لك الخزي يا فاجرة . .

بالميرا : نعم أنا فاجرة . . من الأفضل أن أسكت .

كارميلوتشو : أصبت . أفضل لك ألا تفتحي فمك (بالميرا تجلس إلى المائدة وتأكل) سأقتلك أفهمت؟ سأقتلك! ماذا كنت تقولين يا أمي؟

سيلفيا : الرسالة موجهة إليّ، والمكتوب فيها لا يخصكم .

جاكومينو : سبحان الله! إذن اللغز يخصك أنت وحدك (يصب لها النبيذ) اشربي وفي صحتك (يصب النبيذ لنفسه) .

سيلفيا : (بعد أن احتست جرعة كبيرة) اللغز الحقيقي بدأ منذ عامين عندما تغير زوجي بين عشية وضحاها (تشير إلى الغرفة المجاورة) إنه ممدد هناك في رحاب الله وحاش أن أكذب وهو ميت . لقد كان جايتانو يفحش في السباب بل وعندما كان ينطلق لسانه بالسباب كان الناس يغلقون بيوتهم على أنفسهم ليتحاشوا سماعه . وبعد ما أصابه من تغير أصبح لا يطيق أبسط الشتائم . كان يعرف من النكات أفصحها وأكثرها فجورا ، وكم كان يعرف منها ويحفظها عن ظهر قلب . . الكثير الكثير . . حتى إن الأصدقاء كانوا يتحلقون حول الموائد خصيصا لسماعه دون أن يفلح أحد في مقاطعته لأنه كان يلقيها في سرعة التليفزيون وبين لحظة وأخرى عزف الأصدقاء عنه لإصراره على الكلام عن حياة القديسين فقط . اقطع لي

شريحة من الخبز وناولني هذا الجبن . (كارميلوتشو ينفذ ما طلبته أمه ثم يقوم الجميع الواحد بعد الآخر بتناول الخبز وتقطيع اللحم والجبن) ولا أحد يذكر في هذا البلد أنه شاهده يدخل الكنيسة .

بالميرا : عندما كان يصادف القسيس في الطريق كان يفعل هكذا بيده . (تصنع علامة قرنين بكلتا يديها إيحاء لدرء الحسد وتحاشي الفأل السيء) .

سيلفيا : في وجهه ! كان يدفع بعلامة القرنين في وجهه !

كارميلوتشو : (مغتبطا) وكم كان يغتاظ سيدنا ماريو !

سيلفيا : وبعد التغير . من البيت إلى الكنيسة ومن الكنيسة للبيت . . والاعتراف والعشاء الرباني كل أسبوع .

بالميرا : وإذا حلت ساعة الموعدة لا يتخلف عن الاستماع إليها وكل ليلة يذهب طلبا للتبرك .

سيلفيا : كان يقترب كل الرذائل « الخمر والميسر والنساء » وفي موسم الحصاد كانت تجيء خمس عشرة فتاة أو أكثر لمدة أسبوعين أو ثلاثة لجمع الزيتون فكان يذهب إلى الحقل ويدور عليهن الواحدة وراء الأخرى حتى يناهن جميعا كأنه ديك البدارى .

كارميلوتشو : وكان على علاقة أيضا بزوجة الحلاق .

بالميرا : وروزاليا ساقية البار، ألم يكن ينام في فراشها؟

سيلفيا : كنت شابة كالوردة المتفتحة تشع النضارة من وجهي يوم افتتن بأرملة صمويل النجار. فانهاالت علي الإهانات، وسوء المعاملة والمبيت خارج البيت، وفتح الجحيم أبوابه وفي النهاية ترك لي ابني صغيرين . . كارميلوتشو في السابعة وبالميرا في الخامسة والنصف وذهب ليعيش مع تلك العاهرة التي لم تكن تستأهل حتى نزع الوسخ من أسفل حذائي . وعشنا منفصلين اثنتي عشرة سنة أنا في جهة وهو في جهة أخرى، وكان يأتي في آخر كل شهر ويقول «كيف حالك؟» - «بخير» - «والأولاد؟»، - «بخير أيضا». وكان يحاسب المزارعين ثم يأخذ النقود ويترك لي مرتب الشهر وينصرف لحاله . وربيت أنا الولد والبنت واهتممت بشئون البيت كأني رجل . ومنذ ستين حدث التغيير فترك حبيبة القلب وعاد ليستقر في البيت ليغمرنا بمشاعره، ولا أقول إنني غضبت لهذا ولكني كنت قد اعتدت الحرية مدة اثنتي عشرة سنة فلم أطق التجاوب معه لأنه كان يكره الخروج من البيت، وإذا خرج يذهب إلى الكنيسة ليقضى بها مدة نصف ساعة ثم يعود إلى البيت مرة أخرى . إن الزوج هو الرفيق الذي يظل إلى جوار

زوجته طول الحياة ليعث نفحة الحرارة العائلية التي
تعوزنا وتخفف عنا عند وقوع البلاء، ولكنه أيضا رجل
نجده أمامنا في الليل والنهار وفي الصباح والمساء وفي عيد
القيامة وعيد الميلاد، رجل يريد كل شيء كما يروق له
دون أن يراعى أن له زوجة في البيت وأنها بدورها تريد كل
شيء كان يروق لها. فيصطدم سمعها بعبارات مثل «هذا
لا يصلح، وذاك أسأت صنعه» ولا يستطيع أن أصف
لكم كم أصبح مبعثا للضيق بعد تغيره. فدائها كان يقول
«ماذا تفعلين؟ . . لا تخرجي، ابقى إلى جوارى . . يجب
أن يحب كل منا الآخر. .» أوجب كل منا الآخر في أيام
الشيخوخة! . «ليقف كل منا إلى جوار الآخر. أنا وأنت
والأولاد. . الأسرة هي أعظم شيء في الوجود. .» حتى
أصبح لا يطاق.

جاكومينو : إن كل الناس حتى أكثرهم طيشا يجيء يوم يرجع فيه إلى
رشدته ويعود إلى بيته .

سيلفيا : ولكنني كنت حرة في غيابه . كنت آكل عندما أريد أن
آكل ، وأنام عندما أريد أن أنام ، وعندما أريد زيارة أحد
يسعدني رؤياه كنت أزوره ، وأتكلم على راحتني عندما
يروق لي الكلام .

كارميلوتشو : ودون تشينشو دلا مونيتا المتعهد!

سيلفيا : ولم لا ؟ هل تظنني راهبة ؟ دون تشينشو دلا مونيتا كان
يكن لي محبة من قبل أن أتزوج جايتانو، ولكنه بعد
زواجي فقد الأمل وتزوج هو الآخر، وحين بدأ جايتانو
يفقد صوابه من أجل أرملة النجار وجدته إلى جوار
دون أن يفكر أبدا في تدنيس فراشي . كان يجيء كصديق
مخلص يعينني ويؤنس وحدتي .

بالميرا : كان يحضر لي الكراميل .

كارميلوتشو : وكان يأخذني إلى البحر لنستحم ونصيد السمك .

سيلفيا : ولم يبخل علي بالنصح ، وكان يفتح لي صدره لأبش
شكواي وأفترج عن أحزاني . كارميلوتشو! اذهب إلى
دولاب المطبخ ستجد فيه الجدي المشوي ، فخذة واحضره
لأن الجوحار ويمكن أن يتلف . .

كارميلوتشو : (يهز الزجاجاة الفارغة) وانتهى النبيذ أيضا .

سيلفيا : زجاجة أخرى ، وإلا لن نستطيع ابتلاع الجدي .

كارميلوتشو يحمل الجدي إلى المائدة ومعه زجاجتين من
النبيذ بدلا من واحدة .

جاكومينو : أنا لا أرى في التغيير المفاجيء في سلوك المرحوم أي لغز
كما تعتقدين .

سيلفيا : الأزواج الذين خانوا زوجاتهم بعدد شعر رؤوسهم ثم
تذكروا أن لهم أسرا وبيوتا في النهاية ، وبعد أن أصبحوا
كالعدم لا يهشون ولا ينشون يزخر العالم بملايين من
أمثالهم . ما مقدار ما وضعت من الفلفل على الجدي؟

كارميلوتشو : اشربي . . فالنبذ يحلوه .

سيلفيا : على كل حال أنا كنت انتظر عودته إلى البيت ولم أدهش
لها ولكن أن ينسى الماضي في غمضة عين وألا يفكر في
الإساءات والخيانات التي تعرض لها من أحد الأشخاص
وأن ينسى الضغينة السوداء التي كان يكنها له وأن ينبري
ويقول . . (ترغب في الاسترسال ثم تستدرك وتقطع
كلامها) فاسمحوا لي . . هذا شيء لا يدخل المخ!

جاكومينو : ينبري ويقول ماذا؟

سيلفيا : لا شيء . . لا شيء . . الجدي لذيد ونبذ هذا العام جاء
أفضل من نبذ العام الماضي .

جاكومينو : وأنا سأشرب في صحتك ونخب ذكرى جايتانو الطيبة ،
ومستقبل سعيد لهذا البيت (يشرب) .

قالت والدتك إن جايتانو كان يكن ضغينة سوداء لأحد
الأشخاص . . فلنسمع من هو؟

سيلفيا : جاكومينو. . لا تستطيع الادعاء أن العلاقة بينك وبين جايثانو كانت سمنا على عسل حينما جئت هنا منذ عامين . .

جاكومينو : مهلا . . مهلا . . أنا لم أجيء لهذا البيت وإنما جاء جايثانو إلي بنفسه ورجاني وألح في الرجاء لأن أحضر وأعيش معه . قال «ساعني إذا كنت قد تركتك حتى الآن . . إنني نذل خسيس» هذا ما قاله والشهود حاضرون ، وقال لي أيضا طيب الله ثراه «لننس الماضي وتعال معي لتعيش في بيتي ولن أجعل شيئا ينقصك» . وهذا لا يعني إلا أنه تذكر ساعتها إننا ابنان لأخوين شقيقين وإنني أعيش حياة الكفاف بينما هو يرفل في الثراء والنعيم وإنه بادر ليصلح ما اقترفه من إثم لسنوات طويلة . هذا هو ما دعاني للمجيء إلى هذا البيت .

بالميرا : ومنذ أن حضرت بدأت . . وكلمة اليوم وكلمة غدا . .

سيلفيا : اخربي أنت يا فاجرة .

كارميلوتشو : كلا ، من الأفضل أن تقول الحقيقة . فهذا لا يعقل ! ثلث التركة يؤول إلى هذا الرجل ! لو لم يستغل ضعف أبي أو ضعف طبعه الغريب ، ولو لم يداهنه أكان يكتب هذه الوصية القذرة !

جاكومينو : (ينهض واقفا في هدوء ويخفي سريره ويرفع كأس النبيذ المترع بيده) كما هو حق أن هذا النبيذ في هذا الكأس وأنا ماثل أمامكم على قدمي أقسم لكم لا بحق هذا الميت الراقد هنا وإنما بحق جميع جبانات الدنيا أنني لم أحاول أبدا أن أؤثر على إرادة جايتانو لا بشأن الوصية وحدها، وإنما بشأن أي شيء آخر، وإن كنت كاذبا فليتحول المال الذي سيؤول إليّ بحكم الوصية والذي لن تحرمني منه قوة في العالم إلى رماد في يدي وليصبح هذا النبيذ سماً زعافاً يصعقني في التو واللحظة . (يشرب النبيذ في نخب الهواء ويحتسي الكأس دفعة واحدة) .

كارميلوتشو : إذن صحيح ما قلته من أن جايتانو تروتشينا قد جن وترك لك الملايين؟ يستقطع الملايين من أبنائه . .

سيلفيا : ومن زوجته . .

كارميلوتشو : نعم ، ومن زوجته . . ليعطيها لك أنت الذي حينها كان يتردد اسمك أمامه قبل سنتين كان يبصق ويهرش جسمه من أوله لآخره خوفاً من حسدك . افعل ما شئت ولكنك لن تحصل على مليم واحد . سألجأ إلى القانون وأرفع دعوى لأثبت أن الميت كان سفيهاً وأوقف هذه الوصية لتبدأ قضية تدوم مائة وخمسين عاماً فلا ترى أنت أو أبنائك ، أو أبناء أبنائك ملياً واحداً ! (يصب النبيذ ويحتسيه هو الآخر دفعة واحدة) .

جاكومينو : لن ترفع الدعوى ولن تستطيع رفعها لأن الوصية مكتوبة بمهارة فنية . ولكن ماذا فعل المسكين الراقد هناك ليجيد كتابة الوصية بشكل لا يفضل له آخر؟ الثلث للزوجة ولا يمسه أحد والثلث الثاني للابنين وعائده للأم ولا يمسه أحد أيضا والثلث الآخر وهو الجزء الحر المرهون بإرادة الموصى . .

كارميلوتشو : لا يمسه أحد أيضا لأنني سأرفع الدعوى .

جاكومينو : سأمسه أنا لأن الجزء الحر له الحق في توريثه لمن يشاء .

بالميرا : وورثه لك . .

جاكومينو : ولو كان ورثه لأحد غيري ألم يكن يعني نفس الشيء بالنسبة لكم . الأفضل إذن أن يورثه لي فأنا واحد من أفراد العائلة ، هذا ما راعاه المرحوم خاصة بعد أن عرف حقيقة شعوري من خلال تعامله معي مدة سنتين فتعلق بي وأراد أن يصبغ علي النعمة .

سيلفيا : إذا لم أتكلم سأموت كمدا ، يسبغ النعمة على من؟ عليك أنت؟ اسمع يا جاكومينو . هذه رسالة لي وهي تبين من جانب أنه ليس لك يد في قراره في تقسيم الوصية ومن جانب آخر أن رأيه فيك لم يتغير عن سابق عهده حتى

آخر لحظة في حياته . لم يكن يستطيع أن «يهضمك» ولو كان بيده أن يدفئك لدفئك ، وهاهي الرسالة فاسمع .
(تقرأ) «عزيزتي الغالية سيلفيا لا تؤاخذيني إذا كنت قد رحلت عن الدنيا بهذه السرعة و لكن لا يشغلنك موتي هذا لأنه موت زائف كما أرجو ألا تغتمي لتركي الجزء الحر من التركة للوغد جاكومينو . لقد فعلت هذا من أجل مصلحة مؤقتة ، ولكن اطمئني فالخيول ستعود إلى اسطبلاتها والقمح إلى صوامعه . قبلاتي لك ولوالدينا . وإلى اللقاء قريباً . زوجك المحب قبل الموت وأثناء الموت وبعد الموت . جايتانو تروتشينا» .

بالميرا : الموت رحيل زائف؟

كارميلوتشو : «زوجك المحب قبل الموت وأثناء الموت وبعد الموت»؟

سيلفيا : هذه الرسالة هي الدليل على أن جايتانو أصيب بالجنون منذ سنتين وهذا هو سر تغيره .

كارميلوتشو : وبها يجد المحامي في يده الدليل على أن أبي كان سفيهاً ، ويرفع الدعوى القانونية لإبطال الوصية .

جاكومينو : قلت لك إن شيئاً من هذا لن يحدث على الإطلاق!

كارميلوتشو : ولماذا؟

جاكومينو : لأن جايتانو تروتشينا كان بكامل قواه العقلية قبل وبعد التغيير، والدليل على هذا أنه وصفني بالوغد بعد التغيير كما كان يصفني به من قبل .

كارميلوتشو : وإذا لم يكن قد فقد قواه العقلية وكان يصفك بالوغد قبل وبعد التغيير فكيف يهبك الجزء الحر من التركة؟ هل هذا يعني أنه سفيه أم لا؟

جاكومينو : ليس سفيها لأن كلمة وغد لم يكن يطلقها عليّ على سبيل الإهانة كما تدعي وإنما كان يوجهها لي بدافع حبه لي وصلة القرابة التي تجمعنا . . كان يقولها ليداعبني .

كارميلوتشو : قم من مكانك حتى لا أقذف بالطبق في وجهك احتراماً للمرحوم الراقد هناك!

سيلفيا : انتظري يا كارميلوتشو . . إذا كان جايتانو سفيها كما تقول فإن غرابة الرسالة تصبح مفهومة ، وإذا لم يكن سفيها كما يقول هو فإن غرابة الرسالة تظل كما هي ويبقى صحيحاً ما قلته وهو أن هناك مجموعة معقدة من الاحتمالات واللااحتمالات وأن في الموضوع لغزاً . « الخيول ستعود إلى اسطبلاتها والقمح إلى صوامعه » ، « إلى اللقاء قريباً . . » فماذا سيفعل؟ هل يعود هو إلى الحياة ليعيد الخيول إلى اسطبلاتها والقمح إلى صوامعه؟

كارميلوتشو : لحظة واحدة! لقد زالت الغشاوة عن عقلي وانجلي اللغز
الغامض الذي دوخنا السبع دوخات، وأصبح واضحاً
وضوح الزجاج النقي . . جايتانو تروتشيا لم يمت!

بالميرا : ماذا دهالك؟

سيلفيا : لقد جنت أنت أيضاً يا حبيبي!

كارميلوتشو : لا، لم يمت وبعد قليل وحين يحضر مفتش الصحة ليعد
شهادة الوفاة سترون الدليل على صحة قولي . آه منك
يا جايتانو تروتشينا إن عقلك حاد الذكاء، ولكن العقل
الذي منحته لابنك كارميلوتشو أحد ذكاء لأنه أكثر منك
شباباً . ماهو المرض الذي كان يعاني منه؟ لا مرض على
الإطلاق وأي أعراض خبيثة ظهرت على جسده ليفطن
أهله أن أجله قد حان . الأكل جاهز وشربة المكرونة
والفاصوليا على المائدة . . ثم دوار في الرأس وبعدها
لا حياة لمن تنادي . أهذا شيء يدخل العقل؟

سيلفيا : أنت واهم يا بني، فجائتانو يرقد على الفراش الذي
سجّيته عليه أنا بنفسى وقد خلعت عنه البدلة الجديدة
التي أحضرها له الترزي أمس والتي أصر على ارتدائها في
الصباح ووضعتها جانباً وألبسته قميصاً متواضعاً بدلاً من
القميص الحريري لأنه بالطبع ليس ذاهباً لحفل رقص .
وخلعت عنه أيضاً الساعة الذهبية وسلسلة اليد وسلسلة

الصدر التي كان يضعها في رقبته ويزينها بميداليات
القديسين وأيضاً الخاتم الماسين . . فلو كان جايتانوحيا
أكان يتركني أخلع الخاتم الماسين؟

كارميلوتشو : فعل هذا بالذات لكي نصدقك فقد قال في نفسه ترى
كيف تتصرف أسرتي بعد موتي؟ وأنتم تعرفون أكثر مني
أنه يشك بطبعه في الناس جميعاً وأنه وضع في رأسه أن
أهل بيته منافقون كباقي الناس .

سيلفيا : ولكنه كان شديد الغيرة على مقتنياته . . لقد كان يقفل
على كل شيء يخصه ويحمل سلسلة ضخمة من المفاتيح
في جيب بنطلونه ، والويل لمن كان يجرؤ على لمسها .
وبعد أن سجنه على الفراش كما يسجن كل مسيحي
مؤمن عقدت يديه على مقدمة جوفه علامة على الصلاة
ورسمت علامة الصليب ثلاث مرات وتناولت المفاتيح ،
وفتحت الدواليب وجمعت أنا وبالميرا كل ما كان فيها
وحملناه إلى حجرتي حتى البندقية لم نتركها لأن نوافذ
غرفته يجب أن تظل مفتوحة طول الليل ونحن في الريف
لا نعرف عدونا من حبيبتنا . فلو كان جايتانوحيا كما
تقول ورآني أفتح الدواليب أما كان لينهض من الفراش
ويغرقني في دمي؟

كارميلوتشو : خطة الخدعة التي حبكها أبعد مما يصل إليه تفكيرنا .
كيف سجيته على السرير؟

سيلفيا : (تنهض وتتجه نحو جاكومينو لتستعين به في تقليد
ما فعلته مع زوجها في فراش الموت) هكذا . . لا تؤاخذني
يا جاكومينو . . أرحت رأسه هكذا وعقدت يديه على هذا
النحو ورسمت علامة الصليب ثلاث مرات .

كارميلوتشو : (إلى بالميرا) اذهبي لترى إن كان لا يزال على هذا
الوضع .

بالميرا : سأفتح الحجرة وأطل عليها فقط .

كارميلوتشو : وأضيئي النور .

تخرج الفتاة وعيناها ثابتتان على الحجرة . الثلاثة ينتظرون
على أحر من الجمر . بعد قليل يشتعل النور في الحجرة
ويعكس أشعته عليهم .

بالميرا : (تعود مرتاعة) أماء . . أقلت إنه كان راقدا كهذا؟ (تقلد
الوضع الذي وصفته أمها بمعاونة جاكومينو) الآن أصبح
هكذا . (تقلد على عجل وصفا تقريبا يصور بقدر
المستطاع جسد إنسان مقلوب على أحد جانبيه وأحد
ذراعيه على صدره والآخر متدلي من الفراش .

سيلفيا : أوه . . أيتها العذراء!

جاكومينو : يا إلهي!

كارميلوتشو : هس . . اسكتوا! ماذا قلت لكم؟

ينهمك الأربعة في المهمة بصوت منخفض ، ويهمسون بكلمات غير واضحة المعالم ليست سوى إعادة لما سبق أن أكدوه أو افترضوه بصوت مرتفع قبل قليل بشأن «الحي الميت» الراقد على قيد خطوات منهم . تبلغ المهمة مداها ثم تنخفض رويدا وتنتهي في آخر الأمر بإيماءات وإشارات يجب أن تكون غريبة ومضحكة تعبر عن كربهم وبؤسهم .

سيلفيا : (تغلب على ارتباكها وتنطوي على نفسها متجاهلة الآخرين ومبتعدة عنهم . تندمج في القيام بالدور المأساوي للمرأة المكلومة) جايتانو . . جايتانو . . ما أقبح البيت بدونك! لمن تترك حبيبتك سيلفيا! (تدلف من باب الحجرة المجاورة وتختفي فيها ، يصل صوتها من داخلها) يا لخسارتي فيك يا زينة الرجال! يا للمصيبة التي حلت على رأس ابني! (تواصل البكاء والنحيب) .

بالميرا : (تسترق النظر إلى كارميلوتشو وجاكومينو اللذين يتأهبان لاقتفاء أثر سيلفيا ، فتنبى قبلهما صارخة) أبي . . أبي! هاتولي أبي! . . (تلحق بأמהا) .

كارميلوتشو : أنا هنا يا أبي . . حبيبك كارميلوتشو! (يخرج جريا وراء بالميرا) .

جاكومينو : لا يهمني المال . . لا أريد الميراث . . أريد ولي نعمتي (يسرع هو الآخر ليدلف من باب الحجرة . جرس الباب يدق مرتين متواصلتين ثم مرة ثالثة . عند سماع الدقة الأخيرة يعود جاكومينو، ويذهب إلى الشرفة ويطل منها قائلاً) من؟

صوت من الداخل : مفتش الصحة .

جاكومينو : سأضيء النور (يضغط على زر الكهرباء)

كارميلوتشو : (يدخل) من هذا؟

جاكومينو : مفتش الصحة ومعه رجلان .

كارميلوتشو : ربما كانا الشاهدين . .

جاكومينو : وهل يحتاج استخراج شهادة وفاة إلى شاهدين؟ (يوجه الكلام نحو مدخل سور البيت) من هذان السيدان؟

مفتش الصحة : (يسمع صوته من الداخل) لا أعرفهما .

جيرونتا : (كالسابق) اتصلتم بي أنتم . أنا ج . س .

- جاكوميانو : آه . . فهمت . تركت الباب مفتوحا خصيصا لك .
- جيروننا : شكرا .
- جاكوميانو : على يدك اليمنى باب صغير مفتوح أيضا . . ادفعه وادخل .
- مفتش الصحة : (كالسابق) ألن تطفئ النور؟
- جاكوميانو : قد يلزمكم .
- مفتش الصحة : كلا يمكنك أن تطفئه .
- جاكوميانو : (يضغط على زر النور ويطفئه) سأفتح باب البيت (يتجه نحو الباب)
- كارميلوتشو : واحد مفتش الصحة ، والثاني ج . س المذكور في الوصية فمن يكون الثالث؟
- جاكوميانو : سنعرف الآن . (يخرج)
- بالميرا : (مطلّة برأسها من باب الحجرة المجاورة) إنه لا يتحرك يا كارميلوتشو .
- كارميلوتشو : من؟
- بالميرا : أبي .

كارميلوتشو : إذا كان لا يتحرك فمعنى هذا أنه يفضل هذا الوضع على الوضع السابق . وعلى أية حالة حضر مفتش الصحة وسيخبرنا إن كان يخدعنا أم لا ؟ وإذا اتضح أنه يخدعنا فسأثخن وجهه لطمًا فور نهوضه من على الفراش دون اعتبار إلى أنه أبي . ادخلي . (يدفع أخته أمامه بغلظة ويخرج معها)

جاكومينو : (ووراءه مفتش الصحة وجيرونوتا وازيدورو) تفضلوا . .

مفتش الصحة : هل أنت أحد أفراد العائلة؟

جاكومينو : يمكن القول إنني ابن عم الميت .

مفتش الصحة : ولماذا «يمكن القول» ؟

جاكومينو : لأن موته كان مفاجأة بنحو لا يكاد يقول المرء معه «مات جايتانو» حتى يجد من يقول له «أتريد أن ترى أنه لم يمت؟»

مفتش الصحة : إن أعظم عقاب لإنسان هو أن يعمل في بلد مثل بلدكم ، وأن يتعامل مع أناس مثلكم . الخلاصة . . هل مات ابن عمك أم لا ؟

جاكومينو : كأني أنا مفتش الصحة . . إن معرفة إذا كان قد مات أو لم يمت أمر يخصك أنت . سأطلب من زوجته وابنيه أن يخرجوا لتدخل ، وتقوم بالكشف عليه بنفسك . (يطل على الحجرة المجاورة) اخرجوا ليدخل مفتش الصحة .

(تتقدم الأم مستندة إلى ابنها وابنتها اللذين يبكيان ويقف الثلاثة في مكان وحدهم) .

مفتش الصحة : مساء الخير .

جيرونتا : مساء الخير .

سيلفيا : (تتحب) هي . . هي . .

كارميلوتشو : هي . . هي . .

بالميرا : هي . . هي . .

جاكومينو : (إلى مفتش الصحة) إذا أردت الدخول تفضل .

مفتش الصحة : متى وقعت الفاجعة؟

جاكومينو : حوالي الثامنة إلاربعا .

مفتش الصحة : هل لديكم إثبات شخصية للمتوفي؟ بطاقة شخصية مثلا .

جاكومينو : رخصة حمل سلاح . (يقدم الرخصة التي يجدها في متناول يده لمفتش الصحة) هل آتي معك؟

مفتش الصحة : لا . لا لزوم . (يدخل الحجرة) .

جاكومينو : لا بد أنك جئت لرؤية صديقك يا سيد ج . س . .
تفضل .

جيرونتا : لا . لا داعي . . من استدعى مفتش الصحة؟

جاكومينو : أنا . . فالقانون يحتم إبلاغه . فبعد أن انتهيت من
مكالمتك اتصلت به ثم ذهبت لإبلاغ القسيس .

جيرونتا : وهل حضر القسيس؟

جاكومينو : كلا ، لم يحضر ، ولم يستطع إرسال بدلة الهيكل أو
الشمعدانات فقد ماتت للأسف الشديد جدة قصاب
الخنزير في نفس اليوم .

جيرونتا : ميتان في يوم واحد .

جاكومينو : عندما علم القسيس أخذ يصيح «أين لي ببدلتي هياكل
لميتين؟» . . واحتراما للمرأة أعطى الأولوية للجدة وأرسل
إليها بدلة الهيكل وأربعة شمعدانات أما نحن فسندير
أمرنا حسب ما يقوله مفتش الصحة عند خروجه . وإذا
كانت هناك حاجة إلى الشموع سوف نشتريها في الصباح
مع الورد .

جيرونتا : لا فائدة منها لأنكم لن تحتاجوا إليها .

جاكومينو : ماذا تقول؟ أهذا مجال للمزاح؟ سينتشر الخبر في
الفجر. . وستبدأ وفود المعزيين في الحضور لتلقي عليه
النظرة الأخيرة فبأي وجه نلقاهم؟ (إلى سيلفيا) السيد
ج. س المذكور في الوصية .

سيلفيا : أكنت صديقا لزوجي؟

جيرونتا : ومازلت و سأظل صديقا له في المستقبل أيضا .

سيلفيا : شكرا لك . هذا كرم جميل منك .

جيرونتا : ماذا أصابه من مرض؟

سيلفيا : لا شيء . . لم يعان في حياتي من أي مرض ولم يمسه
طبيب طول حياته ، ودون أية مبالغة كان يتمتع بصحة
من حديد .

جيرونتا : هل شعر بالتعب فجأة؟

سيلفيا : كنا نتأهب للجلوس على المائدة لتناول الطعام ولا شيء
غير هذا .

جيرونتا : ألم يأكل؟

سيلفيا : بلى . . بل لم يحتس جرعة ماء .

جيرونتا : مادام لم يأكل فسينهض مفتوح الشهية . أليس كذلك
يا ازيدورو؟

ازيدورو : بالتأكيد . لقد نهضت أنا بشهية . . . (الحيرة تستبد بأفراد الأسرة الأربعة فيتبادلون النظرات مستفسرين)

جيرونتا : وسأشاركه الطعام فأكل معه صنفاً أو صنفين . مؤكد أن البيت لن يخلو من الطعام .

سيلفيا : هناك شربة المكرونة والفاصوليا . . وهناك أيضاً الجدي .

جيرونتا : هكذا نناقش على الطعام موضوع الأرض التي كان يريد أن يشتريها ، فقد علمت أن صاحبها يسعى إلى بيعها .

ازيدورو : الأرض التي تصل إليها إذا عبرت باركو رومانيكو؟

جيرونتا : بالضبط .

ازيدورو : إنها أرض طيبة للغاية .

سيلفيا : لا تؤاخذني ولكن من أنت وما اسمك؟

جيرونتا : يمكنك أن تسميني الآن ج . س . أما اسمي الحقيقي فسيطلعك عليه زوجك فيما بعد .

مفتش الصحة : (عائداً) أنا ذاهب .

جاكومينو : (في اهتمام) كيف حاله؟

مفتش الصحة : من؟

جاكومينو : ابن عمي . . جايتانو تروتشينا ، هل ينهض؟

مفتش الصحة : هل مسك الجنون؟ جايتانو تروتشينا سينهض به غدا
أربعة رجال ويحملونه إلى الجبابة . لقد أصيب بغيوبة أو
كما يسمونها اليوم سكتة قلبية . وهذه شهادة الوفاة .
(يقدم الشهادة لجاكومينو) أخلص التعازي وتصبحون
على خير . أين باب الخروج؟

جاكومينو : هناك .

مفتش الصحة : أترككم في رعاية الله (يخرج)

جاكومينو : (إلى سيلفيا) لم يعد هناك أدنى شك . لقد مات جايتانو
ولا أحد يستطيع عمل شيء له . عشاء ماذا ، وشراء
أرض ماذا؟ (إلى جيرونتا) إذا أردت أن تودع صديقك
فتفضل الق عليه النظرة الأخيرة .

جيرونتا : لسنا في حاجة إلى وداعه فسوف أكلمه بعد قليل .

جاكومينو : أتريد أن تكلم ميتا؟

جيرونتا : سأكلمه أنا وستكلمه أنت وستكلمه زوجته وابناه عندما
تصل إلى قلبه صيحتي المفعمة بمشاعر الحب التي تربطه
بأسرته . فبعد سنوات من المرارة والآلام والإحباط نتيجة

عدم إيمانه بأصالة وصدق الدفء العائلي لما انتابه من
شك في مشاعر ابنه وزوجته فقد استسلم للأزمة كأبي
كائن بشري ولجأ إلى الغيوبة بمحض إرادته . فإن
صحت شكوكه فستصبح غيوبته غيوبة دائمة وإن لم
تصح فستصبح غيوبة مؤقتة ليس إلا . وأنا أومن بأن
صبيحتي ستكون كافية لإعادته إلى كنف أسرته ممتلئاً ثقة
وسعادة .

ازيدورو : سيقفز من الفراش ، وسيأتي إلى هنا وترونه كالفراشة
ويغرق في الضحك والبكاء من الفرح كما ضحكت
وبكيت أنا حين نهضت من فراش الموت .

بالميرا : انتظروا . . لقد عرفت هذا السيد . . إنه الرجل الذي
يحيي الموتى ، فمنذ فترة ظهرت صورته في الصحف وإلى
جواره صورة الميت الذي أعاده إلى الحياة واعتقد أنه السيد
الواقف معه . هل اسمك ازيدورو؟

ازيدورو : بالضبط .

جيرونتا : مادمت قد تعرفتم على شخصيتي فلم يعد هناك ما يدعو
لإخفاء اسمي . أنا جيرونتا سبتزيو . وسأبدأ العمل على
الفور حتى لا يضيع الوقت . الميت في الحجرة؟

أهل البيت : نعم .

جيرونتا : ضعوا عيونكم على هذا الباب وانتبهوا جيدا (يحدق بعينه الملهمتين إلى أعلى ويصيح بصوت مدوي) جايتانو تروتشينا!

سيلفيا : انتظر لحظة يا سيد سبتزيو.

جيرونتا : ماذا جرى؟

سيلفيا : هذا ما نريد أن نسألك نحن عنه . ماذا جرى وماذا تفعل؟

جيرونتا : اعتقد أننا قلنا . .

ازيدورو : إذا كنت تريد أن يعود زوجك إلى الحياة فدعيه يعمل ولا تقاطعيه .

جيرونتا : أتحبين أن تعانقي زوجك مرة أخرى؟

سيلفيا : هيه . . آه . . طبعي، طبعي، ومن لا يسعدنا هذا؟

جيرونتا : وكذلك ابناء وأقاربه . إذن دعونا لا نضيع الوقت بل وصيحو أنتم معي لتكتمل الدائرة . . جايتانو تروتشينا!

سيلفيا : لا تصح من فضلك . . كيف أشرح لك الأمر؟!

جيرونتا : أتريد أن نحبي الرجل أم لا؟

سيلفيا : ولكنه لو خرج حقا من هذه الحجرة وراح يرقص فإن هذا سيكون صدمة للعائلة . إننا لم نعرف هذا الخبر إلا في هذه اللحظة ، ونريد أن نتأكد إن كان ما تقول يناسبنا أم لا . هل نستطيع أن نتكلم خمس دقائق عن معجزتك؟

جيرونتا : أنا لا أصنع المعجزات .

بالميرا : هذا ما كتبه الصحف .

جيرونتا : كتبه في بادئ الأمر ثم قمت بتكذيب الخبر . وعليكم أن تعلموا أنني أعدت ازيدورو هذا إلى الحياة لأن جميع المحيطين به وأنا واحد منهم كنا نكن له كل الحب والمودة ولكني كما أرى أجد فيكم بعض التردد والشك والترخو مما يجعلني مكتوف الأيدي . فأصدقيني القول يا سيدتي لأنني يجب أن أعرف الحقيقة . . ألم يحزنك رحيل زوجك؟

سيلفيا : إن من عزق الأرض مثلي يعرف جحود العواصف والجفاف .

جاكومينو : يا إلهي ! لماذا تريد الوقوف في وجه الطبيعة؟ . . إننا نعرف منذ الأزل أن الموت هو الموت وأن أحدا لم يفلت منه أبدا . ولقد مات جايتانو وانتقل إلى الأبعاد السماوية والليل شاهد على هذا ، فبأي حق تأتي أنت وتقول لأسرته التي استسلمت للحزن وأعدت نفسها لإقامة جنازته غدا

أنك ستعيد إليه الحياة وستجعله يأكل ويشرب . وبأي حق يقول صاحبنا هذا إنه سيجعله يرقص . . إن أرملته حية ترزق وهي التي يحق لها أن توافق أن لا توافق على إقامة هذا السرك . أما أنا فأري أن هذا حرام ولا يرضى به الدين وحين يحضر دون ماريو القسيس لا اعتقد أنه سيسمح لك بالقيام بلعبة كهذه .

جيرونتا : جئت إلى هنا لأوفي بالالتزام الذي قطعته على نفسي في العقد .

سيلفيا : أي عقد؟

جيرونتا : العقد الأخلاقي الذي طلب مني زوجك منذ سنتين بمحض إرادته أن أوقعه معه وتعهدت بمقتضاه دون طمع في كسب أن أعيده إلى الحياة فور موته . وها هو العقد وأنت تعرفين توقيع زوجك .

سيلفيا : (تتحقق من التوقيع) يا إلهي ، يا إلهي ، يا إلهي . .

جيرونتا : (يشير إلى جاكومينو) حق المجيء إلى هنا — إذا أراد أن يعرف ردي — أعطاه لي جايتانو تروتشينا نفسه بموجب هذا العقد وتوقيع كلينا عليه . وفوق هذا سلمني هذه الرسالة (يفضها ويقرأ) عزيزتي سيلفيا . أود أن تعرفي وكذلك أن يعرف ابني كارميلوتشو وابنتي بالميرا أنني

طلبت من السيد جيرونتا سبتزيو أن يتوجه إلى بيتي عقب وفاتي ليعيد إلي الحياة، والسيد جيرونتا لم يقبل أية نقود مقابل أتعابه ولن يقبلها أيضا بعد إنجازه لعمله، وبعد أن أقوم من فراش الموت سنذهب إلى البحر وسنقيم المآدب عشرة أيام ليل نهار فنأكل ونشرب وفي مقدمتنا الصديق جيرونتا سبتزيو ثم أنا وأنت وكارميلوتشو وبالميرا. زوجك جايتانو تروتشينا.

جاكومينو : لم يذكر اسمي .

كارميلوتشو : ذكرك في الرسالة الأخرى التي وجهها إلى أمي .

سيلفيا : التي قال فيها إنك وغد . وإنك لوغد بحق لأن الفرح ملأ قلبك عندما وقع مفتش الصحة شهادة الوفاة . .
وحين قال هو إنه جاء ليعيده إلى الحياة أكلك الغيظ .

كارميلوتشو : هذا ما جعله يفتي ويقول حرام إلى آخر فتاويه .

جاكومينو : أنا بحث بها أملاه علي قلبي ، واعتقد أن من حقي أن أتكلم فأنا وجايتانو ابنان لأخوين شقيقين واسم عائلتنا واحد .

بالميرا : وترك لك في الوصية النصيب غير المشروط .

كارميلوتشو : ثلث التركة .

سيلفيا : ولكن الخيول ستعود إلى اسطبلاتها والقمح إلى صوامعه .
ألم يقل إن أرملته هي صاحبة الحق في اتخاذ القرار؟ إذن
سأقرر أنا . يا سيد سبتزيو أجب على سؤالي برد واحد . .
هل أنت واثق من نجاح المحاولة؟

جيرونتا : إذا ساعدتموني فسأعيده إلى الحياة في خمس دقائق .

جاكومينو : سوف أخرج وانتظر هناك . (يشير إلى الشرفة) فأنا
لا أريد أن أبقى هنا . وإذا اعدتموه إلى الحياة . . .

كارميلوتشو : تخسر الميراث وتعود إلى الشارع مرة أخرى .

جاكومينو : لا، لن أخسر شيئاً لأن القضية التي كنت سترفعها علي
أنت سأرفعها أنا على جايتانو نفسه فالوصية التي
فتحتموها هناك نسخة منها عند المحامي وما هو مكتوب
مكتوب . فإذا عاد إلى الحياة فعليه أن ينفذ ما أراده قبل
وفاته وإلا فأين جدية الميت؟ (يذهب إلى الشرفة)!

سيلفيا : ارفع القضية . . ارفعها!

جيرونتا : لا يستطيع رفعها فبعودة جايتانو إلى الحياة تصبح الوصية
كأن لم تكن .

سيلفيا : هذا ما يجب أن يكون .

جيرونتا : هل أنتم مستعدون؟

سيلفيا : أيجب العمل فوراً؟

جيرونتا : كلا . . أماننا بعض الوقت .

سيلفيا : أريد أن أرتب حجرة جايتانو فقد سرت فيها الفوضى .

جيرونتا : لا عليك . . يمكنك أن ترتبها فيما بعد فلن يخفى عليه أنكم تعرضتم للحظة ارتباك واضطراب .

سيلفيا : إذا نهض ورأى الدواليب مفتوحة وملابسه ومقتنياته في غير أماكنها فسينقلب الفرع إلى ضرب وركل بحكم طبعه . سأذهب أنا وبالميرا إلى حجرتي وأذهب أنت يا كارميلوتشو إلى حقل الليمون . . الصف الثالث لا الثاني .

كارميلوتشو : حاضر (يتناول فأساً ويهرول إلى الخارج) .

سيلفيا : كنا سنترك الليلة جميع النوافذ مفتوحة لذا جمعت حاجياته ووضعتها في حجرتي . فهي هناك في أمان . ولما كان من المفروض أيضاً أن نقيم الجنازة غداً - وأنت تعرف ما يعنيه هذا من دخول كثير من الناس البيت دون أن تعرف الصالح من الطالح منهم - فقد خبأت الفضيات والنقود . .

جيرونتا : أحسنت صنعاً .

- سيلفيا : تعالي يا بالميرا .
- بالميرا : حاضر .
- ازيدورو : ألا تلزمك مساعدة؟
- سيلفيا : الحق أنها تلزمني فالواقع كلها أشياء ثقيلة . . غير الحقائق والربط (تتجه نحو السلم ووراءها بالميرا وازيدورو)
- (جاكومينو يتقدم وعينه تحقان في السلم)
- جيرونتا : (بعد وقفة قصيرة) يؤسفني ما سيحدث لك ولكني لا أستطيع إلا أن أفي بتعهدي لابن عمك .
- جاكومينو : تصرف بما يمليه عليك ضميرك وسأفعل أنا نفس الشيء .
- جيرونتا : في الدقائق العشر التي مكثتها هنا أدركت أنك الإنسان الوحيد النظيف فيهم .
- جاكومينو : ولكن ماداموا يحاولون حرق دمي فسأصبح أقدر منهم جميعا .
- جيرونتا : الجوع وبال عظيم .
- جاكومينو : وقد عانيت منه الكثير في حياتي البائسة .

جيرونتا : أود أن أساعدك .

جاكومينو : المساعدة الوحيدة التي يمكن أن تقدمها لي هي أن تغادر هذا البيت وتترك كل شيء على حاله .

جيرونتا : ماذا تقصد؟

جاكومينو : الميت له حرمة ولا يجب أن يمسه .

جيرونتا : كلا آسف ، لقد قلت لك من قبل إنه يجب أن أفي بتعهدي لابن عمك .

جاكومينو : ولنفرض أن محاولتك نجحت ، فستفي أنت بتعهدك له وسأعود أنا مرة أخرى للشارع . مزق العقد واحرق التعهد . وسأكتب لك تعهدا بالتنازل عن نصف نصيبي من الميراث .

جيرونتا : لماذا تحاول يا أخي أن تجرحني؟ إن الدم الذي ستره ينزف من قلبي حين تشطره بسلاح الرشوة هو دمك أنت يا أخي . إنني أقدم خدماتي بالمجان فلم أقبل مليا واحدا من جايتانو قبل وفاته ولن أقبل مليا واحدا أيضا بعد مماته . إن مشكلتك لا يمكن أن تحلها بالمال .

جاكومينو : وماذا لو نجحت فعلتك؟

جيرونتا : سواء نجحت أم لا فأنت مصيرك الشارع .

جاكومينو : وكيف يكون هذا؟

جيرونتا : عودة جايثانو إلى الحياة لا يجب أن تقلقك فأنا كفيل بالكلام معه وتوضيح موقفك . كما أن فرحته بالحياة ستجعله كريما معك . أما مشكلتك الكبرى فهي أن يظل ميتا ، فأنا عرفت يا صديقي نوايا الورثة . إن هؤلاء الناس لن يفرطوا بسهولة في النصيب غير المشروط الذي تركه لك ، وسيرفعون عليك القضية .

جاكومينو : لقد قالوا هذا وأكدوه . كارميلو تشو بوقاحة ، وسيرفعون قضية الحجز ويوقفون كل شيء .

جيرونتا : سيطعنون في الوصية .

جاكومينو : سفلة ، سفلة . . ولكني لم أقف مكتوف الأيدي .

جيرونتا : وماذا ستفعل؟

جاكومينو : سأוכל محامي .

(تدخل سيلفيا . تتبعها بالميرا وازيدورو . الثلاثة يحملون لفائف ومجموعة من الملابس الداخلية ، وبدلة وقميص من الحرير وحقيبة ضخمة وبندقية) .

سيلفيا : لابد من الرجوع مرة أخرى .

- بالميرا : ما أثقل هذه البندقية !
- ازيدورو : وهذه الحقبة . . فما بالناس بالحقبة الأخرى الأكبر!
- سيلفيا : ضعي البندقية في مكانها فما زال مسمارها في الحائط (تخرج ويتبعها الآخرون)
- جيرونتا : توكل محامي؟ ما أسهل القول . أولا المحامي سيطلب منك مقدما ضخما فهل لديك النقود؟
- جاكومينو : ولا ملهم واحد .
- جيرونتا : حسن . . سأعطيك أنا مقدم المحامي .
- جاكومينو : حقا تقول؟
- جيرونتا : يمكنك أن تطلب مني ما تشاء .
- جاكومينو : وسأرده لك عن آخر ملهم .
- جيرونتا : لماذا تسيء إلي؟
- جاكومينو : لم؟ ماذا بدر مني؟
- جيرونتا : من قبل جرحتي والآن تهوي على وجهي بصفعة .
- جاكومينو : أنا؟

جیرونتا : ولکنی اصفح عنک لأنک لم تقصد الإساءة عن عمد .
کم من أذى الحقوا بک یا أخی ، وکم اهتز قلبک وملاءه
الشک فی عمل الخیر للظلم الذی غرسه فی الأرض منذ
الأزل جشع الجشعین ، وظلم الظالمین . . یا أخی
الحبيب ، أنا لم أقل إني سأقرضک النقود وإنما قلت
سأعطیها لک ، . فلم لا تصدقني .

جاکومینو : لا تغضب مني یا أخی . . فأنا أكاد أبکی ، بل أنا
أصدقک ، وسيزداد تصديقي یقینا حين تقدم لي النقود .

جیرونتا : من الآن إذا شئت فهل تريدها فوراً؟ سأعطیها لک ، ولكن
أتعرف ماذا يعني رفع قضية مدنية لخلاف علی وصية؟ يعني
تأجيل وتأجيل وتأجيل ومعارضة واستئناف وطعن فی
الاستئناف ونقض وإبرام . . وتمر عشرات وعشرات من
السنين . . خمسون أو ستون أو سبعون أو ثمانون سنة ،
وعندما یبتون فی القضية فی آخر الأمر وتخسرهما وأنت
ستخسرهما بدون شک ستصل المصاريف إلى أرقام فلكية
وستعجز عن دفعها ، ویلقون بک فی السجن .

جاکومینو : ألم تقل إنک ستعطيني النقود؟

جیرونتا : بكل تأكيد ، ولكن ماذا يحدث لو وافتنی المنية أثناء نظر
القضية؟ من یعيد إلى الحياة لأدفع لک مصاريف
القضية؟

سيلفيا : (تعود وبصحبته بالميرا وازيدورو) كم أتصيب عرقا!

يرتقي الثلاثة السلم في عجلة .

جاكومينو : ومن ثم؟

جيرونتا : ومن ثم . . ومن ثم ليس صحيحا إلا ما قلته لك . إنك واحد من الناس البسطاء الطيبين الأصلاء الذين أكن لهم كل تقدير وأحبهم وأدافع عنهم . وهذا هو السبب الذي شدني إليك منذ أن رأيتك . ولكن لا تؤاخذني إذا قلت لك إنك أسأت بطيبتك هذه إلى من أحسن إليك بالذات وأقصد به جايتانو تروتشينا .

جاكومينو : أنا؟

جيرونتا : نعم أنت . لقد تركت الورثة ينهبون حجرته ويفتحون الدواليب ويخفون النقود والمجوهرات دون أن تتدخل ، ودون أن تحاول وقف تعديهم عليه .

جاكومينو : وماذا كان في وسعي أن أفعل ؟ لقد هجموا على الحجرة كالوحوش الضارية بمجرد أن أغمض عيني . ودست أرملة رأسها في الدواليب وعبثت بكل شيء ، وأخذوا يتبارون فيما بينهم من ينهب أكثر من الآخر .

جيرونتا : ووقفت أنت مكتوف الأيدي؟

جاكومينو : لم يكن أمامي غير هذا فبأي حق أمنعهم؟

جيرونتا : بالحق الذي منحه لك جايتانو نفسه . فقد ترك لك ثلث كل شيء في التركة . أترى هذه المائدة؟ كم عدد الكراسي هنا؟ تسعون؟ إن لك منهم ثلاثين . وكم طبقا هنا؟ ثلاثمائة؟ إن لك منهم مئة . وقل هذا أيضا عن الثياب والملابس الداخلية وغيرها . ومن حسن الحظ أنهم يعيدون كل شيء إلى مكانه وبالتالي فلا محل للخوف ، ولكن من كان سيحاسبك أنت ويقول لك : «كيف تسمح بهذا؟ أحسن إليك وأترك لك ثلث تركتي وأنت لا تفكر في جرد التركة ، وحصر كل مقتنيات البيت؟ ألا تهتم باستدعاء النيابة لتشميع الدوايب بالشمع الأحمر؟» .

جاكومينو : وكيل النيابة في بيته في مثل هذه الساعة .

جيرونتا : الأمر لا يقتضي أكثر من عشر دقائق للوصول إلى الميدان . هل معك شهادة الوفاة؟

جاكومينو : (يقدمها له) نعم ومعني أيضا الوصية .

جيرونتا : في حالة عاجلة مثل حالتك وكيل النيابة يصدر أوامره على الفور، وفي هذه الساعة تجد دون سلفاتوري كومو وكيل النيابة في المقهى . ومن غير المعقول ألا يوجد شرطيان يعاونانه .

سيلفيا : (تصحبها كالعادة بالميرا وازيدورو حاملين بالمقتنيات)
هذه آخر الأشياء يا سيد جيرونتا . .

سنضعها محلها ، ونصبح جاهزين (تصبح نحو الشرفة)
كارميلوتشو!

تخرج سيلفيا ومعها بالميرا وازيدورو.

جاكومينو : لا أريد الحضور عندما تعقد الدائرة لإعادة جايتانو إلى
الحياة .

جيرونتا : حضورك ليس ضروريا .

جاكومينو : الواقع أني أشعر بالإعياء بعد كل ما حدث اليوم كما
انتابني صداع لعين لن أتخلص منه إلا بالخروج وتنسم
الهواء .

جيرونتا : تنسم الهواء يعيدك إلى حالتك الطبيعية .

جاكومينو : آمل هذا ، والحق أنك أصبت يا أخي بالقضايا حبالها
طويلة .

جيرونتا : ولا أحد يعرف نهايتها . وليست هذه هي المرة الأولى التي
يدخل فيها برىء السجن «فمن له قديسون يحمونه
يدخل الجنة» وأشرار الناس لهم قديسون ، ولكن أتعرف
أين يحتفظون بهم؟ في خزائن النقود .

- جاكومينو : هذا ما يحدث .
- جيرونتا : دعك إذن من القضايا وإلا ظللت مغلول الأيدي والأرجل طول حياتك .
- جاكومينو : (يتأهب للخروج ثم يتراجع) أخي !
- جيرونتا : أوامرك .
- جاكومينو : أريد أن أسألك معروفا . كم تستغرق من الوقت لإعادة جايتانو إلى الحياة .
- جيرونتا : هذا يعتمد على المناخ الذي يسود أثناء العمل . ففي بعض الأحيان لا تكفي ساعتان ، وفي كل الحالات لا تتحقق هذه الظاهرة أبدا قبل نصف ساعة .
- جاكومينو : إذن من المستحسن أن انصرف على الفور يا أخي (ينخرج)
- سيلفيا : (تدخل زافرة) يا لها من هدة حيل ! أخيرا وضعنا كل شيء في محله . (تتوجه بالكلام إلى الحجرة المجاورة) اجعلي لك همة يا بالميرا !
- بالميرا : (من داخل الحجرة) الدولاب لا يقفل .
- ازيدورو : (كالسابق) دعيه لي يا أنسة .

سيلفيا : بعد أن تقفليه ضعي سلسلة المفاتيح في جيب الجاكتة ثم
ضعي الساعة ، والسلسلة الذهبية ، والخاتم على
الكومودينو.

كارميلوتشو : (قادم من الدور الأرضي وعلى كتفه صندوق ثقيل من
الحديد المقوى) هذا وزنه قنطار!

سيلفيا : دع ذلك الرجل الطيب يعاونك وضعه تحت السرير في
مكانه (كارميلوتشو يجتاز الحجرة ويخرج) يا إلهي! ما كل
هذا العطش! لعلها شربة المكرونة والفاصوليا. (تقترب
من المائدة وتسكب الماء في الكوب وتحتسيه).

بالميرا : (تدخل) قفلنا الدولاب ، والمفاتيح وضعتها في مكانها.

سيلفيا : أين جاكومينو؟

جيرونتا : شعر المسكين بالتعب فخرج ليتمشى في الخارج ويتنسم
الهواء.

سيلفيا : يا له من رجل لثيم!.. لقد كان دائما مصدر نكد
لجائتانو وللبيت!

كارميلوتشو : (ووراءه ازيدورو) وضعنا الصندوق في مكانه.

سيلفيا : جاكومينو خرج ليشم الهواء.

كارميلوتشو : طبيعي ، فقد أدرك أن الموقف انقلب ضده.

سيلفيا : مفهوم .

جيرونتا : وجوده سيصدر طاقة سلبية من شأنها أن تقطع الدائرة .
فمن الأفضل أن يظل بعيداً لنجاح مهمتي . ففيما بيننا
ستكتمل الدائرة على الفور .

سيلفيا : أي دائرة؟

جيرونتا : دائرة المحبة ، ونجاحها يتوقف عليكم ، فأنتم التيار
الكهربي ، وأنا السلك الذي يمر من خلاله التيار وإذا
أردنا أن يعود نبض الحياة مرة أخرى لذلك القلب المنتظر
هناك فيتعين أن تصل إليه صيحتي بعد أن تستجمع من
قلوبكم المكلومة لفقد الزوج والأب خلاصة المحبة
الطاهرة الخالصة المنزهة من الغرض ، واللحظة مناسبة
ولا داعي لإضاعة الوقت ، فليركز كل منكم مشاعره
ويستحضر في ذاكرته أجمل المناسبات وأرقها ، وأكثرها
دفئاً في حياتكم من يوم الزواج إلى الساعات الأخيرة قبل
وفاته . (يتبادل الثلاثة نظرات ذات مغزى) . ابقوا في
أماكنكم وركزوا جيداً . (بعد وقفة قصيرة) جايتانو
تروتشينا ، يا أخي ، أنت لست ميتاً ، انهض من رقادك .
(ينتظر ذاهلاً جامداً . ازيدورو يحدق في الحجرة المجاورة
واضعاً يده فوق حاجبيه . الورثة الثلاثة جهلة ومؤمنون
بالخرافات ، يشبتون أبصارهم على ازيدورو . بعد وقفة
قصيرة جيرونتا يسأل) ماذا يفعل؟

ازيدورو : لا شيء ، ولكن . .

جيرونتا : ولكن ماذا؟

ازيدورو : الهواء فتح النافذة قليلا ولكنه لم يتحرك من موضعه .

جيرونتا : إنه يقاوم لأنه في حياته كان يعتقد أن حبكم له زائف ويريد الآن في موته أن يتأكد قبل عودته إلى كنف الأسرة أنه كان مخطئا . . إنه كالأطفال الصغار فحين يقعون مرة يمتنعون عن المشي خشية أن يقعوا مرة أخرى . ولكننا سنجعله يمشي رغم تردده . حاولوا أن تصلوا إلى أقصى تركيز . جايتانو تروتشينا ، يا أخي ! أنت لست ميتا انفض من رقادك . (بعد فترة صمت قصيرة مفعمة بالقلق) هل تحرك يا ازيدورو؟

ازيدورو : كلا يا سيدي .

جيرونتا : مازال يقاوم!

ازيدورو : رأسه ناشف .

جيرونتا : هناك شيء يفسد الجو هنا . ساعدوني يا أصدقائي . .
أعينوني .

سيلفيا : أنا ركزت كل مشاعري .

- كارميلوتشو : وأنا أيضا .
- بالميرا : وأنا .
- جيرونتا : في أي شيء . . هذا هو المهم . إن صيحتي تجد في قلوبكم حقدا على الفقيد أكثر مما تجد من محبة طاهرة .
- سيلفيا : طبعي . فأنا كلما فكرت في وصيته كلما غلى الدم في عروقي .
- جيرونتا : مادام الموقف هكذا فلا فائدة من أية محاولة . أنت يا سيدتي لا تهتمين برؤية زوجك حيا مرة أخرى .
- سيلفيا : بل اهتم .
- جيرونتا : من أجل ميراث جاكومينو؟
- سيلفيا : ميراث جاكومينو من جانب وهذه الفاجرة من جانب آخر (تشير إلى ابنتها) كانت على وشك الزواج فإذا ظل جايثانوميتا سترتدي ملابس الحداد ونؤجل الفرح ستة أو سبعة أشهر على الأقل ، ففي هذه البلدة القذرة من لا يراعي واجب الحداد أفضل له أن يختفي منها .
- كارميلوتشو : موتها أفضل . موتها أفضل من جلب العار . وحق من أسهاني كارميلوتشو لأقتلك ! (يهجم على أخته)
- بالميرا : أغيشيني يا أمي ! (تهرب وتلوذ بركن من أركان الحجرة)

كارميلوتشو : لا تهربي، لا تهربي، ليس هذا وقت الحساب. الوقت
سأحدده أنا أيتها الفاجرة. (يندفع نحوها ولكن
ازيدورو وسيلفيا يعترضانه)

ازيدورو : ماذا تفعل. . انتظرا!

سيلفيا : اهدأ يا كارميلوتشو!

جيرونتا : ما الحكاية؟

سيلفيا : الحكاية أننا سنحتفل بقرانها في الكنيسة وبطنها أمامها.
إنها حامل في الشهر الثالث. يا للعار! يا للعار!

كارميلوتشو : سأقتلها! سأقتلها!

جيرونتا : الهدوء، الهدوء أنتم بشر أم حيوانات؟ أترون أن
ما تفعلونه صحيح؟ البنت أخطأت ولكن يمكن إصلاح
كل شيء بالحب. يجب أن تفكروا الآن في جايتانو
فقط.

سيلفيا : إن الغضب يملكني حين أفكر فيه هو بالذات. هو
الذي خرب البيت (تجهش بالبكاء) أي حب؟ متى كان
هناك حب؟ إن زواجي منه لم يعد علي إلا بالهم والبكاء
ولم يجلب لي إلا الغم.

جاكومينو : (يرتفع صوته من الداخل) تفضل يا دون سلفاتوري!
(يدخل ومعه دون سلفاتوري كومو وشرطيان).

سلفاتوري : مساء الخير (يضع على المائدة الأدوات الخاصة بالشمع الأحمر، ويبدأ في إشعال الشمع) الشرطيان يقفان على باب البيت .

كارميلوتشو : أفي هذه الساعة يا دون سلفاتوري؟

سلفاتوري : (وهو يذيب الشمع على الشعلة) وضع الشمع الأحمر لا يحتاج إلى مواعيد .

سيلفيا : الشمع الأحمر! ماذا دهاك يا جاكومينو؟

جاكومينو : يمكنك أن تبدأ بهذه الحجرة يا دون سلفاتوري ثم بباقي الحجرات .

دون سلفاتوري يبدأ في مباشرة عمله بمعاونة الشرطين

سيلفيا : وأنت . . أليس لديك ما تقوله يا سيد سبتزيو؟

جيرونتا : هذا عمل لا يعنيني ، ولا ينبغي أن تتأثري به . أريدون وضع الشمع الأحمر؟ حسن ، فليضعوه . وماذا يهمك منه؟ فبمجرد أن تكتمل دائرة المحبة سينهض جايتانو تروتشينا من فراشه ، وينزع الشمع . عليك أن تهدئي ، وتركزي مشاعرك ، وعندما تصبحون جاهزين اخبروني ، وسأطلق صيحتي .

يسدل الستار

الفصل الثالث

جمهور من أهل البلدة . أجراء وسماسة وعمال وتجار بكامل عائلاتهم في ضيافة نابليونى بوتنا ، أكلوا حتى التخمة وشربوا ملء الجوف . الساعة الحادية عشر مساء ومازالوا ينتشرون بين الأشجار ويتنقلون في الممرات وعلى الطريق الواسع المفضي إلى مدخل البيت ويواصلون التهام الطعام واحتساء الخمر منتشين بالغناء ، والرقص الشعبي ليتوجوا الوليمة الفاخرة السخية التي أقامها صاحب البيت بمناسبة زواجه الذي عقده في الصباح وفقا للشعائر الدينية .

نابليونى لم يخل ببشرة النقود يمينا ويسارا حتى قاعة بيت جيرونتا الضخمة زينها بباقات الزهور وعيدانها المورقة التي امتدت بشرائط الزينة من ناحية إلى ناحية أخرى وكلل أطرافها بعناقيد كبيرة من الليمون والبرتقال المتراكمة بعضها فوق بعض بنحو يلفت الأنظار، ووضع فوق الموائد وعلى قطع الأثاث وفي كل مكان مناسب سلال الفاكهة الطازجة والدواجن المحمرة والمشوية ببذخ يغلب عليه الذوق الريفي ، فمن عتاقى الدجاج إلى البط ومن الديوك المسمنة إلى الديوك الرومية وضمها في ربطات تشتمل كل ربطة على ثلاثة أو أربعة منها .

صخب المدعوين يهدأ ويصل صده إلى القاعة الضخمة من قريب أحيانا ، وأحيانا من بعيد على حين تلقي أضواء الاحتفال المبهرة بأشعتها من أسفل على فرجات النوافذ المفتوحة على مصراعيها فتحدث تناقضا مع إضاءة الكيوسين المعتادة في الداخل .

في أحد الأركان يجلس رجل في منتصف العمر يرتدي ملابس داكنة اللون ويضع على عينيه نظارة سوداء ولا يعتني بمظهره، يتحسس بكعبية حقبية صغيرة داكنة اللون هي الأخرى، يضعها بين المقعد وساقيه، ويستغرق في قراءة بعض الأوراق التي يخرجها بين الحين والحين من حقبية يد جلدية. يظل شاردًا بفكره بعيدًا عن كل ما يحدث في القاعة الضخمة وحول البيت.

يطل ازيدورو من إحدى النوافذ ويشاهد مسرورا مظاهر الاحتفال المتفجرة وصيحات الفرح والضحكات العالية والانخاف المتبادلة على شرف العروسين. تتعالى أصوات المدعوين في الداخل «مئة عام من الصحة يا نابليون»، «في صحتك!»، «اشربوا، اشربوا معي في صحة العروسين السعيدين»، «في صحتكم»، «عاش نابليون»، «عاش رجل البر والإحسان»، «عاش!»

نابليون : (من الداخل) شكرا، شكرا، كلوا واشربوا فكل هذا ملك لكم.

أصوات جماعية : (كالسابق) عاش نابليون! عاش.. عاش..

الموسيقى مايسترو

تبدأ فرقة موسيقى مكونة من آلات الجيتار والماندولين والفيلهارموني في عزف مطلع أغنية ريفية، وترتفع عقيرة جمهور المدعوين بالغناء معا :

الحياة عابرة والخمر عابر

الخمر عابرة وجميعنا عابر

ما تجودون به من خمر

لا يبقى منه في الجوف ، لا يبقى منه شيء

لا بد أن يمر

تمر الحياة في سرعة البرق

وفي سرعتها تمر الخمر

ها هنا هاتيه لنا

هذي كأس لي أنا وهذي كأس لك أنت

واملاً لنا ثانيا

املاً لنا ، املاً لنا

يغنون ويرقصون ويعربدون على القرار الأخير

مساعد الشرطة : (تبعه زوجته نونزياتا ، امرأة في نحو الأربعين ، وابنته بريجيда ، وتبلغ من العمر الخامسة عشر) ادخلي يا نونزياتا ولنسأل ازيدورو.

نونزياتا : لا أريد أن أبقى لحظة واحدة. ولن أنسى هذه الليلة ما حييت. يا إلهي! ما أقبح هؤلاء الناس!

مساعد الشرطة : إنهم أناس بسطاء . فلاحون وأجراء وسماسرة .

نونتزياتا : وقليلو الحياء ومبتذلون لا يعرفون الاحترام .

مساعد الشرطة : (إلى ابنته) ومتى حدث هذا؟

بريجيدا : عندما كنت تتناول أنت وأمي ساندوتش الخنزير . . كتبنا
تضعان عليه الملح على حين كنت أنا قد تناولته . وفجأة
شعرت بيد رجل شايب عاري الصدر حافي القدمين
يشدني ، ويقول : «أنا الذي سيسقيك الخمر» ، فقلت
له : «أنا لا أشربها» قال : «لابد أن تشربي كأسا . . هيا
أمامي» . وسار بي في الظلام في ممر وراء أشجار
الليمون .

مساعد الشرطة : ألا تعرفين من هو؟

بريجيدا : لا ، لا أعرفه ، ولكن شعره شايب .

نونتزياتا : ألن تقولي ماذا فعل بك؟ .

بريجيدا : لا شيء يا أُمي . . فقط كشف لي عن نفسه في وضع
فاضح .

مساعد الشرطة : السافل . .

بريجيدا : كدت أكسر ساقي لأهرب منه .

نونتزياتا : لنحمد الله أن الممر كان مظلمًا .

بريجيدا : ماذا تقولين، اليوم قمر ١٤ يا أمي .

نونتزياتا : (تشعر بالغثيان) إلى هذا الحد، ماذا دهانا . . رجل شايب!!!

مساعد الشرطة : الكلام عيب، وما كنت أحب أن أخوض في هذا الموضوع، ولكن أصبح في نظرك أن تلبس البنت مثل هذا الملبس؟ .

الفتاة تغالي في تقليد الموضة على الذوق الريفي وترتدي «المني جيب»

نونتزياتا : لو كانت في مدينة لما نظر إليها أحد، أما في هذه البلدة القدرة . . هيا بنا لنصرف . .

مساعد الشرطة : أريد أن أحيي السيد سبتزيو قبل انصرافي، ثم إني لا أستطيع أن أصحبكم إلى البيت .

نونتزياتا : ولماذا؟

مساعد الشرطة : انتظري لحظة . ازيدورو! هل السيد سبتزيو موجود؟

ازيدورو : كلا، ذهب إلى نابولي لزيارة شقيقته لأنها شعرت بوعكة مفاجئة، ولكنه سيحضر بعد قليل، فقد اتصل منذ ساعة ونصف وأخبرني أنه ذاهب ليركب سيارته ويحضر.

مساعد الشرطة : إذن لنفعل هكذا . سأقوم أنا بالاتصال بقسم سورتو ليرسلوا لنا عشرة عساكر لتعزيز القوة ، فكما هو واضح الخمر أطاحت بالرؤوس ، وبعد أن ينتهي الحفل ستبدأ المجادلات وتطفو على السطح الأحقاد القديمة والمصالح الشخصية فيقول أحدهم للآخر « أنت ديوث » ويرد الآخر « بل الديوث هو أنت » وسنضطر للانشغال بما لا يقل عن عشرين من هؤلاء المجرمين فنلقي ببعضهم في الحجز ونحمل البعض الآخر إلى الإسعاف . أما أنتم فابقوا هنا في غيابي وأطلا من النافذة مع ازيدورو وتمتعا بالحفل . وفي هذه الأثناء قد يصل السيد سبتزيو فنحييه ثم ننصرف .

ازيدورو : النافذة واسعة . . سنجلس هنا .

مساعد الشرطة : لا تحاولوا النزول إلى أسفل لأي سبب .

نونتزياتا : ومن يحاول هذا؟ والله حتى لو قتلوني!

مساعد الشرطة : أنا ذاهب (يخرج) يجذب انتباه الثلاثة تصفيق حاد من أسفل وأصوات عالية تطغى على الهمهمة المعتادة .

ازيدورو : (يسرع إلى النافذة ويعلن) العروس! هل رأيتموها من قبل؟

بريجيدا : في الكنيسة .

ازيدورو : لقد غيرت رداءها مرة أخرى . . منذ الصباح وحتى الآن

غيرت ثلاثة فساتين (الأم والابنة تسرعان إلى النافذة)
نابليون سيقص مع العروس .

نونتزياتا : أهى تلك؟

ازيدورو : هى بعينها .

بريجيدا : صبغت وجهها بالمساحيق ، ولكن لا يخفى أنها عجوز .

جيرونتا : (يدخل) مساء الخير يا سيدة نونتزياتا . . مساء الخير
يا آنسة بريجيذا .

نونتزياتا : مساء الخير .

بريجيدا : مساء الخير يا سيد سبتزيو .

جيرونتا : كم صرت فتاة جميلة ! لقد شاهدتك صغيرة هكذا . . أين
أبوك؟

بريجيدا : ذهب ليتصل بقسم سورنتو .

نونتزياتا : سيعود الآن ليسلم عليك وليصحبنا إلى البيت .

ازيدورو : كيف حال السيدة أختك؟

جيرونتا : (سأهيا) أختي من؟

- ازيدورو : السيدة ماتيلدة . .
- جيرونتا : آه، حقا. بخير. . بخير. . وعكة خفيفة ليس إلا، ولكنها أصرت على أن أتناول معها الطعام فتأخرت في الحضور.
- ازيدورو : السيد لنشانو ينتظرك .
- جيرونتا : عزيزي لنشانو. . أهلا بك!
- لنشانو : (متملقا) خادمك .
- جيرونتا : هل تنتظر منذ وقت طويل؟
- لنشانو : منذ ساعة تقريبا ولكن لا يهم .
- جيرونتا : لقد زاد من تأخيري زحمة المرور. هل الأخبار طيبة؟
- لنشانو : طيبة . . طيبة. لو سمح لي وقتك بخمس دقائق، أطلعك على كل شيء .
- نونتزياتا : هيا بنا يا بريجيда . . لنترك السيد سبتزيو على راحته .
- بريجيда : لن أنزل إلى أسفل .
- ازيدورو : توجد في الحجرة المجاورة نافذة واسعة أخرى يمكننا أن نشاهد الحفل منها . هيا بنا .

- جيرونتا : خمس دقائق فقط وألحق بكم .
- نونتزياتا : تفضل فهذا بيتك .
- جيرونتا : اغلق النوافذ يا ازيدورو فالضجة شديدة .
- ازيدورو : (يغلق النوافذ ثم يتوجه إلى الأم وابنتها) تفضلا .
- نونتزياتا : يا ذنك .
- بريجيدا : يا ذنك .
- جيرونتا : تفضلي يا حبيبتى ، تفضلي (يخرج ازيدورو ويرفقه المرأة وابنتها) اجلس يا سيد لنشانو (يشير إلى المكان المواجه للمكتب)
- لنشانو : شكرا لك ! (يضع أثناء جلوسه حقيبة اليد الجلدية على المكتب والحقيبة الصغيرة بين ساقيه والمقعد كما فعل من قبل)
- جيرونتا : (مسترخيا على كرسي المكتب المريح) حسن ؟
- لنشانو : يا سيد سبتزيو إنني وددت لو أصنع لك تمثالا من الذهب لكل ما قدمته من خير وما تقدمه وما ستقدمه لي ولأسرتي كلها .

جيرونتا : لقد رددت هذا مرارا وتكرارا وفي كل مرة قلت لك
لا يجب أن تشعر بأنك مدين لي بالعرفان .

إن القليل الذي أفعله من أجلك أحصل على مقابل مجز
له بالسعادة التي تمنحها لي مساعدة صديق محترم أحبه
وأقدره .

لنشانو : (يهب واقفا متأثرا) وأنا لا يسعني إلا أن أشكرك يا سيد
سبتزيو (يعود إلى الجلوس) إن قولك هذا يثلج صدري
ويشعري بالتأثر، وأقول يشعري بالتأثر لأنني أحيانا
أتساءل : ترى لماذا يشملني السيد سبتزيو بكل هذا
العطف؟ وأي سجايا خفية يجدها في؟ يا سيد سبتزيو أنا
لا أحد يحبني .

جيرونتا : أليس لك أصدقاء؟

لنشانو : بالتأكيد! ولكن بما أني أعيش في حالي وأحرص على
تحقيق مصالحتي ، فإنهم يصفونني بأني دب غير أليف ،
وأني أجري وراء إعلانات التفليسات واشتري الأملاك
التي تعرضها المحاكم في المزاد بأبخس الأسعار. فما معنى
هذا؟ أليس لكل إنسان نظام يدير به حياته؟ وصدقني
يا سيد سبتزيو أنهم يكرهونني . يكرهونني . .

جيرونتا : ولهذا أحبك أنا .

- لنشانو : أنت رجل فريد من نوعك .
- جيرونتا : دعك من المجاملات ، ولندخل في لب الموضوع . هل انتهيت من مسألة ورثة تروتشينا؟
- لنشانو : على خير ما يرام . ولكن كم عانيت منهم ! إنهم أناس غريبو الطباع ، أجلاف ، متأخرون ولا عقل لهم .
- فكلما حاولت أن أشرح لهم حقيقة الأمر كلما ازدادوا تحفزا وريبة . إنهم أهل سوء يا سيد سبتزيو وطبيعي أنه وسط عائلة كهذه لابد لرجل مثل جايتانو تروتشينا أن يموت بالسكتة القلبية ! يا للمسكين ! كيف كان في استطاعتك أن تعيده إلى الحياة؟ !
- جيرونتا : لقد سلك مسلكا حميدا في حياته ، واحترم العقد ، وكان له أن يثق في نجاح مهمتي ، ولكن دائرة المحبة لم تلتئم أبدا لأن الحب لا أثر له في هذه العائلة .
- لنشانو : أي حب لا سمح الله ! إنهم ثلاثة وحوش .
- جيرونتا : وكيف سويت الموضوع معهم؟
- لنشانو : على هذا النحو (يخرج ملفا من الحقيبة ثم يتناول منه ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة ويطلع عليها أثناء كلامه) بعد مراجعة الشهر العقاري والرهونات تبلغ تركة المرحوم جايتانو تروتشينا ما قيمته ٩٠٠ مليون ليرة كاملة . فقد ربح المرحوم الكثير من عمله بالزراعة والبناء .

- جیرونتا : اكمل .
- لنشانو : وتتجاوز المليون لتصبح حوالي مليون ونصف إذا أضفنا إليها سندات الخزنة المستخرجة باسم حاملها ، والتي وجدت في الخزينة الحديدية .
- جیرونتا : (فاغرا فاهه مندهشا) آه . . حقا!
- لنشانو : الجزء الحر المرهون بإرادة الموصي والخاص بقريهم . . ما اسم الرجل الذي طلب وضع الشمع الأحمر؟
- جیرونتا : جاكومينو تروتشينا .
- لنشانو : نعم هو . . نصيب هذا الجاكومينو حوالي ٤٠٠ مليون ليرة ، ولكن عليه أن يدفع ضريبة الأيلولة .
- جیرونتا : ولكنه لن يدفعها عن سندات الخزنة .
- لنشانو : كلا . . كلا . . إن السندات معفاة من أي نوع من ضرائب الأيلولة الراهنة واللاحقة . وهذه ضريبة حظ ، ومن المدهش حقا أنك في كل مرة تكلفني فيها بعمل من هذا النوع أجد دائما سندات الخزنة .
- جیرونتا : فعلا .

لنشانو : قلت لك إنها ضربة حظ لأنني بهذا الشكل استطعت أن أثبت للورثة أن أملاكهم ستظل خالصة لهم ، ويمكنهم استغلالها كما يحلو لهم بشرط أن يقوموا أولاً بتصفية وضع جاكومينو.

جيرونتا : وهل قبلوا؟

لنشانو : بعد أن استهلكت ١٨ قميصاً من العرق ، وبعد أن سألوا بأنفسهم عن جميع التفاصيل الدقيقة . ولا استطيع أن أصف لك مقدار الحقد الذي يكونه لقريبهم هذا . فمِنذ الليلة التي طلب فيها وضع الشمع الأحمر لم يروا وجهه . أما كارميلوتشو فإنه يجوب الطرقات حاملاً في جيبه المسدس ويقول إنه سيطلق عليه النار أينما وجده .

جيرونتا : اكمل .

لنشانو : لقد أنجزت كل شيء كما ينبغي ، وأخذ الورثة سندات خزانة من الخزينة قيمتها ٣٠٠ مليون ليرة وأودعوها لدى موثق العقود بشرط ألا يسلمها لأحد إلا بعد تقديم شهادة يتنازل فيها جاكومينو تروتشينا عن الميراث . وأي شخص يذهب إلى الموثق ، وليكن أنا أو أنت ، ويقدم له الشهادة سيسلمه مبلغ الـ ٣٠٠ مليون ليرة .

جيرونتا : إذن استراح جاكومينو.

لنشانو : أكثر من اللازم .

جيرونتا : ماذا تعني بأكثر من اللازم؟

لنشانو

: نعم أكثر من اللازم لأنني أعرف رأيك جيدا، وأدرك مدى
الحظ الذي أوقع هذا الجاكومينو بين يديك . فأنت قادر
على أن تأخذ الـ ٣٠٠ مليون ليرة التي معي هنا في
الحقبة وأن تعطيها له كلها بعد خصم المكافأة البسيطة
التي ستكرم بها علي .

جيرونتا

: سأعطيها له لأنها تخصه .

لنشانو

: دعنا من مسألة أنها تخصه أو لا تخصه أو إذا كان
يستحقها أو لا يستحقها، ولا تؤاخذني إذا كنت أقول
لك هذا ولكنني أرى أنك لو أعطيته المبلغ كاملا فإنك
ترتكب ظلما ليس في حقي وحدي وإنما في حقك أنت
أيضا . أما إذا عقدنا اتفاقا بسيطا بيني وبينك . .

جيرونتا

: كفى . . أنت مخطيء . وليست هذه هي المرة الأولى التي
تحاول فيها أن تحملني على مغالطة ضميري . وأنا أقول
لك بإخلاص إن تصرفك هذا أصبح النقطة السوداء
الوحيدة في صداقتنا فأنت تعرف جيدا أنني لا أبغي
الربح من وراء كل ما أفعل . فأنا أحمي حقوق جاكومينو
تروتشينا كما أحمي حقوق أي أحد آخر، وكذلك حقوقك
أنت نفسك في حدود المستطاع . جاكومينو حجز بالفعل
تذكرة سفر بالطائرة للذهاب إلى الأرجنتين ، وسيسافر
صباح الغد وفي يده ميراثه . وهو لا يريد إضاعة الوقت .
فإذا أردت أن توفر عليه الوقت اللازم لتسجيل التنازل
وإعطائه النقود سيقدم لك أتعابا خمسة ملايين ليرة .

- لنشانو : (في خيبة أمل) خمسة ملايين ليرة؟!
- جيرونتا : وسيدفعها مقدما. أين النقود؟
- لنشانو : في الحقيبة.
- جيرونتا : افتحها وضع النقود هنا.
- لنشانو : فكر في الأمر جيداً.
- جيرونتا : أنت تعرف طبعي. وإذا كان في رأيك أن خمسة ملايين ليرة مبلغ قليل تستطيع أن ترفض الصفقة. وبكل تواضع يمكنني أن أدفع أنا الـ ٣٠٠ مليون ليرة لجاكومينو، وبما أنني لا أتقاضى أجراً عن عملي فإنه سيوفر الملايين الخمسة التي أردت لك أن تربحها.
- لنشانو : (قلقا) لا. لا، فأنا أعول أسرتي بهذه الصفقات الصغيرة.
- جيرونتا : إني أحرص منك على أسرتك.
- لنشانو : صحيح . . صحيح.
- جيرونتا : إذن لا تغال، وعليك أن ترضى بالقليل والصفقات كثيرة.
- لنشانو : الحق معك.

- جيرونتا : ضع النقود هنا .
- لنشانو : (يقوم بمساعدة جيرونتا بإفراغ الحقيبة ويضع النقود فوق المكتب) الواقع أني كنت اعتقد أن من الممكن أن تبدي شيئاً من المرونة فأحضرت مائتي مليون ليرة سندات خزانة ومئة مليون نقداً .
- جيرونتا : أسأت الاعتقاد .
- لنشانو : لو قبلت ما عرضت عليك كان بوسعك أن تقتطع جزءاً من المبلغ . .
- جيرونتا : ولكنني لم أقبل العرض . (كلما يضع لنشانو على المكتب رزماً من النقود قيمتها مليون ليرة يدسها جيرونتا في درج المكتب ويعدها) عشر رزم في عشر يصبحون مئة رزمة بالضبط . (يأخذ خمس رزم ويناولها للنشانو) هذه هي الخمسة ملايين ، فالدفع مقدماً كما وعدتك . .
- لنشانو : (يضع النقود في جيبه) وأنا في غاية الامتنان والشكر . هلا تفضلت بإعطائي الحقيبة؟
- جيرونتا : وأين يضع جاكومينو تروتشينا نقوده؟
- لنشانو : ولكن الحقيبة حقييتي .
- جيرونتا : حقيبة قديمة ويمكنك أن تشتري واحدة أخرى من الفبر مثلها .

- لنشانو : أعليّ أن أتحمل ثمن حقبة جديدة أيضا؟
- جيرونتا : كم ثمنها؟ خمسة أو ستة آلاف ليرة . . سأعطيك عشرة آلاف . (يعطيه ورقة فئة عشرة آلاف ليرة)
- لنشانو : لا تدفع من جييك على الأقل هذه العشرة آلاف ليرة ،
دع جاكومينو يردّها لك .
- جيرونتا : هل تصدق؟ أن هذه العشرة آلاف ليرة كانت تثقل
جيبي .
- لنشانو : أنت بحق رجل خارق للعادة . .
- جيرونتا : أتشعر أنك متعلق بالمال إلى هذا الحد؟
- لنشانو : ولا أستطيع أن أدرك كيف لا تهتم به أنت أي اهتمام .
بالنسبة لي المال كالنسيم الشافي لمريض القلب .
- جيرونتا : وتضحك عيناك حين تخوض في سيرته .
- لنشانو : (متوسلا) دعني أخرج من الصفقة بكم مليون آخر . .
- جيرونتا : أنا أقدرك وأميل إليك ، ولكني لا أستطيع أن أعدك
بهذا . على أية حال لو أتيح لي أن أفعل فلن أتأخر .
- لنشانو : أشكرك .

ازيدورو : (يدخل) جيرونتا! . . جاء جاكومينو تروتشينا ويقول إن بينك وبينه موعد .

جيرونتا : هل ندعه يدخل؟

لنشانو : اعتقد هذا . ولعلك تستطيع أن تحصل لي منه على مليونين أو ثلاثة . . إنه لا يملك مليا فإذا رأى النقود . . صدقني إنه رجل بائس .

جيرونتا : أتحب أن تكلمه بنفسك .

لنشانو : كلا . . سيرتاب في . . إنه أسوأ من أقارب به وأنا لا أثق فيه .

جيرونتا : اعطني شهادة التنازل .

لنشانو : ها هي . . سأذهب إلى الحجرة المجاورة .

جيرونتا : سوف أناديك عندما ينصرف .

لنشانو : بإذنك (يخرج)

جيرونتا : دعه يدخل يا ازيدورو .

ازيدورو : وتوجد أيضا السيدة التي حضرت معك وقالت إنها تريد أن تنصرف لأن زوجها ينتظرها في السيارة في الخارج .

جيرونتا : عليها أن تتحلى بالصبر عشر دقائق أخرى . لا يجب أن تنصرف . تول أنت أمرها .

ازيدورو : سأقف على الباب و لن أدعها تخرج .

جيرونتا : ادخل جاكومينو .

ازيدورو : حالا . (يخرج ، جيرونتا يلقي نظرة على شهادة التنازل .
ازيدورو يدخل ويقول) تفضل .

جاكومينو : مساء الخير .

جيرونتا : تعال يا جاكومينو، اجلس .

جاكومينو : شكرا . (لا يجلس)

ازيدورو : سأذهب لاحتجز السيدة . (يخرج)

جيرونتا : ماذا بك يا جاكومينو؟ ماذا حدث؟

جاكومينو : حدث أنه لا بد لي من منغص . ما أشقاني ! لقد ولدت وولد معي سوء الحظ .

جيرونتا : أهناك ما يغضبك مني؟

جاكومينو : لا يغضبني منك شيء يا أخي وإنما يغضبني النحس الذي يلازمني منذ أن جئت إلى الدنيا .

جيرونتا : إذا كنت لا تشعر بالسعادة المشتركة التي منحها لنا لقاءنا
فهذا يعني أنك تريد أن تورطني في النحس الذي
يلازمك . فماذا يغضبك؟

جاكومينو : كيف لا أغضب؟ ميراث ملايين وملايين الليرات
يتقلص إلى هذا الحد .

جيرونتا : تقصد ضريبة الأيلولة؟

جاكومينو : إنهم يغالون كثيرا .

جيرونتا : القانون يعتبر درجة القرابة بين أبناء العم غير درجتها بين
الأب والابن لذا ينص على ضريبة كبيرة . ونحمد الله
أنك اقتنعت أخيرا . فأنت لم تصدقني عندما نبهتك إلى
هذا .

جاكومينو : لقد أكدته لي القسيس .

جيرونتا : هل ذهبت لتسأل يا أخي؟

جاكومينو : جرتي الحديث معه إلى السؤال . . وأكد لي موثق العقود
نفس الشيء .

جيرونتا : وهل سألت أيضا موثق العقود؟

جاكومينو : جرتي الحديث معه إلى السؤال . .

جیرونتا : لا مفر يا عزيزي جاكومينو. إنها وصية علنية وليس في وسعك الإفلات من القانون بأي شكل من الأشكال فإذا أردت قبول الوصية عليك أن تدفع ٢٧٥ مليوناً من الـ ٣٠٠ مليون ضريبة للأيلولة علاوة على ٢٪ ضريبة تسجيل، و ١٪ للشهر العقاري.

جاكومينو : (في يأس) سوف أئخذ وجهي لطماً. (ينهال باللطمات على وجهه).

جیرونتا : انتظر.. ماذا تفعل؟ اسمعني. إنك إذا دفعت الـ ٢٧٥ مليون ليرة ضريبة الأيلولة وأضفت التسجيل والشهر العقاري تبقى لك من الـ ٣٠٠ مليون ليرة حوالي عشرة ملايين ونصف أو أحد عشر مليوناً.

جاكومينو : (ينهال على وجهه لطماً) يا إلهي! يا إلهي!

جیرونتا : انتظر يا أخي.

جاكومينو : (مقهوراً) ماذا انتظر؟ أن تبخر العشرة ملايين الباقية؟

جیرونتا : لا تجعل الأمر يلتبس عليك. فهناك المئة مليون ليرة سندات الخزنة لحاملها، فهذه ستدخل جيبيك عن آخر ملهم لأنها معفاة من جميع الضرائب.

جاكومينو : أتريد أن تقارنها بنصيب في الميراث؟

جيرونتا

: لحظة واحدة . إذا رفضت الميراث فإن الورثة سوف يقدمون لك مكافأة مالية ، ويعطونك (يتناول من الدرج مائة مليون ليرة سندات خزانة ويضعها على المنضدة) سندات خزانة قيمتها مائة مليون ليرة . (يتناول أيضا أربع رزم في كل منها عشرة ملايين ليرة ويضعها على المكتب) و . . واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة رزم في كل منها عشرة ملايين . . أي أربعون مليون ليرة . . (تعقد الدهشة لسان جاكومينو وتبحظ عيناه) فإذا وقعت إقرار التنازل هذا ، فسوف تكسب أربعين مليوناً أخرى فإذا أضفتها إلى المئة مليون يصبح إجمالي المبلغ مئة وأربعين مليون ليرة . هذا ما استطاع أن يفعله من أجلك خادمك وأخوك جيرونتا .

جاكومينو

: (يغمغم مرتبكا) أليس في استطاعتهم أن يعطوني شيئا أكثر؟

جيرونتا

: الورثة سوف يتكفلون بكل الضرائب . . يا لهم من مساكين! سيتلقون ضربة قاصمة . أنت أحسن منهم حالا . وإذا قررت أن توقع الإقرار فلا تحدث أحدا عما أخذت وعما لم تأخذ لأنك إذا وافقت فيجب ألا تظهر أمام القانون أن وراء التنازل اتفاقاً سرياً بينك وبين الورثة .

جاكومينو : ومن يفتح فمه؟ ثم إني قطعت تذكرة السفر إلى الأرجنتين
وسأسافر غدا.

جيرونتا : هذا عين الصواب وإلا فإن كارميلوتشو لن يتوانى عن
قتلك في أي مكان يجدر فيه .

جاكومينو : وهل تعطيني النقود؟

جيرونتا : النقود تأخذها وترحل ومعها هذه الحقيبة أيضا (يضع
المئة وأربعين مليون ليرة في الحقيبة ويقفلها) ويمكنك أن
تثق أنها كاملة عن آخر ملين لأنني عددتها بنفسني .

جاكومينو : (متلهفا) دعني أوقع التنازل .

جيرونتا : انتظر (ينادي) ازيدورو!

ازيدورو : (من الداخل) أمرك!

جيرونتا : ادخل السيدة .

ازيدورو : (تتبعه السيدة انجيليكا توزيلي) تفضلي يا سيدتي .

انجيليكا : (سيدة شابة في نحو الخامسة والعشرين ، منظرها يلفت
الأنظار وتتمتع بالثقة في النفس) عفوا يا سيد سبتزيو
ولكن زوجي يتعجلني من السيارة بآلة التنبيه ، وقد
خرجت مرتين لأطلب منه أن ينتظر.

جیرونتا : لا تؤاخذیني يا سیدتي الموثقة إذا كنت قد اضطرت
للانتظار أكثر من اللازم .

انجیلیکا : لنته بسرعة .

جیرونتا : إذا أراد زوجك الذهاب فلیتفضل وسأصحبك أنا
بالسيارة حتى سورنتو .

انجیلیکا : كلا . . كلا . . سأذهب معه ولكن لنسرع .

جیرونتا : هل أحضرت معك الختم؟

انجیلیکا : وماذا نفعل بدونه . أحضرت كل شيء الختم والختامة .

جیرونتا : هذا هو إقرار التنازل . . ثلاث نسخ مكتوبة على ورق
دمغة . انظري إن كان صحيحا .

انجیلیکا : (تقرأ) «إقرار تنازل . الجمهورية الإيطالية . إنه في يوم . .
من شهر . . سنة ١٩٦٧ إلخ إلخ تقدم السيد جاكومو
تروتشينا . . أين هو؟

جیرونتا : هذا .

انجیلیکا : (تلقي عليه نظرة عابرة) عظیم . (تواصل قراءة الإقرار في
السر) .

جاكومينو : حضرتك موثقة عقود؟

- انجيليكا : ولم السؤال؟ ألا يعجبك؟
- جاكومينو : بلى . . بلى .
- جيرونتا : السيدة مكتبها في سورنتو وكسبا للوقت رجوتها وأنا عائد إلى نابولي أن تحضر لتوثيق الإقرار، وستنتهي العملية في خمس دقائق وتحل مشكلتك . هل أحضرت معك الصورة؟
- جاكومينو : تركتها في الخارج لأنها كبيرة فقد صنعتها بالحجم الذي طلبته .
- جيرونتا : دعه يساعدك واحضرها هنا . ساعده يا ازيدورو .
- جاكومينو : لا داعي . يمكنني أن أحضرها وحدي .
- ازيدورو : اثنان أفضل من واحد (يخرج وراء جاكومينو)
- جيرونتا : (مشيرا إلى الإقرار الذي تقوم بقراءته انجيليكا) لقد حرره زميل لك .
- انجيليكا : مضبوط ، مضبوط . سأوثقه وأسلمه لك .
- جيرونتا : وستولين أنت التسجيل .
- انجيليكا : التسجيل يحتاج إلى خمسة أو ستة أيام .
- جيرونتا : إن ما يهم جاكومينو هو أن يأخذ العقد موثقا اليوم .

(ازيدورو يحمل وبرفته جاكومينو صورة كبيرة مغلفة
بالورق ، ومربوطة بدوبار. الصورة في نفس حجم الصور
التي يقدمها ازيدورو للناس على حامل الرسم الكبير
بناء على طلب جيرونتا)

- ازيدورو : ها هي .
- جاكومينو : لنضعها هنا .
- انجيليكا : الإقرار لا غبار عليه ، فلنسرع . اعطني بطاقة تحقيق
شخصية .
- جيرونتا : تعال يا جاكومينو .
- جاكومينو : حالا . (يسرع إلى المكتب ويناو لها بطاقة تحقيق
الشخصية)
- انجيليكا : اسمعني وركز معي . (تقرأ الإقرار في عجلة وتساءل
جاكومينو بين الحين والحين) فاهم!
- جاكومينو : نعم .
- (انجيليكا توجه إليه السؤال مرتين أو ثلاث مرات
أخرى . فيجيبها بثبات بالإيجاب)
- انجيليكا : (تقرأ)

إقرار تنازل عن ميراث

الجمهورية الإيطالية

إنه في يوم ٦ من شهر يوليو سنة ١٩٦٧ وبحضوري أنا انجيليكا توزيلي موثقة عقود مدينة سورنتو تقدم السيد جاكومينو تروتشينا المولود في بلدة كاليغانو بمقاطعة نابولي يوم ٣ / ٢ / ١٩٢٠ والمقيم في شارع مونتيكو بإقرار تنازل وذلك بدون شهود وبناء على رغبته وبعد موافقتي .
ويقر المذكور أعلاه بالتنازل عن الميراث المخصص له في الوصية العلنية المؤرخة في ٢٤ / ٥ / ١٩٦٥ المشهورة بالمحضر المحرر من موثق العقود استرافينو أرتورو بشأن وصية السيد جايتانو تروتشينا .

وبناء على ما طلب مني تسلمت الإقرار وقمت بقراءته على المتقدم قبل التوقيع فأقر بأنه مطابق لإرادته وموافق على كل ما يترتب عليه قانونيا .

(تقدم الأوراق الثلاث وقلما إلى جاكومينو) والآن وقع .

جاكومينو : حاضر (يوقع)

انجيليكا : اعطها لي . (تقوم بدورها بتوقيع الأوراق وتختمها) تمام .
هذا الإقرار المعتمد احتفظ به أنت ، أما هذان فساخذهما معي لأقوم بإجراءات التسجيل . . ألف مبروك ومع السلامة . سأنصرف لأن الوقت تأخر جدا .

- جیرونتا : شکرا یا سیدتی الموثقة .
- جاکومینو : شکرا .
- جیرونتا : بخصوص الأتعاب سأحضر إلى مكتبك .
- انجیلیکا : تشرف في أي وقت . . طاب مساؤکم .
- جیرونتا : رافق السيدة يا ازیدورو .
- ازیدورو : حالاً . (يخرج)
- جیرونتا : انظر في عيني يا أخي الآن .
- جاکومینو : حاضر .
- جیرونتا : لقد نلت المئة وأربعين مليون ليرة .
- جاکومینو : (مرتبکا) أين هي ؟
- جیرونتا : في هذه الحقيبة .
- جاکومینو : افتحها ودعني أراها مرة أخرى .
- جیرونتا : (يفتح الحقيبة) انظر .
- جاکومینو : هل قمت بعدّها بنفسك ؟
- جیرونتا : مرتين . . كن واثقاً . (يقفل الحقيبة ويناولها إلى جاکومینو) إنني أشعر بالسعادة لأنني أعدتک إلى الدنيا .

- جاكومينو : (يضم الحقيبة بيديه محمومًا) لقد أنقذتني !
- جيرونتا : أعدت إليك الحياة .
- جاكومينو : (تنهال دموعه) هذا حق . . هذا حق .
- جيرونتا : فماذا يصبح الإنسان بلا مال ؟ جسدا بروح .
- جاكومينو : ميتا .
- جيرونتا : وأنت كنت ميتا .
- جاكومينو : ميتا يمشي على الأرض .
- جيرونتا : ميتا من الجوع .
- جاكومينو : وأنت بعثتني إلى الحياة .
- جيرونتا : عظيم . هذه هي الكلمة الصحيحة . كف عن البكاء وأرني الصورة .
- جاكومينو : إنها حسنة وتطابق صورتي الحقيقية (يفك دوبار الصورة ويخلصها من اللفة الورقية بمعاونة جيرونتا ودون أن يبتعد عن الحقيبة)
- جيرونتا : ستظل ذكرى منك في بيتي بعد رحيلك غدا .
- جاكومينو : لقد عانيت الكثير في إيطاليا ولن أبقى بها حتى لو جعلوني أسقفا . (يريه الصورة في اعتزاز) انظر .

- جيرونتا : رائعة .
- جاكومينو : لقد أخذت الوضع الذي أشرت به علي .
- جيرونتا : ولن تبخل علي بكلمة إهداء .
- جاكومينو : ليست لي دراية كبيرة بالقلم فقد درست حتى الثالثة الابتدائية .
- جيرونتا : (يناوله القلم) سأساعدك أنا . اكتب «إلى أخي جيرونتا . . .» .
- جاكومينو : (يكتب بصعوبة) « . . جيرونتا . . » ثم ماذا؟
- جيرونتا : كفى .
- جاكومينو : أريد أن أكتب أنك أنقذتني وأعدتني إلى الحياة .
- جيرونتا : (ساخرا) وأناي بعثتك حيا .
- جاكومينو : (يجد الكلمة مهلا) «إلى أخي جيرونتا الذي بعثني حيا . . جاكومو تروتشينا»
- جيرونتا : يمكنك الانصراف الآن .
- جاكومينو : سأذهب من فوري إلى نابولي . و في الصباح . .
- جيرونتا : احرص على النقود .

جاكوميانو : الحقيبة قديمة ولن تغري أحدا أبدا . ولكن أمتأكد أنك
عددتها جيدا .

جيرونتا : لا يساورنك شك يا أخي .

جاكوميانو : سأرسل إليك بأخباري من الأرجنتين .

جيرونتا : أود أن أعانقك .

جاكوميانو : الوداع يا أخي (يخرج جاكوميانو بعد العناق)

جيرونتا : (يطل على حجرة مجاورة وينادي) يا سيد لنشانو!

لنشانو : (من الداخل) رهن إشارتك . (يدخل) كنت أشاهد
الحفل من النافذة . ماذا تم؟

جيرونتا : أنت موفق . . لقد تمت الصفقة .

لنشانو : أوه . . الشكر لله!

جيرونتا : هذا هو إقرار التنازل موقعا عليه .

لنشانو : وماذا نصنع به بدون توثيق موثق العقود؟

جيرونتا : إنه موثق .

لنشانو : (مندهشا) من موثق العقود؟

- جیرونتا : ومن یوثقه غیره .
- لنشانو : هل أحضرته أنت .
- جیرونتا : كلا ، أحضره جاکومینو تروتشینا .
- لنشانو : ماذا تقول . .
- جیرونتا : كان یتعجل إنهاء الموضوع لأنه سیرحل فی الصباح فجاء مستعدا .
- لنشانو : ویقولون ویعیدون عن الفلاحین وسذاجتهم . . عال ، عال . . ولم تستطع أن تقنعه بقبول مبلغ أقل ؟
- جیرونتا : وجدت أن لديه الاستعداد .
- لنشانو : حمدا لله .
- جیرونتا : کلمته للتنازل عن ثلاثین ملیون ليرة فلم یطرف له رمش .
- لنشانو : کریم أنت یا رب !
- جیرونتا : ولكن لم یکن فی وسعی أن أغشه وألا أخبره بأنک ستدفع له المبلغ مقدما ، وما أن سمع اسمک حتی تحول إلى وحش کاسر وتشبث بموقفه ورفض التنازل عن ملیم واحد .

- لنشانو : ولما ذا ذكرت له اسمي بحق السماء!
- جيرونتا : لأنني لا أستطيع أن أكذب يا عزيزي لنشانو. فالملايين دفعتها أنت مقدما وكان لابد أن يعرف. وهل كان يمكن أن أغالط ضميري. على أية حال كان قاسيا جدا معك وو صفك بأنك مراب.
- لنشانو : أوه!
- جيرونتا : وأنت مكروه من أهل البلدة جميعا.
- لنشانو : أقال هذا؟
- جيرونتا : وغيره مما لا أريد أن أردده على مسامعك. ولقد فعلت الكثير حتى أثنيه عن عزمه وأمنعه عن تقديم بلاغ يتهمك فيه بالابتزاز.
- لنشانو : لو فعل هذا لتكفلت به أنا.
- جيرونتا : كلا، كلا يا عزيزي لنشانو فشهادتي لصالحه كانت سترمي بك في السجن في التو.
- لنشانو : وهل كنت تشهد ضدي؟
- جيرونتا : هل بيني وبينك سوء؟
- لنشانو : كلا.

جيرونتا : حسن ، ألم أقل لك منذ قليل إنني أقدرك وأكن لك المحبة؟ أليس كذلك؟ ومع ذلك ففي المحكمة وأمام العدالة لم أكن أقول سوى الحقيقة دون غيرها .

لنشانو : معلوم ، مؤكد . .

جيرونتا : على كل حال لا تحزن فإن رأس مالك جلب لك خمسة ملايين ليرة في أربعة أو خمسة أيام على الأكثر. فماذا كنت تريد أكثر من هذا؟ أن تربح ألف في المئة؟ أليس جاكومينو تروتشينا على حق؟

لنشانو : مضبوط ، مؤكد . .

جيرونتا : لم أترك سبيلا إلا طرقة حتى أزيد من أرباحك ، ولكن حين أدركت أن الإلحاح يهدد بفشل الصفقة كلها فكرت في ضرورة إبرامها . (يخطر له فجأة خاطر فيلقي نظره على درج المكتب ويغلقه) وأبرمتها على الفور.

لنشانو : أحسنت صنعا .

(تتعالى من الداخل أصوات وقع أقدام تقترب وغمغمة

أشخاص يحملون أشياء ثقيلة بمشقة)

ازيدورو : (من الداخل) بهدوء ، بهدوء . . احترسوا أن تتسخ الجدران وابتعدوا عن الأبواب .

نابليوني

: (كالسابق . يقود المجموعة ويوجهها) ضعوا أولا المقاعد

ولوحي الخشب! واحترسوا حين تضعوا اللوحين على المقاعد (يدخل أربعة عمال كأرباب السجون ويحملون كراسي بدون مساند مشغولة بالقش ولوحين من الخشب الغفل . حين يصلون إلى منتصف الحجرة يصنعون مائدة من الكراسي ولوحي الخشب . في نفس الوقت يدخل العروسان ووراءهما ابنا العروس وقريب نابليوني . العمال الأربع يتتحون جانباً . يدخل ازيدورو وبرفته عمال وفلاحون في أعقاب نابليوني الذي يفسح الطريق أمام اثنين من الفلاحين كالوحوش يحملان نصف ذبيحة «بتلو» لم يمض على ذبحها إلا القليل ويقول متشياً) سيدي سبتزيوا خادمك الأمين نابليوني بوتا جاء يحمل إليك دليل إخلاصه ويضعه تحت قدمي سيده . . (ثم يتجه إلى الفلاحين) انزلا حملكما! (الفلاحان يضعان حملهما الثقيل في صخب على المائدة المرتجلة) هذا نصيبك الذي تستحقه عن حق .

جيرونتا

: هذا كثير جداً! ماذا أفعل به .

نابليوني

: ذقه . . يكفي أن تأكل قطعة صغيرة منه كهذه ، ثم وزع ما لا تحتاجه على الأصدقاء أو الفقراء فهذا سيسعد نابليوني بوتا كثيراً .

جیرونتا : شکرا ویؤسفنی أنني لم استطع الحضور إلى الكنيسة للمشاركة في الزفاف .

نابلیونی : أعرف أنك كنت عند السيدة شقیقتک فی نابولی ، وقد أحضرت الأسرة هنا لتتعرف علیها . (یشیر إلى أفراد الأسرة) مادلینا تریونفو أصبح لقبها الآن مادلینا بوتا بعد أن تزوجتها (یلتفت إلى مادلینا فی هیمنة قائلًا) أدي فروض الولاء إلى سیدک !

مادلینا : (عابسة ومکفهرة الوجه) خادمته .

جیرونتا : (فی غموض) عظیم .

نابلیونی : ابنا مادلینا تریونفو ، رومنکو وفرانشیسکو اللذان أصبح لقبهما الآن بوتا أيضا . (یتوجه إلى الشابين بنفس اللهجة السابقة) سلما علی سیدکما !

الاثنان : (وعیناهما إلى الأرض) خادمک . . خادمک .

نابلیونی : (مشیرا إلى قریبة) بسکوالی سالینی . . حفید أخت غیر شقیقة من الزواج الثاني لابن أخ جدي .

بسکوالی : (یغمغم) سلامات ! (یدیر رأسه إلى الجانب الآخر)

نابلیونی : لم أره منذ خمسة عشر عاما ، ولكي أجده اضطررت أن أقلب علیه الدنيا فی کل مكاتب الفیش والتشبيه فی نابولی وفي المحافظة کلها .

جيرونتا : (في غموض) عظيم . عظيم يا نابليونى ! لقد أصبحت صاحب أسرة وبإمكانك الآن أن تعيش في سلام .
مادلينا تريونفو . اسم جميل عليك يا عزيزي مادلينا أن تكوني رفيقة مخلصه لزوجك ودعامة للأسرة .

مادلينا : إذا كسب الإنسان قرشا يجب أن يحافظ عليه لبيته ولأبنائه ، لأنك لو كنت صاحب مركز مرموق فالجميع يتوددون إليك ويحترمونك أما إذا كنت معدما فالناس يتحاشونك ويديرون لك ظهورهم حتى لو كنت تشرف على الموت جوعا . وإذا استمر نابليونى في بعزقة النقود بلا حساب كما فعل في حفل الزفاف فإن الزواج سينتهي شر نهاية . قلت له هذا أمس وقلته له اليوم عند خروجنا من الكنيسة .

نابليونى : (في إحساس بالرضا والفخر الصادق بحسن اختياره) إنها نعم الزوجة .

جيرونتا : (في غموض) عظيم . (ثم يتوجه إلى بسكوالي) وأنت ماذا تعمل ؟

بسكوالي : (متجهما) «بالوعاتجى» .

جيرونتا : ماذا ؟

نابليونى : عمل دائما في البالوعات والأبيار الصحية ، ولكن بعد أن جئت به لبقى في بيتي سيعمل معي .

بسكوالي : (دون أن يرفع عينيه عن الأرض) أنت طلبتني ، وأنا لبيت طلبك ، ولكن لي عمل كل منا فيما يريجه .

نابليوني : (يتتحى جانبا بجيرونوتا) سوف يرتبط بنا بمرور الوقت .

جيرونوتا : (في غموض) عظيم .

نابليوني : (ملمحا) والآن أنا في الانتظار .

جيرونوتا : انتظار ماذا؟

نابليوني : هديتك من الورد إلى العروس وصلتنا ولكن هديتك إلي لم تقدمها لي بعد .

جيرونوتا : لقد جهزتها ولا عليك إلا أن توقع . هاهو العقد . (يقدم له العقد المطبوع والقلم)

نابليوني : (عندما يرى العقد يقف مشدوها ويتمتم فرحا) إن قدمي ترتعشان يا سيد سبتزيو، قلبي يؤلني . . أحقا تعطيه لي؟ أستطيع أن أوقعه؟ إنني أموت . .

جيرونوتا : (في برود) وقعه أولا .

نابليوني : نعم . (يوقع على العقد ويستولي عليه ويخفيه في قميصه) إنني استحقه .

مساعد الشرطة : (يدخل ووراءه نونتزياتا وبريجيدا) يا سيد سبتزيو جئنا لنسلم عليك قبل أن ننصرف .

لنشانو : وأنا أيضا حان وقت انصرافي .

جيرونتا : أتصرفون جميعا؟

نونتزياتا : الوقت متأخر .

نابليوني : إذن لا تكسفوني ولنشرب كأس شامبانيا في صحة العروسين وتكريما لصاحب البيت . (الفلاحون أحضروا الصواني وعليها كؤوس وشامبانيا للجميع . تنزع السدادات من الزجاجات وتملأ الكؤوس إلى آخرها . يرفع نابليوني كأسه قبل الآخرين إشارة لبدء النخب الجماعي) في صحتكم!

الجميع : في صحتكم!

لا أحد يحتسي كأسه انتظارا لإشارة جيرونتا الذي ينهض ويأخذ طريقه في بطاء نحو المقعد الضخم المذهب «العرش» وحين يصله يدرك ازيدورو مقصده فيسقط العباءة ويضعها على كتفيه . ما أن يتجه جيرونتا إلى الضيوف ، ويلقي عليهم نظرة شاملة كأنهم رجل واحد ، ينحني له الجميع ويتمتعون كأنهم في حلم «صاحب السعادة! صاحب السعادة!» . بعد وقفة قصيرة يرسم جيرونتا على شفتيه ابتسامة خفيفة للجميع ويرفع كأسه .

جيرونتا

: أشرب نخب صحة ورفاهية وسعادة الأسرة الجديدة
وأتمنى لنابليوني بوتا ألا تبارحه قط الروح التي تفجرت
في نفسه بعدما جمعه الرباط المقدس بالسيدة الرقيقة
الحلوة الطيبة الوديدة مادلينا تريونفو (تصفيق) فكأنني بها
وقد فاضت عليه نفسها الكريمة فتفتح قلبه للمروءة
والتفاهم والرحمة والحنان والمحبة نحو الوالدين والأهل
والأصدقاء والجيران والوطن (تصفيق ودموع). لقد كان
الجميع يمقتونه لبخله وشحه وتقديره وجشعه. ولم يكن
هذا إلا حلقة مفرغة فكلما ازداد المقت حوله كلما جمع
وعدد وكدس وكوش وحوش ليحمي نفسه من المقت
ويصارع (همهمات تأييد) ولكن من الآن فصاعدا لن
يصارع نابليوني. فهل أحد منكم يريد له الموت؟

الجميع

: لا !!! ..

جيرونتا

: نريده حيا سخيا (يتوجه إلى الجميع) تفضلوا.. خذوا
ما تشاءون من خيرات الله التي ملأ بها بيته.. خذوا
الفاكهة والدجاج والبيض الطازج والجبن ولحم
الخنزير.. وأنت يا سيدة نونتزياتا خذي بعض الأوز
والدجاج. لا تحجلوا ولا تخافوا اقتربوا من الموائد فهذا
يدخل السعادة على قلب نابليوني.. نابليوني الذي عرف
الحب.. هاهو أمامكم ترونه متهللا ومرحبا وعلى أهبة
الاستعداد للعطاء والعطاء والعطاء ولا يطلب منكم في

مقابل هذا إلا أن تمنحوه محبتكم . دائرة من المحبة
لا يستطيع حتى الموت فرط عقدها . دائرة المحبة التي
تجمع شملكم وتربطكم برباط احترام المصلحة
العامة . . محبة حقة طاهرة خالصة منزهة .

يغلب التأثير على نابليوني فلا يرفع عينيه المفتونتين عن
جيرونتا على حين لا يتابع الآخرون نهاية النخب
فينهمكون بهمة ونشاط في نزع الليمون والبرتقال من
السلال ، ويكوم كل منهم أمامه على الأرض كومة من
الدجاج ولحم الخنزير والجبن .

يسدل الستار

عهدہ حي سانيتا

تأليف : ادواردو دي فيليپو

ترجمة وتقديم : د. سلامة محمد سليمان

مراجعة : د. كليلا تشرکوا

العنوان الأصلي للمسرحية

IL SINDACO DEL RIONE SANITÁ

مقدمة

تقوم مسرحية «عمدة في حي سانيتا» على قضية العدالة ، وما لها من أهمية مصيرية في حياة الناس . والعدالة عموما من القضايا البارزة التي عني بها ادواردو دي فيليبو في كثير من مسرحياته على مدى حياته المديدة ، ونذكر من ذلك مسرحية «فيلومينا مارتورنانو» (١٩٤٦) ومسرحية «دي بريتوري فتشنزو» (١٩٥٧) ومسرحية «العقد» (١٩٦٧) .

ولاشك أن للعدالة مؤسساتها الشرعية والرسمية في كافة المجتمعات ، ولاشك أيضا أنها تقوم على دساتير وقوانين توحد بين الناس ، وتنص على كفالة الحقوق وضمان وصولها لأصحابها . وادواردو دي فيليبو لا يقف في وجه هذه العدالة ، ولا يكيل لها الاتهامات ولكنه يرى في نهج تطبيقها عمليا خللا بينا يترتب عليه ضياع الحقوق والتسبب في الظلم ، ويسعى من خلال معالجته المسرحية إلى البحث عن طرق لإنصاف المظلوم وأساليب قديمة لرد الحقوق المسلوقة إلى مستحقيها ، والتنبيه إلى أوجه القصور في المجتمع وفي إجراءات تحقيق العدالة .

ومن خلال شخصية دون انطونيو بطل المسرحية «يوجه المؤلف دعوة إلى المسؤولين للاقتراب من الشعب ومحاولة تفهمه ومعالجة جراحه ، وفي نفس الوقت يوجه نداءه إلى المجتمع الإنساني للتمسك بالقيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية» (*) .

ويوضح الناقد الإيطالي أندريا بيزيكيا أن وراء هذه الدعوة عوامل اجتماعية

* جنارو مالبولو - ادواردو دي فيليبو - كابيللي - بولونيا - ١٩٥٩ . ص ٢٣٧ .

وأخلاقية تقف في وجه العدالة وتعمل على النيل منها . فيقول في دراسته عن مسرح ادواردو: «إن المجتمع لا يمكن أن يبلغ مبلغ الرخاء اعتمادا على الفساد وحتى إن كانت القوانين والعدالة تبدو صحيحة فإن أطماع الحياة ودناءتها تحول دون سلامة تطبيقها» . و«إذا كان المجتمع ظالما فإن العدالة تقع فريسة للأعيب الأقوياء واحتياهم . ومن ثم لابد أن يكون هناك علاج . والعلاج هو الثورة على الظلم فإذا كانت القوانين لا تستطيع أن تمد إلينا أيديها فإن الناس في مقدورهم أن يحلو محلها ، وأن يقيموا العدالة بأنفسهم»(*) .

ووجود الظلم وتلاعب القادرين بالقوانين وتسخيرها لصالحهم يفرز نوعا آخر من العدالة يسير جنبا إلى جنب مع العدالة الشرعية ، وهو عدالة الضعفاء وهي نوع من العدالة التلقائية والفورية التي تقوم على مواجهة القهر ورفع الظلم من منطلق اليأس والتدمير عملا بمبدأ «علي وعلى أعدائي» . وبديهي أن هذه الازدواجية في التعامل مع الحقوق من شأنها أن تهدد المجتمع ، وأن تعرضه للفوضى ولافتقار الأمن والأمان ، ويرى ادواردو دي فيليبو أنه «من الضروري التصدي لهذا الوضع للوقوف أمام الجهل من جانب والعشور على نهج قويم لتحقيق العدالة من جانب آخر، فالقانون لا يقبل علينا أحيانا ، وإذا أقبل فإن الناس لا يقبلون فالحل الوحيد إذن هو أن نقيم العدالة بأنفسنا تماما كما كانت تفعل الكامورا في نابولي أو المافيا في صقلية»(**) .

وجدير بالذكر أن عصابات الكامورا في نابولي هي وليدة المافيا في صقلية شأنها في هذا شأن مثلتها المسماة في كلابريا اندرجيتا . ولقد قامت هذه العصابات على الأسس العتيقة لتنظيم المافيا المعروف . وكان هذا التنظيم في الأصل يضم عقلاء القوم في المناطق النائية في صقلية في الماضي . وكان القانون

* اندريا بيزيكيا - دعوة لقراءة ادواردو - مورسيا - ميلانو - ١٩٨٢ . ص ١١٠ وص ١٢٧ .

** جوفاني انطونوتشي - ادواردو دي فيليبو - لومنيه - فلورنسا - ١٩٨١ ص ١٢٥ .

ورجاله لا يصلون إلى تلك المناطق لبعدها عن العاصمة ، وصعوبة السيطرة عليها . فكان هؤلاء يقضون بين الناس بالعدل ، وعلى أساس قانون شرف غير مكتوب ومعلوم للجميع يدينون له بالطاعة والولاء ، وغني عن الذكر أن هذا التنظيم الاجتماعي قد تحول فيما بعد إلى عصابات إجرامية تقوم على سفك الدماء والإتجار في المخدرات والأعراض وتنتهج الاحتكارات والخطف والفساد السياسي .

وفي الواقع فإن كثيرا من ملامح شخصية دون انطونيو، ومن مفاهيم رؤيته للعدالة وأسلوب معالجتها تدل على انتهائه لشخصيات ذلك العالم التليد المفقود . ولقب عمدة المقرون باسمه لا يعني وظيفة رسمية أو تسكينا قانونيا وإنما هو لقب خلعه عليه أبناء الحي لما لمسوه فيه من إيمان بهم وبقضايهم ومن نجدة منزهة عن الغرض وعدالة في الحكم بينهم قبل كل شيء . وهو وإن كان لا يختلف كثيرا في حالتنا هذه عن لقب «الأب الروحي» الذي يطلق على زعماء المافيا ممن يسبغون حمايتهم على المستضعفين إلا أن المؤلف في اعتقادنا قد نأى به عن شخص دون انطونيو ليجعل منه جانبا متمما للعدالة الشرعية وضوءا يكشف عن المساحات المعتمدة في نظامها دون أن يكون نقيضا لها أو مناهضا لحرمتها .

وإذا نظرنا إلى باقي شخصيات المسرحية نجدتها جميعا تدور في فلك شخصية دون انطونيو، وأن لكل منها دورا يعكس جانبا أو بعدا من أبعادها الظاهرة أو الباطنة .

ودون انطونيو شخصية مهيبة تحيط بها هالة من العظمة والشموخ والجلال تدخل الرهبة في النفوس ، وهو على قلة إلمامه بالقراءة والكتابة رفيع الذوق متقد الذكاء واسع الحيلة نافذ البصيرة ، وعلى الرغم من شدة ثرائه وعظمة جاهه إلا أنه خرج من صفوف العامة ومن أكثر الطبقات فقرا وعوزا .

وقصته في الحياة قصة المظالم المهذرة حقوقهم العاجزين أمام التلاعب

بالقانون . . وقصة الضعفاء الذين ينصبون أنفسهم قضاة ومنفذين للأحكام لينالوا حقوقهم بأيديهم ، والفارق بينه وبين أبناء طبقة هو قدراته الشخصية الخارقة وإرادته القوية وتميزه النادر في خوض تجارب الحياة والإفادة منها واستيعاب دروسها .

وهو نفسه قد تعرض في صباه لعسف الأقوياء وظلمهم وكاد أن يفقد حياته مرتين . مرة نتيجة لهذا العسف ومرة نتيجة لاقتصاصه لنفسه بيده . وخرج من التجربة بمجموعة من القواعد القانونية والاجتماعية والنفسية بني عليها منهجه في استيعاب العدالة وإقامتها في الحي الذي يعيش بين جوانبه ، وهو حي من الأحياء الشعبية البسيطة المكتظة بالفقراء وأغلبهم من الحرفيين وصغار التجار والعاطلين ، والجهل - على حد تعبير دون انطونيو - هو السيد المطلق في هذه البيئة . ومن هنا وهب حياته بعد تجربته المريرة وبعد الأخطار التي كادت تعصف بحياته لنصرة هؤلاء الفقراء والجهلاء المغلوبين على أمرهم ليعمل على وصول الحق إليهم ويساهم في تلافي وقوع الجرائم في المجتمع ويعرض دون انطونيو في بساطة وفطنة حقيقة الأوضاع القانونية والسلبيات التي تكتنفها والمخاطر الناجمة عنها كما تتمثل في الواقع ، ويوضح أيضا فلسفته في تناولها ونظرته إلى أبناء الطبقة المغمورة . ففي الفصل الأول حين يثور عليه الدكتور فايو بعد أن يفقد الثقة في استحقاق هذه الفئة من الناس في العدل المنزه ويصفهم بأنهم سفلة منحطون وسبب البلاء في كل مجتمع ، يرد عليه دون انطونيو بأنهم الضحايا الحقيقيون : «مؤكد أنهم الضحايا لأنهم جهلة والمجتمع يستغل جهلهم . . إن الجرائم والجنح التي يرتكبها الجهلة تتحرك بها وتعيش عليها عجلة الشراة في المجتمع بأكملها . الجهل سهم رابح . ضع إلى جانبك جاهاً وعش هنيئاً بقية حياتك . ولكن الجاهل قد فهم . . فهم أن من له قدس يحميه يدخل الجنة فيقول في نفسه إذا ذهبت إلى المحكمة لأسوي هذه القضية فمهما كان الحق معي فإن الخصم إما أن يلجأ إلى القديسين الذين يحمونه ، وإما أن يأتي بثلاثة أو أربعة شهود زور ، وأنت تعلم أنهم شهود

مأجورون يعملون لحساب من يدفع ، وتجدهم على باب المحكمة نفسها . . .
(يقلد صوت القاضي المهيب) «قل أقسم بالله أن أقول الحق ، كل الحق ،
ولا شيء غير الحق» ويقسم الأوغاد الأربعة . فيقول الواحد منهم إذن هناك
ملعوب . . . شهادة الزور ، وفي نفس الوقت لا يجد الأدلة وإن وجدها تختفي
لأن النقود لها أرجل تقف عليها وعجلات تمشي بها . ولا يخسر الجاهل القضية
فقط وإنما يقع في عدة إشكالات بتهمة القذف والتشهير . ولذا فإنه بدلا من أن
يعرض نفسه لمخاطر اللجوء إلى المحكمة فإنه يذهب من فوره وبنفسه إلى
الخصم ، ويأخذ حقه بيده ، وصحيح أنه يدخل السجن ولكن الخصم أيضا
يدخل القبر»(*) . ويخاطب دون أرتورو في موضع آخر بقوله : «فلاداعي إذن
للمهندس والمعماري . هذا النوع من الناس يحفظ القانون عن ظهر قلب وحين
يحيئون لتكبير رجل أقدم على البناء ويجهل أصوله فإنهم لا يتركونه إلا إذا
ساقوه إلى أحد سبيلين : إما الإفلاس ، وإما مستشفى المجانين . . . ولأن الجاهل
شديد فإنهم يعيشون في ترف ورفاهية ، وهم دائما على حق أمام القانون لأن
القانون لا يعترف بالجهل ، وفي رأيي أن هذا ليس عدلا لأن القانون بهذا
لا يعترف بثلاثة أرباع الشعب . ولكن إذا عُدلت العبارة على سبيل المثال
لتصبح «القانون يعترف بالجهل» فإني أضمن لك أن أكثر من نصف هؤلاء
السادة سيخفون شهاداتهم وسيصبحون على الفور جهلاء»(**) . ويخلص من
تحليله هذا إلى «أن القانون عادل ولكن الناس يأكلون بعضهم بعضا . . الخبث
يأكل الجاهل ، وأنا أدافع عن الجاهل»(***) .

وهكذا فإن دون انطونيو يدافع عن الجاهل ، ولكنه لا يدافع عنه سعيا وراء
الجاه والنفوذ ، وإنما يدافع عنه لهدف محدد هو أولا وأخيرا صون المجتمع وحمايته .
وهو لا يسبغ حمايته من فراغ بل يسبغها نتيجة لحنكة في الحياة ، ومعرفة
بأغوارها ، وبطباع البشر ، ويقين من دواعي الشقاء وأسباب السعادة .

* الفصل الأول .

** الفصل الثاني .

*** الفصل الثاني .

ويكفي في هذا الصدد الإشارة إلى موقفين لاشك في أنها ليسا الوحيدين ولكنها يكفيان لبيان مدى حكمة دون انطونيو وعمق تجربته في الحياة . ففي الموقف الأول نجده يلقي رافيلوتشو درساً في تعريف الرجل الحق بقوله : «الرجل رجل فقط إذا لم يكن عنيداً متصلباً ، وإنه إذا أدرك أن لابد من التراجع يتراجع ، وأنه إذا أيقن أنه أخطأ يتحمل مسؤولية خطأه ويحاول الاعتذار ، وإذا تأكد من تفوق رجل آخر عليه يعترف بهذا . الرجل رجل إذا عرف مدى شجاعته وكيف يحسن استخدامهما ، وأدرك مدى خوفه ، وعرف كيف يتدبر أمره»(*) . وفي الموقف الثاني نجده يحذر أباه من أن الصراع على المصالح المادية بين الأبناء والآباء يمكن أن يولد البغض والكراهية ويؤدي إلى سفك الدماء فيقول له : « . . . وذات يوم قال لي ابني جنارو وكان يومها في الثامنة من عمره صحيح يا أبي عندما تموت ستصبح كل هذه الأملاك لي؟ . . . آه إذن الأبناء ينتظرون موت الآباء وأبنائي أنا جنارو وأميديو وجيرالدينا هل ينتظرون موتي عندما يكبرون؟ لا يا جنارو يا بني . . . ليس عندما أموت بل الآن . . . كلها أملاكك من الآن . . . واستدعيت موثق العقود وقسمت أملاكى ثلاثة أقسام ودفعت الضرائب وكتبتها كلها بأسمائهم وأنا على قيد الحياة . والآن حين ينادونني بكلمة أبي يعرف كل منا حقيقة معنى هذه الكلمة»(**) .

وعدالة دون انطونيو عدالة صارمة وفورية لا تعرف التأجيل والتسويق ، ولكنها في نفس الوقت عدالة محسوبة لها قوانينها ، ولها إجراءاتها الدقيقة ، كما وأنها تستمد قوامها من المثالية والموضوعية التي لا حيدة فيها مهما كانت مشاعره الخاصة نحو أشخاص المتقاضين . فهو إذا اتخذ حكماً في شأن أحد لابد أن يقتنع أنه ليس أمامه غيره ، ثم يقوم من فوره بتحذير صاحب الشأن . والقضية عنده «جرسان دائماً ، وقد اعتدت أن أسمعها يدقان معاً فالجرس الواحد يدق

* الفصل الثاني .

** الفصل الثاني .

للموتى فقط وأنا حي أرزق»(*) . ومن ثم فهو لا يصدر أحكاما إلا في حضور طرفي النزاع ومواجهتهما بعضهما ببعض .

ومنذ البداية تتضح معايير عدالته بجلاء في قضايا أوه نايت ، وأوه بالموميللو وأوه كوتزو ، وأوه نازوني ، وهذه كلها أسماء شعبية البعض منها يثير الضحك ، ولكنها في النهاية أسماء محلية وواقعية كباقي أسماء شخصيات مسرح ادواردو دى فيليبو والتي تغلب على بعضها الآخر صيغ التذليل والتصغير مثل : جنارو التي تصبح جنارينو ، ورفائيل التي تصبح رافيلوتشو أو فنشنزا التي تصبح فنشنزيللا وهي صيغ كثيرة الاستخدام والتبادل مع أسمائها في مدينة نابولي .

ففي المشهد الأول من المسرحية نستطيع أن نلمس مدى احتضان دون انطونيو لقضيته فيته مفتوح لكل محتاج وفيه رعاية طبية مذهلة شبيهة بالرعاية الطبية في المستشفيات الحقيقية ، وأبناءؤه وأهل بيته مدربون تدريباً عالياً على أداء هذه الأعمال ، وتقديم الخدمات حبا وكرامة للناس وإيمانا منهم بقضية رب البيت الذي أحسن غرسها فيهم . وهو وإن كان أعطى الحق لأوه نايت لأن «لقمة العيش هي لقمة العيش» ولا يحق لأحد أن يعتدي على لقمة عيش الآخر أو على عمله ، لم يعفه من العقاب الحازم أولا لعدم إغاثته لخصمه بعد أن آذاه بمسدسه وثانيا لأنه – وهذا هو الأهم – لم يعرف كيف يصدر الحكم المناسب لجريرة خصمه فصحيح «أن بالموميللو قد أخطأ ، ولكن خطأه لا يستحق الضرب بالنار» .

وروح العدل قاعدة مطلقة ومتأصلة في نفس دون انطونيو فعندما يعتدي الكلب على زوجته ، ويضطرها للعلاج في المصحة لا يتوانى عن إجراء تحقيق مع زوجته حول الحادث ليقضى فيه بحكم ، وهو رغم حبه الشديد ومعاناته الصادقة لآلام رفيقة حياته يسأل : «أرميدا ، ياروح توني ، أريد أن أعرف شيئا واحدا فقط وبعده لن يقضي على مالا فيتنا إلا مسدس واحد . . مسدسي أنا :

* الفصل الثاني .

عندما هاجمك الكلب هل جاء إلى حجرتك؟ وعندما ترد عليه بالسلب وبأنها ساعته كانت تجمع البيض في حظيرة الدجاج . . لا يتردد دون انطونيو في إصدار حكمه: «مالافيتا هنا في العزبة ليحمي البيت والأسرة والدجاج . . الكلب صاحب الحق».

ولعله من المستحيل التسليم بجواز المساواة بين الإنسان والحيوان، أو الاعتراف بوجودهما في التقاضي بينهما، وليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن المؤلف يطالب بمثل هذه المساواة، كما وأن حكمة دون انطونيو واتزانه يستبعدان أي هزل في هذا المقام. ويبقى أن يظل هذا مجرد رمز لتجرد العدالة ونصرة الحق، وإنصاف أصحابه. وليس هذا بمستبعد على شخصية البطل الذي يقدر العدالة في حد ذاتها لبعدها عن الغرض بما في ذلك العدالة الشرعية التي يتضح إجلاله لها من خلال وصف أخلص أصدقائه وأعرفهم به . . الدكتور فايو. فحين تبدي دونا أرميدا قلقها وخوفها من أن يفقد أعصابه أمام رجال القانون يقول لها: اسمحي لي إذن أن أقول لك إنك لا تعرفين دون انطونيو الرجل. لعلك تعرفين فيه الزوج على حقيقته ولكني أعرف فيه دون انطونيو الرجل أكثر منك. هل رأيته مرة في المحكمة، وهو يركع على قدميه ويقول للقاضي: «بإسيادة المستشار الموقر» (يتظاهر بخلع قبعته ويقلد في خشوع انحناء دون انطونيو أمام القاضي).

أرميدا : (تبرر تصرف زوجها) ولكنه القاضي.

فايو : لا، لا. إنه يفعل هذا حتى مع الحاجب. بل ومع كل من يعمل في القضاء كبر مركزه أم صغر(*) . والقضية الأساسية التي يواجهها دون انطونيو هي قضية ذات مغزى خاص

* الفصل الثاني.

وتتعلق في المقام الأول بالقيم الأسرية . وإذا كان ادواردو دي فيليبيو قد جعل من فيلومينا مارتورانو في المسرحية التي تحمل اسمها رمزا لقدسية العلاقة بين الآباء والأبناء ، ووضع على لسانها عبارة موجزة من كلمتين مشحونة بنبل مشاعر الأمومة ، وصدق معاني البذل وإنكار الذات وهي «الأبناء أبناء» ، فإنه في هذه المسرحية يوحى إلينا بأنه يتمم هذه العبارة فيقول : «الآباء آباء» أيضا .

فموقف دون انطونيو في هذه القضية يختلف عن مواقفه في باقي القضايا فهو يقوم دائما بدور الدفاع والادعاء والقضاة ، ويفعل هذا في ثقة وحزم دون أي تردد . أما في هذه القضية فدوره يتسم بكثير من الصبر، والتروي والمثابرة . فالوالد ليس خصما كباقي الخصوم ومهما كان الخطأ في جانبه لا يجب قتله ، كما لا يجب أن تتوقف محاولات إصلاحه أبدا . وفي الواقع فإن شخصية هذا الوالد يمكن وصفها بأنها النقيض من شخصية دون انطونيو . فهو أب غافل ورب أسرة فاشل لا يستوعب احتياجات الأبناء ، ولا يفهم مشاكلهم ، وقد تسبب بحمقه ورعونته في تمرد ابنه عليه ، ودفعه إلى التورط في علاقة كان من السهل أن تصبح علاقة سوية ومشروعة لولا عدم تفهمه لابنه ، وسوء تفسير لمسلكه . ونجاحه في العمل ليس دليلا على تبصره بشئون الحياة أو تمرسه بأحوالها بل إنه واحد من ذلك الطراز الأناني من الناس الذي لا يشغل نفسه بشئون المجتمع ولا يعنى إلا بأموره الخاصة . وعلى الرغم من كل هذا فإن دون انطونيو سعى إلى بذل ما في وسعه لرفع هذا الأب إلى مستوى المسئولية ومستوى مكانته الأسرية .

ودون انطونيو ظل حريصا على الوفاء بعهده ، مؤمنا بقضيته حتى النزاع الأخير من حياته . أما رفيق دربه الدكتور فايبيو فقد بدأ معه طريق الكفاح في مقاومة الجريمة بحماس شديد ثم لم يلبث أن أصابه اليأس من هؤلاء الناس ، ومن إمكانية إصلاحهم بعد أن أدرك مدى كثرتهم ، وبعد المشقة بينهم وبين الوصول إلى تحقيق الهدف .

وتقول فرانكادي فيورنتزو: «يبدو أن ادواردو دي فيليبو قد أسقط في هذه المسرحية طرفي شخصيته المركبة، وقدم جانبيها المتعارضين: الجانب المثالي والجانب العقلاني»(*) .

وفي الواقع فإننا نلاحظ أن مثالية دون انطونيو مازالت تصطدم بعقلانية الدكتور فايو حول الهدف الذي سعيًا إليه معا، ثم اختلفا في أسلوب تحقيقه شيئًا فشيئًا حتى لم يصبح أمامهما إلا أن يركن كل منهما إلى رأيه في ثقة وهدوء . ويتضح هذا الموقف خاصة في الحوار الختامي الذي دار بينهما بعد اكتشاف خيانة غير متوقعة من إحدى الشخصيات فجاء على لسانها:

فايو : أرأيت أنني على صواب؟ لا فائدة . . . إننا ندور في حلقة مفرغة .

انطونيو : بل أنا الذي على صواب . فاليوم دون انطونيو بركانو، وغدا دون انطونيو غيره، وبعد غد دون انطونيو آخر وهكذا . . . وربما بهذا الشكل يجد أبناء أبناء أبنائي وأبناء أبناء أبناء هذا الجبان (يشير إلى أوه كوتزو) ربما يجدون أرضا تدور أيضا كهذه ولكنها أقل استدارة، وأكثر استقامة . ألا تتفق معي؟

فايو : لا .

انطونيو : منذ فترة ونحن لا نتفق في الرأي . . . (**) .

بيد أن هذا لا ينفي أن هناك علاقة حميمة تربط بينهما بوشائج وثيقة تجعل منهما صفوين متلازمين ومتكاملين . وحين تسير المسرحية نحو النهاية،

* الفصل الثاني .

** فيورنزا دي فرانكو - مسرح ادواردو - أونيفرسالي لديرسا - باري - ١٩٧٥ - ص ١٩٣ .
(بالإيطالية)

ويعير من المحتتم أن يروح دون انطونيو ضحية للطعنة الغادرة، يصر على المضي في إتمام رسالته ويوصي صديقه بكتابة تقرير طبي ملفق تمشياً مع مثله العليا في محاصرة الجريمة، والوصول إلى عالم أفضل .

وفي نفس الوقت يسعى الدكتور قابيو للوصول إلى نفس المرامي من خلال مواجهة الواقع وحض الآخرين على اقتفاء أثره: « . . . الظاهر أنكم اعتدتم أن ترسلوا ضمايركم دائماً إلى المغسلة . . . ولستم وحدكم في هذا بل الجميع بلا استثناء من الكبير إلى أصغر صغير فهل لي بعد هذا أن أنفذ وصية دون انطونيو؟ أنا لن أرحل ، سأبقى هنا . . . (يخرج الشيك من جيبه ويسلمه لسانتانييللو) خذ هذا واعطه لأرملته إذا أردت أن تقوم بواجبك (يلتفت إلى أوه كوتزو) ، وأنت ستتكلم إذا شئت (إلى الجميع) ، وأنتم ستحكون ما رأيتم وما سمعتم الليلة إذا أردتم . أما أنا فساكتب شهادة الوفاة كما يملئها علي ضميري ، وسيهب أبناء دون انطونيو ويهب أقارب دون أرتورو والرفاق ورفاق الرفاق والأصدقاء والحماة . . . مذبحة . . . حرب . . . دمار . . . ولكن هذا أفضل فربما خرجت من هذا الخراب دنيا كالتى كان يحلم بها دون انطونيو . . . دنيا أقل استدارة وأكثر استقامة . . . » (*) .

ومن ثم فإن مقصد الاثنين واحد وهو الوصول إلى الحق وتحقيق العدالة . وإذا كان دون انطونيو قد لقي حتفه في سبيل القيام برسالته ، وأن قابيو قد عاد بالقضية مرة أخرى للعدالة الرسمية إلا أن الدرس الذي يقدمه ادواردو دي فيليبو من خلال شخصية دون انطونيو يظل محتفظاً بقيمته ، وفاعلية جدواه . وأهم المعاني التي تبرز منه هو كشف المساحات المعتمدة في طريق العدالة ولفت الأنظار إلى مغبتها والعمل على تحريك الضمائر والقلوب نحو خطورة التلاعب بالقوانين والآثار المدمرة المترتبة على الظلم والإجحاف .

* الفصل الثالث .

أسماء الشخصيات

انطونيو بركانو

أرميدا - زوجته

جيرالدينا - ابنته

جنارينو ، أميديو (ابناه)

الدكتور فابيو ديلا راجوني

أرتورو سانتانيلا

رافيلتشو سانتا نيللو

ريتا - خطيبة رافيلوتشو

اما كولاتا

فتشنزو أوه كوتزو

أوه بالوميللو

أوه نايت

كاتيللو

بسكالي أوه نازوني

زوجته

بيبي تشوتشو

زيبا كيللو

لويجي

فنشنز يلا

الفصل الأول

حجرة معيشة مريحة يدخلها الضوء من كل مكان . الحجرة تقع في شقة كبيرة من الطابق الأول في بيت يطل على سفح بركان فيزوف بالقرب من ترسينو أو سوما فيزوفيانا . الأثاث يتكون من قطع ضخمة ورياش ملفت للأنظار . يشاهد من الواجهة الزجاجية الكبيرة حديقة عامرة بأشجار الموالح وصفوف من أشجار الكرم واضحة المعالم أمام صفحة بحر نابولي الفيروزي المفضض . الفجر يوشك على البزوغ في ليلة صامئة من ليالي أوائل سبتمبر . أما كولاتا كامبيزي تدخل في قميص النوم وتتجه نحو الحائط الرئيسي وهي تقوم بارتداء الروب . في نفس الوقت يتناهى للسمع رنين جرس عتيق مكتوم . أما كولاتا ترفع لوحة من على الحائط فينطلق الرنين وتزداد حدته بجوار هذا الجرس المركب على تجويف وراء اللوحة يوجد بوق من الطراز القديم . أما كولاتا تضغط على زر وتضع أذنها على البوق .

اما كولاتا : (تكتفي بسماع كلمة واحدة تفهم منها المراد ثم ترد)
حسنا . . حسنا (تهرول إلى مكان آخر في الغرفة وترفع لوحة أصغر من اللوحة السابقة فيرن جرس آخر وتضع فمها على بوق أشبه بالأول وتهتف متعجلة) افتحوا الباب . . (تقوم بإشعال شمعدان ثم تسرع بدخول حجرة مجاورة تعود منها بعد قليل تفتح بابا آخر وتختفي ثم تعود يتكرر المشهد في حجرة ثالثة) .

بعد برهة تقبل جيرالدينا من أولى الحجرات التي دخلتها
اماكولاتا. جيرالدينا هي الابنة الصغرى لدون انطونيو،
وقد ورثت عن أبيها طباعه، فهي تلقائية كريمة معترزة
بنفسها، رزينة حازمة لا تحيد عن الحق ولو قطعوا
رأسها، حسناء قمحية اللون ممشوفة القوام رقيقة اليدين
والقدمين، عيناها الواسعتان السوداوان تنطويان على
نظرة مذهلة لا يسبر لها غور. . استيقظت ولا تزال
فريسة للنعاس ولكنها تعي ماتفعل. تدخل الحجرة
وهي تقوم بارتداء الروب مثل اماكولاتا وتضم شعرها
بدبوس صغير. تتجه نحو الدولاب وتفتحه وتناول منه
لفافة كبيرة من القطن ومعطفا للعمليات الجراحية.
تفرش القطن على المائدة الكبيرة في وسط الحجرة كأنها
تجهز مائدة للطعام وتضع المعطف على ظهر المقعد.
يدخل أخوها جنارو من إحدى الحجرات مرتديا
البيجاما منكوش الشعر. يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين
عاما. جيرالدينا يبدو عليها الخمول وهي تفتح دولابا
آخر في الغرفة وتناول وعاء كبيرا من المعدن يحتوي على
آلات جراحية وجهاز تعقيم مطلي بالكروم وزجاجتين
كبيرتين تحتوي الأولى منها على صبغة اليود والأخرى على
مادة مطهرة وموقد صغير يعمل بالكحول. في هذه
الأثناء تعود اماكولاتا حاملة حوضين صغيرين مطلين
بالميناء البيضاء ولفافة كبيرة من القطن الطبي وأربطة من

الشاش ومجموعة من فوط الكتان النظيفة الناصعة
البياض . عند هذا الحد يقوم الثلاثة في صمت واستغراق
تمليه عليهم خطورة الموقف بإعداد غرفة عمليات حقيقية
فيتسم آداؤهم بالتجانس وإتقان التفاصيل . توجد في
الحجرة أيضا أربعة مقاعد متينة بدون مساند عليها
لوحات من ملة السرير . المرأتان تفرشان عليها ملاءة
بيضاء وجنارينو يضع بجوارها مصباحا على حامل .
يدخل من باب الغرفة الدكتور فايو ديلاراجوني(*) .
رجل يناهز الخامسة والستين من العمر، جذاب المظهر،
معبر الوجه ، عيناه تنطقان بالفطنة . هادىء الطبع ،
مؤمن بقضاء الله وقدره . الدكتور فايو يرتدي سترة
بيجاما وبنطلونا . يقترب من المنضدة ويلقي عليها نظرة
سريعة ليطمئن على تمام محتوياتها ثم يرتدي المعطف
الأبيض بمعاونة اماكولاتا . جيرالدينا تصب الكحول في
الحوض . جنارينو يتناول الآلات الجراحية من الوعاء
ويضعها في الحوض . اماكولاتا تشعل عود ثقاب وتقترب
به من الكحول فتصاعد النار فجأة وتلقي بضوئها
المتماوج على الأشخاص الأربعة فتنعكس أخيلتهم

* دأب المؤلف على إطلاق أسماء على الشخصيات مستقاة من معان تتفق مع ما تمثله من أدوار في الحياة أو ترمز إلى طبيعتها وطباعها وطريقة تفكيرها ، أو أسماء تدل على الطابع المحلي لمدينة نابولي ! ومن هذا اسم ديللا راجوني Dellaragione «عقل» أو «حكيم» أو كما سيرد فيما بعد في اسمي أوه بالوميللو O Palummiello أو أوه نايت O Nait والاسم الأخير محرف عن الإنجليزية Night ويعنيان على التوالي «حمام» و«أبو الليل» .

طويلة على الحائط وتراقص بشكل كئيب . تسمع من
الداخل أصوات ثلاثة رجال قادمين من بعيد يصاحبها
صوت جرجرة أقدام بطيئة متثاقلة . الأشخاص الثلاثة
هم أوه بالوميللو وأوه نايت وكاتيللو البواب والحارس
الأمين لعزبة بركانو.

بالوميللو : يامغيث . . يامغيث . . يامغيث . . (يضع يده على فمه
ليكتم صيحات الألم التي يعجز عن السيطرة عليها .
بالوميللو مصاب بطلق ناري في ساقه اليمنى) .

كاتيللو : اسكت . . اسكت . . لقد وصلنا .

بالوميللو : اللعنة . لم أعد أقوى على السير .

أوه نايت : تجلد . .

كاتيللو : أنت رجل أم امرأة؟

بالوميللو : دعوني استرح قليلا .

يتوقف وقع الأقدام

كاتيللو : هل جننت؟

أوه نايت : الجرح يتلوث . .

كاتيللو : هيا الدكتور ينتظر .

بالوميللو

: يامغيث . . يامغيث . .

(يسمع وقع الأقدام مرة أخرى ويزداد اقترابه شيئاً فشيئاً)

كاتيللو

: لا تفكر في الجرح . . وإن فكرت فيه فلا تلم إلا نفسك . .

أوه نايت

: غن . . غن . .

بالوميللو

: ومن يقدر على الغناء في هذه الحال - يامغيث . . .

أخيراً يشاهد الثلاثة يدخلون خشبة المسرح . المصاب
يوضع على سرير العمليات بعناية ورعاية لا تقل عما
يفعله أكثر الممرضين خبرة في غرف الإسعاف فكل منهم
له دور محدد يجيد أدائه . اماكولاتا تغلق ضلقتي
الفراندة . جنارينو يضغط على زر المصباح ليضيء
المكان الذي ستجرى فيه العملية فيغمر الضوء في الحال
جسد بالوميللو جيرالدينا تناول الطبيب القفاز الطبي .
اماكولاتا تهول نحو المطبخ .

فابيو

: (ملتفتاً إلى أوه نايت) من أنت؟

أوه نايت

: أنا الجاني . . أوه نايت .

فابيو

: (إلى جيرالدينا) الحقنة .

جيرالدينا تعد الحقنة وتملؤها بالدواء الذي أشار إليه .

بالوميللو : (يتعرض لنوبة ألم حاد مفاجئة فيصرخ) آه . .
يامغيث . . يامغيث . .

فابيو : لا تصرخ فدون انطونيو نائم . (يلتفت مرة أخرى إلى أوه نايت)
أنت الذي أطلقت عليه النار؟

أوه نايت : نعم أنا يادكتور . .

فابيو : (يتناول الحقنة من يد جيرالدينا) وماذا تفعل هنا؟

أوه نايت : الواقع أن الحادث وقع حوالي الساعة الثانية إلا ربعا عند
نهاية شارع مارينا بالقرب من تقاطع الطرق الذي يؤدي
من اليمين إلى شارع سان جوفاني آتيدوتشا ومن اليسار
إلى طريق بومبي السريع .

بالوميللو : (كالسابق) اغيثوني . .

فابيو : (في وقار وهدوء) قلت لك ألا تصرخ (إلى جنارينو)
اخفض بنطلونه (يغرس الحقنة في فخذ بالوميللو بيد ثابتة
متمرسة بعد أن يقوم جنارينو بإنزال بنطلونه) الآن سيهدأ
الآلم . المقص يا جيرالدينا (جيرالدينا تدرك ما يعنيه .
فتتناول مقصا كبيرا وتشرع في قص الرجل اليسرى لبنطلون
بالوميللو من أسفل إلى أعلى . شعلة الكحول تتناقص في

الحوض . فابيو ينتهز الفرصة ويضع فيه ملقطا ينتقي ويتناول به الأدوات اللازمة للجراحة ، يلتفت في نفس الوقت إلى أوه نايت ويقول) ثم ماذا؟

أوه نايت : ثم تبادلنا إطلاق النار . فهو أيضا أطلق علي الرصاص (يخرج من جيبه مسدسا) وهذا هو مسدسه (يرفعه في يده لعل أحدهم يتناوله) .

فابيو : (بصيراً ببعض الخدع يحذر الآخرين في الحال) لا أحد يلمسه . . ألسنت أنت الذي التقطته؟

أوه نايت : نعم ياسيدي .

فابيو : إذن احتفظ به في جيبك . . لمن تريد إعطاؤه؟ (أوه نايت يعيد المسدس إلى جيبه) وبعد؟ .

بالوميللو : (يطبق على فكيه ليتغلب على الألم الحاد الذي يتناوبه) كنت أنزف دماً وأبحث عن أحد ينجدني ولكن لم يكن هناك أثر لإنسان . أما هو فحين رأي أقع على الأرض لاذ بالفرار .

أوه نايت : أتريد أن انتظر حتى يقبضوا علي؟ لقد دخلت في حارة تؤدي إلى السكة الحديدية وابتعدت بخطوات طبيعية ، ولكن كلما ابتعدت عنه سمعت صراخه . . الحقوني . . الحقوني كان صوته يحرك الحجر في قلب الليل . ياإلهي . . إننا قبل كل شيء أصدقاء وياعزيزي الدكتور

وضعت ذيلي في أسناني وانطلقت أجري وأجري حتى أن
قلبي مازال يدق . . وأخيرا وجدت «تاكسي» فعدت إليه
بأقصى ما استطعت من سرعة وحملته بين ذراعي
ووضعت في العربة وجئت به إلى هنا .

بالوميللو : لم أتعرف عليك فقد حسبت أنك عابر سبيل شهم وإلا
لأطلقت عليك النار.

أوه نايت : وهل كان يطاوعني قلبي أن أتركك مرميا على الأرض لو
كنت أعرف أن حالتك خطيرة إلى هذا الحد .

بالوميللو : شكرا . (يبدل جهده ويمد له يده) .

أوه نايت : (يشد عليها في مودة وحب) استغفر الله . . هذا
واجب . والآن لا تفكر إلا في الشفاء .

بالوميللو : عندما يتم شفائي سأضربك بالنار.

أوه نايت : لماذا هل تراني غشيا أو مغفلا؟

فابيو : كفى هذا . . وإني لعلّ يقين أنكما أطلقتما النار لسبب
تافه .

أوه نايت : لا . لا . لا . السبب مهم ، فيجب أن تعرف أنه . .

فابيو : (محتدا) لا تضايقني أكثر من هذا . . أنا لا أريد أن
أعرف شيئا . (ينتقد مسلك الرجلين ومسلك كل

الطائفة التي ينتميان إليها) شيء جميل . . ضربنا بعضنا
بالنار. أضربك بالنار. . ولكن على أية حال ليست هذه
غلطتكمما فأنتم جاهلان وستظلان جاهلين . .

اماكولاتا تدخل حاملة صينية عليها تنكة القهوة
والفناجين . تقدم فنجانا للطبيب أولا ثم تقدم الباقي
للآخرين .

بالوميللو : (متضرعا) جرعة ماء . .

فابيو : لا تستطيع الشرب .

بالوميللو : (صارخا من الألم) يامغيث . .

فابيو : قلت لك اسكت . أتتوجع الآن؟ لماذا لم تفكر في الوجع
قبل أن تخرج مسدسك؟

بالوميللو : (مشيرا إلى أوه نايت) هذا القذر نذل .

أوه نايت : النذل هو أنت .

فابيو : (يحتسي القهوة) أنتم الاثنان نذلان .

أوه نايت : أتعرف كيف بدأت المشكلة؟

فابيو : لا أريد أن أعرف . الحوض (في تلك الأثناء ثنت

جيرالدينا قماش بنطلون بالوميللو إلى فخذه وعزّت ساقه

وكشفت عن الجرح . تبدأ العملية الجراحية . جيراالدينا
واماكولاتا وجنارو يعملون مساعدين لفابيو . الثلاثة
يغمسون أيديهم في وعاء مليء بالكحول ثم يرفعونها في
الهواء لتجف . فابيو يضع فنجان القهوة ، يرتدي القفاز
الطبي ويغمس يده في وعاء الكحول . البعض يعد
القطن ولفافات الشاش والبعض يضع صبغة اليود على
موضع الجرح . الآخرون الأكثر خبرة يناولون فابيو
الأدوات الجراحية اللازمة للعملية . يقومون بهذا دون أن
يطرف لهم جفن وبحركات تنم عن التمرّس . الجراحة
تستغرق حوالي خمس دقائق . بالومييللو يتلوى ولكن
ساعدي جنارينو القويتين يمنعانه من الحركة فيتوجع .
اماكولاتا تسد فمه بيدها . فابيو يشرع في إجراء العملية
في هدوء وحنكة . يوشك أن يدخل المشرط المناسب في
الجرح ليخرج الرصاصة . قبل أن يقوم بهذا يطلب
المنديل . اماكولاتا تحضر منديلا ناصع البياض وتدخله
كله في فم بالومييللو جزءاً جزءاً في مهارة فائقة . فابيو
يواصل عمله . الجميع يكتمون أنفاسهم ، تصل من
الشارع شخلة الأجراس الناعسة المعلقة على رقاب
الخيول الهزيلة وهي تجر في مشقة العربات المحملة
بالخضروات لتنقلها للأسواق العامة . تتناهى إلى السمع
أصوات الخوذيين المبحوحة الناعسة مرددة الأغاني
الشعبية الرتيبة المتوارثة أبا عن جد . فابيو يضع جانبا

الرصاصية التي أخرجها من فخذ بالوميللو . بعد تطهير
الجرح تقوم اماكولاتا وجيرالدينا بلفه بالشاش ثم تقوم
اماكولاتا بفتح ضلفتي الفراندة . الضوء يتزايد في
الخارج . خيوط الفجر البيضاء تشاهد من الفراندة من
وراء زبوة الأشجار وهي تزيح زرقة الليل وتحسرها .
بالوميللو يفقد الوعي ولكن نبضه قوي . جنارينو يرفع
قبضته التي شل بها حركته ويحتسي قهوته .

أوه نايت : (في لهفة) كيف حاله ؟

فابيو : (بدلا من أن يجيب على سؤاله يريه الرصاصية ويقول)
عيار ٦ مم .

أوه نايت : سبحان الله . . (يشير إلى المعجزة التي نجا بها صديقه)
يجب أن يضعها في بومبي (*) .

فابيو : نعم في بومبي . ولكن ليس في كنيسة بومبي فلا اعتقد أن
العذراء تحب أن تشرى مجموعة رصاصاتها بواحدة أخرى .
يجب بالأحرى أن يضمها إلى مجموعة آثار بومبي لنرى
مدى الخطوات الضخمة التي قطعتها الحضارة الإنسانية

* بلدة بومبي الإيطالية وفيها كنيسة تحمل اسم عذراء المسيحية ، يؤمن كثير من الناس ببركاتها وقدرتها
على تحقيق المعجزات وإشفاء المرضى ويقدم لها من يقدر لهم الشفاء أو النجاة من المهالك ندورا
ترمز إلى الداء أو الخطر الذي يرون أنهم أفلتوا منه بفضلها تعبيرا عن شكرهم وعرفانهم - فالمرضى
بالقلب مثلا يحمل إليها قلبا من الذهب أو شيئا ثمينا يحمل صورة القلب . والمرضى بالشلل يحمل
إليها عكازه الذي كان يستخدمه أثناء ابتلائه بالعجز عن المشي وهكذا .

(مشير إلى بالوميللو) . احمّوه إلى الخارج ليشم الهواء .
ضعي مقعداً في الخارج يا اماكولاتا . (تنفذ ما طلبه)
والآن ضعوا عليه غطاء وحين يفيق دعوه يرحل .

بالوميللو : (بصوت واهن) أريد أن أقابل العمدة .

أوه نايت : وأنا أيضا أريد أن أقابله .

اماكولاتا : (بحزم ليدرك الاثنان أن نوم دون انطونيو شيء مقدس)
دون انطونيو مازال نائما .

جنارينو : وكلما تأخر في النوم كان هذا أفضل .

فابيو : (إلى اماكولاتا) هل نام على الفور أمس؟

اماكولاتا : إنه لا يتكلم ولكني أعرف من تصرفاته ما يشغل فكره .
الألعاب النارية بدأت في الحادية عشر ونصف .

جنارينو : كان هناك ثلاثة متبارين . . أوه توريزي وباكيالوني وأوه
نانو داسيبيريا(*) .

جيرالدينا : (في إعجاب) كان أوه توريزي مثيرا حقاً للحماس .

جنارينو : وباكيالوني أيضا .

جيرالدينا : أتريد أن تقيسه به؟ صواريخ أوه توريزي كانت الأجمل

* فزم سيبيريا O'Nano da Siberia

أولا كانت تصل إلى ارتفاعات توجع الرقبة بسبب النظر إليها. ثانيا كانت تتفجر على هيئة مراوح أو ورود دقيقة مبهرة كأنها مرسومة باليد. وحين تظن أن الواحد منها قد انتهى تتفجر منه باقة ثم باقة. وقبل النهاية أطلق ثلاثة أو أربعة صواريخ تفتح باقاتها على ست مراحل وختم ألعابه بثلاثة صواريخ ارتج لها الزجاج وبدأ كأن البيوت توشك على الانهيار.

اما كولاتا : وكان دون انطونيو منشرح الصدر. فكلما تفجرت إحدى الباقيات كان الأصدقاء ينظرون إليه وكان هو يحرك رأسه هكذا (تهز رأسها مقلدة حركة رأس دون انطونيو ورضاءه) ليقول جميل . . جميل .

كاتيللو : وحين جاء دور باكيالوني بدأ يظهر على وجه دون انطونيو الضيق. أما الثالث . . أوه نانو داسيبيريا فلم يكذب يطلق صاروخين أو ثلاثة حتى نهض دون انطونيو وقال تصبحون على خير. . كأنه يقول هذا تافه. ثم حيا أصدقاءه وذهب إلى الفراش.

اما كولاتا : وبالطبع انصرف الجميع احتراماً له. كان ذلك حوالي الثانية عشر ونصف وبعد عشر دقائق أو ربع ساعة ذهبت إلى حجرتة وفتحت الباب بهدوء فوجدته يغط في نوم عميق.

- فابيو : إذن لم يعرف شيئاً عن موضوع دوناً أرميدا؟
- اما كولاتا : كلا . . كان ساعتها قد أمضى أكثر من ساعة في الفراش .
- فابيو : وكيف حالها؟ ألم ينم إلى علمك شيء؟
- اما كولاتا : لقد عاجلها في الاسعاف بنابولي . خاطوا لها اثنتي عشرة غرزة .
- فابيو : لاحول ولا قوة . . لقد عدت من نابولي بالذات أمس ولكن للأسف بعد وقوع الحادث ولولا هذا لعاجلتها بنفسها .
- جنارينو : لقد اصطحبنا أنا واميديو .
- فابيو : وهل احتجزوها في الاسعاف؟
- جنارينو : لا . . فبعد العلاج شعرت بألم شديد ولم يكن في مقدورها أن تعود بالسيارة مرة أخرى فأخذها أميديو إلى بيته ووعد أن يحضر بها في الصباح بمجرد أن تشعر بالتحسن كما وأنها كانت تتوقع بصوت عال ولو عادت مباشرة لاستيقظ أبي ولا تقلبت الدنيا رأساً على عقب .
- اما كولاتا : اتصل اميديو في الساعة الثالثة تقريبا وقال إن حالتها قد تحسنت وأنها استغرقت في النوم .

فابيو : لقد حذرت دون انطونيو أكثر من مرة من هذه الحيوانات ولكنه مغرم بها . إنه يربيهما وينفق عليها صحته ولا يريد أن يفهم أنها خطر على الأسرة . . إنها حيوانات مفترسة . . وما لافيتا(*) هذا ليس كلبا . . إنه وحش ضار.

اما كولاتا : عندما يفتح فمه يبدو كالجحيم . . يالقبحة!

جنارينو : وحق العذراء لأبعثن به إلى الآخرة بطلقة من مسدسي في قلب جبينه . لا بد أن أصفى حسابي هذه المرة إما معه وإما مع مونيتشيللو.

جيرالدينا : الويل لك إذا سمعك أبي .

جنارينو : عندما يعرف غدره بأمننا سيتناول مسدسه ويقتله بنفسه .

فابيو : لاشك في هذا .

اما كولاتا : إن دون انطونيو يعبد دوناً أرميدا عبادة . . فكيف يتصور أحد أن يفلت هذا الكلب من العقاب .

يقوم ثلاثة الرجال أثناء هذا الحوار بحمل بالوميللو على أذرعتهم وبوضعه على المقعد الذي أخرجته اما كولاتا إلى الفرندة ثم يقومون بمساعدة جيرالدينا واما كولاتا بفك سرير العمليات المرتجل وترتيب الحجرة .

* مالافيتا Malavita حرفياً «حياة السوء» واصطلاحاً «عالم الجريمة» .

جنارينو : سأذهب لأخذ دشا وأغير ملابسي ثم أذهب إلى محلي في نابولي (إلى اماكولاتا) . أعدي لي بيضتين مضروبتين باللبن المخلوط بالقهوة .

اماكولاتا : حاضر.

جنارينو : بإذنك يادكتور.

فابيو : تفضل .

(جنارينو يخرج)

جيرالدينا : أريد أن أشرب كوب لبن بالقهوة (تذهب إلى حجرتها) .

اماكولاتا : وأنت . . ألا تريد شيئاً يادكتور؟

فابيو : لقد تناولت قهوتي الآن .

اماكولاتا : إذن فيما بعد؟

فابيو : عندما يستيقظ دون انطونيو احضري لي مع إفطاره كوباً من اللبن البارد . هكذا أرافقه في الطعام .

اماكولاتا : وهل أحضر لك بعض البسكويت؟

فابيو : تصرفي أنت .

كاتيللو : إني ذاهب . . أريد أن آكل شيئاً أنا الآخر، فأنا أشعر بأن
أمعائي تتلوى . . لدى طبق مكرونة بالفاصوليا من
الأمس . . هل تفضل معي يادكتور؟

فابيو : بالهناء والشفاء .

كاتيللو : (مشيراً إلى تجويف الحائط الأيمن) إذا لزمك شيء نادر
علي .

فابيو : هل سيستقبل زوارا اليوم؟

كاتيللو : قليلين . . المفروض أنه كان سيستقبل عشرة ولكنه طلب
مني أن أشطب سبعة من القائمة وقال إنه يجيء إلى
ترسينيو طلباً للراحة .

فابيو : معه حق . . فعندما أفكر في أننا سنعود إلى نابولي بعد
عشرين يوماً يقشعر بدني .

كاتيللو : طبعي ، فدون انطونيو له قدره في حي سانيتا .

فابيو : في بعض الأيام يقف الناس في طابور على بابه .

كاتيللو : سيستقبل اليوم ثلاثة أشخاص فقط
: بسكاي أوه نانزوني (*) .

فابيو : من ؟

* أوه نازوني O' Nasone « أبومنخار » .

كاتيللو : واحد من حثالة الناس ومشكلته تافهة ولكنه ما أن علم أن انطونيو قد اهتم بموضوعه حتى جاء جريا . وعلى كل حال ليست هناك تعقيدات فسيحضر معه خصمه - فتشنزوا أوه كوتزو - سيشد كل منهما على يد الآخر أمام دون انطونيو وينتهي الموضوع . أما الثالث فهو رافيلوتشو سنتانيللو ابن صاحب فرن في شارع متفرع من شارع جاتشيتو البينو - دون أرتورو - الرجل الذي تزوج مرتين . لقد جاء أمس وأول أمس وأخيرا قرر دون انطونيو أن يستقبله اليوم . كما ترى فإنه يوم هادىء .

فابيو : نحمد الله .

كاتيللو : هناك أيضا هذان الاثنان .

فابيو : عندما تخرج اغلق وراءك الباب وإذا أراد أن ينتظرا فالينتظرا في الخارج .

كاتيللو : بإذنك .

فابيو : تفضل .

كاتيللو : (إلى أوه نايت وهو خارج) يدك معي لننقل هذا الصديق إلى هناك ، (يشير إلى مكان نحو صف أشجار العنب الأيمن) فأشعة الشمس تصل هناك أولا . (الاثنان يحملان المقعد الجالس عليه بالوميللو ويضعانه في المكان المشار إليه . المكان بين أشجار العنب فيختفي الثلاثة . بعد قليل يعود كاتيللو ويطل من الفرندة ويقول لفابيو) أنا ذاهب .

فابيو

: اقفل الفرندة .

(كاتيللو يقفلها)

اما كولاتا

: (وهي تدخل) دون انطونيو استيقظ .

فابيو

: هكذا مبكراً؟ مازالت الساعة السادسة إلا ربعا . .

اما كولاتا

: دق الجرس ثلاث مرات . . مرة وراء المرة . . ومعنى هذا

أنه استيقظ منذ ربع ساعة (تتوجه نحو حجرة دون

انطونيو ولكنها تفاجأ به أمامها فتتف وتقول) أوه . . إنه

قادم .

فابيو

: الجو كان حارا الليلة .

دون انطونيو يظهر على عتبة الباب ، يبلغ من العمر

خمسة وسبعين عاما يحسد عليها ، طويل القامة سليم

البدن قوي البنيان مفتول العضل ، ظهره المنحني انحناءة

خفيفة تكسب مشيته مظهرا ملكيا ، بشرته البرونزية من

شأنها أن تضيفي على حيوية بياض عينيه بريقا لامعا لولا

أن إحساسا غريزيا يدفعه إلى مراقبة ما يحيط به أكثر من

النظر إليه مما يثقل جفنيه كأن النعاس يغالبه على

الدوام . في اللحظات القليلة التي يفتح فيها عينيه أو

تتجعد فيها أطرافها ترى نظرتة الساحقة التي تشبه إلى

حد كبير نظرة الوحش الحزين المجبر على الحياة في

الأسر. يرتدي في بساطة ووقار روبا دقيق المقاس داكن الخضرة. تشاهد من فتحة الروب ياقة جاكته البيجاما ناصعة البياض ومزينة بشريط أصفر يميل إلى اللون القرمزي. رباط رجلي البنطلون من الطراز القديم يتدلى على كعبيه وعلى قدميه المدسوستين في خف مريح. الدكتور فايو يرى دون انطونيو فيهم واقفا ويحييه في احترام بانحناء خفيفة.

اماكولاتا تتقهقر إلى الخلف بضع خطوات وتبتسم في استحياء وتلقي عليه بتحيةة الصباح، تقف متأهبة انتظارا لكلمة أو إشارة من دون انطونيو، تتبين من خلالها طبيعة مزاجه لتسلك المسلك المناسب، وتتأكد من عدم الوقوع في خطأ لا يغتفر. دون انطونيو يلوح عليه الغموض ويبادلها التحية مومئا برأسه مرتين ثم يقترب من المائدة ويجلس. وقفة طويلة يدور خلالها مشهد صامت مليء بالأسئلة بين اماكولاتا والدكتور فايو. في النهاية يحدق دون انطونيو في وجه فايو لحظة ويشير إليه بذقنه إلى المقعد المقابل لمقعده ليدعوه للجلوس. فايو يفهم الإشارة ويجلس.

انطونيو : (يدلك أحد قدميه ويسأل دون أن ينظر إلى أي منهما) استيقظنا مبكرا اليوم؟ (فايو واماكولاتا يتبادلان النظرات لعدم تأكدهما من المقصود بالسؤال). دون انطونيو يواصل تدليك قدمه ويدير عينيه قليلا تحت جفنيه

المثقلين فيدرك حيرة الاثنين ويبتسم ابتسامة خفيفة عابرة
ثم يقول : اماكولاتا تبكر دائما في الاستيقاظ . أجب أنت
يادكتور.

فابيو : فعلا . . الحق معك يجب أن أجيب أنا .

انطونيو : حسن . .

فابيو : أجريت عملية جراحية .

انطونيو : (في عدم مبالاة) آه . . .

فابيو : طلق ناري . . أوه نايت وبالميللو تبدا إطلاق النار.
(يبدأ في سرد الحادث) في حوالي الساعة الرابعة
والنصف . .

اماكولاتا : كانت الساعة الرابعة إلا ربعا .

فابيو : نعم ، نعم ، ف

انطونيو : (يرفع يده اليسرى ليقاطعه) يادكتور ستتكلم في هذا فيما
بعد . (الطبيب يسد فمه بيده اليمنى ويشير باليسرى
ليقول لن أتكلم بعد) اماكولاتا ! .

اماكولاتا : (متأهبة) أمر يادون انطونيو .

انطونيو : هاتي «قليلة الحياء» . .

اماكولاتا : (لا تفهم) قليلة الحياء؟ . . .

انطونيو

: التي تتكلم في الوجه . .

اما كولاتا

: (ما زالت لا تفهم فتطلب إيضاحاً من فابيو) دكتور . .

فابيو لا يستطيع أن يمد لها يد العون لأنه لا يفهم هو الآخر.

انطونيو

: الشيء الوحيد في هذه الدنيا الذي يقول الحقيقة حين يتكلم هو المرآة .

اما كولاتا

: آه وأنا التي لم تفهم (تخرج مهرولة) .

انطونيو

: (بعد لحظة تأمل) كلا . . إني مخطيء . . هناك شيء آخر لا يكذب أيضاً . . الموت . . إن الإنسان ينتمي إلى سلالة البشرية اللئيمة المخادعة . . إنه في سبيل اقتراف الظلم يتظاهر بالطرش والخرس والعمى وبأنه مريض القلب وبأنه مشلول ومسلول ومجنون . . ويستطيع أيضاً التظاهر بأنه يشرف على الموت . . ويقوم الأطباء - وأنت واحد منهم يادكتور - بعمل التحاليل والأشعة ليتأكدوا أن الإصابة أو المرض حقيقي وليس زائفاً . ولكن حين يموت الإنسان فقلبه يقول الحقيقة لأنه يتوقف وهذه هي اللحظة الوحيدة التي يتأكد فيها الطبيب من قراره دون أن يخشى الوقوع في الخطأ «حدثت الوفاة نتيجة لتوقف القلب» أليس صحيحاً يادكتور؟

فابيو

: هيه . . صحيح . .

اما كولاتا : (تعود حاملة مرآة صغيرة) إليك المسحوبة من لسانها
(تناولها لانطونيو).

انطونيو : (يضع وجهه أمام المرأة ويقترب به منها) عال . . عال
ياقليلة الحياء . . وماذا تعنين بقول هذا؟ صحيح أن
عمري خمسة وسبعون عاما ولكن هل لأحد عندي شيء؟
وهذه؟ (يشير إلى ندبة غائرة بين حاجبيه) هذه لا دخل
لها مطلقا بالسن . إن اسمها جاكينو، حارس عزبة
مارفيتزو، هل تذكرينه؟ يتجه إلى فابيو ويردد هذا الاسم
مرة أخرى ماذا فكه الأسفل ومسدلا جفنيه إلى
النهاية) جاكينو.

فابيو : (متهمًا) إنه مستريح في المكان الذي يستحقه .

انطونيو : هذه الندبة أحملها على جبينني منذ أن كان عمري ثمانية
عشر عاما . أما هذه التجاعيد (يشير إليها) فلها قصة
أخرى . أتعرف يا دكتور ماذا يكشف عن الخمسة
وسبعين عاما؟ انظر هنا إنني إذا وضعت إصبعي على
وجهي وضغطت فإني حين أرفعه يترك تجويفا كأني
غرسته في رغيف نبيء لم يدخل الفرن . . لابد من
الانتظار بعض الوقت ليلتئم اللحم ويعود إلى وضعه
الطبيعي .

فابيو : (في اقتناع) دون انطونيو. . إن أنسجتك فولاذية وصحتك حديد.

انطونيو : إذن يمكننا أن نفتح ورشة . (يناول المرأة لاماكولاتا)
خذي . . خذي . . الحقيقة لا تريح في بعض الأحيان .
(اماكولاتا تستعيد المرأة) اماكولاتا!

اماكولاتا : أمرك . .

انطونيو : أريد أن ارتدي ملابسني .

اماكولاتا : أمرك . .

انطونيو : أريد أن ارتدي ملابسني .

اماكولاتا : جاهزة ولكن ألا تأخذ دشا أولا.

انطونيو : أخذته .

اماكولاتا : (في أسف) ولا توقظني؟

انطونيو : ولا توقظني؟

انطونيو : لم أر داعيا كما وأني أريد أن اختلي بنفسني . . سأتناول الإفطار أولا ثم ارتدي ملابسني .

اماكولاتا : حالا . (تخرج).

انطونيو : (متثابا) يادكتور. . الحبة التي أعطيتها لي جعلتني أنام
ثلاث ساعات بالضبط وأنا أحتاج إلى خمس ساعات على
الأقل . . ثلاث ساعات قليلة .

فابيو : تستطيع أن تأخذ حبتين . . حبة قبل العشاء وحبة
بعده .

انطونيو : لقد سمعت صوت كاتيللو والجلبة التي حدثت عندما
وقفت السيارة أمام الباب وأدركت حيثئذ أن الأمر يتعلق
بعملية جراحية ، ولكنني قلت في نفسي إذا احتاجوا إلي
فإنهم سينادونني .

فابيو : لم يكن هناك داع ، فقد قمنا بعمل اللازم .

انطونيو : هل كانت جيرالدينا موجودة؟

فابيو : جيرالدينا وجنارو واماكولاتا .

انطونيو : واميديو؟

فابيو : لم يكن موجودا .

انطونيو : لماذا؟

فابيو : لأنه ذهب إلى نابولي .

انطونيو : لقد قال أمس أنه سينام هنا لأن الوقت كان متأخرا عندما انتهت الألعاب النارية . .

فابيو : ثم وقع الحادث .

انطونيو : حادث؟

فابيو : تناول إفطارك أولا ثم نتكلم في هذا الموضوع .

انطونيو : أهو خطير إلى هذا الحد؟

فابيو : لا، ليس خطيرا وإلا لكانوا أيقظوك ولكنه يضايق . .
وحين وقع الحادث لم أكن موجودا وقد آلمني كثيرا .

انطونيو : (تبدو عليه مسحة خفيفة من القلق كأنها هاجس يسأل)
أين أرميدا؟

تدخل اماكولاتا حاملة صينية بيضاوية من طراز نهاية القرن الماضي مزينة بورود متعددة الألوان . الصينية عليها آنية لبن وكوبان وسكين مطبخ مسنونة ورغيف من الخبز البلدي الطازج .

اماكولاتا : الإفطار . (تضع الصينية في منتصف المائدة) سأذهب لأحضر قديد الخنزير والتين .

انطونيو : انتظري (يتوجه إلى الطبيب) ماذا حدث؟

فابيو : أنت كنت حاضرة يا اماكولاتا . . تكلمي أنت .

اماكولاتا : عن ماذا؟

انطونيو : (في جمود) النهاية . . هل وقع مكروه لزوجتي؟

فابيو : السيدة أرميدا عضها الكلب .

انطونيو : متى؟ (يتناول السكين ويقطع الخبز)

اماكولاتا : (تصب اللبن في الكوبين) حوالي الواحدة بعد منتصف

الليل . كنا قد ذهبنا جميعا إلى الفراش ، (تناولها الكوبين مليئين عن آخرهما) ولكن دوناً أرميدا لم تنم كعادتها ، فهي تفضل القيام بترتيب البيت آخر الليل حتى لا يضايقها أحد كما أنها تحب أيضا أن تعد شيئا لليوم التالي وفجأة سمعتها تصرخ ، فجريت وحين وصلت وجدتها بين الحياة والموت وملابسها ملطخة بالدم ، (انطونيو يستمع إليها كأن الأمر لا يعنيه مباشرة ، يغمس الخبز في اللبن ويأكل . فابيو يأكل ويشرب هو الآخر) فأخذها جنازينا وأميديو إلى الإسعاف في نابولي . كنت أريد أن أوقظك ولكن دوناً أرميدا قالت لا ، لا ، إنه نائم فلو أيقظته فلن ينام ثلاثة أو أربعة الساعات التي ينامها .

انطونيو : (في هدوء تام ولكنه مطعون في الداخل) لذيذ هذا

اللبن . . الخبز واللبن أفضل إفطار في الصباح .

- اما كولاتا : إنه لبن صبح .
- فابيو : يجب أن تتناول منه كوبا في المساء .
- انطونيو : لا . لا . في المساء لا . (مثيرا إلى زوجته) وأين هي الآن ؟
- اما كولاتا : في نابولي عند اميديو . بعد أن أسعفوها حملها إلى بيته هناك .
- انطونيو : هل تكلم في التلفون ؟
- اما كولاتا : كيف لا . تكلم في الثانية والنصف وقال إن دونا أرميدا نامت وأنه ما أن تشعر بالتحسن حتى يضعها في السيارة ويحضر بها إلى هنا .
- انطونيو : أيها عضها . . موناتشيللو أم مالا فيتا ؟ .
- اما كولاتا : لا أعرف . . دونا أرميدا لم تقل شيئا .
- انطونيو : (بعد برهة من التأمل) لا . لا . ليس موناتشيللو . إنه عاقل ويجب أرميدا ، أما مالا فيتا فإنه وحش لا يهاب أحدا .
- فابيو : إنها كلاب خطيرة .
- (اما كولاتا تخرج لتعود فيما بعد)
- انطونيو : (ليسمح لفابيو باستئناف موضوع بالوميللو) وأجريت العملية ؟

فابيو : أجل .

انطونيو : وماذا عن الحادث؟

فابيو : إنها هناك في الخارج (يشير إلى الفرندة) حشرتان . . أوه نايت وبالميللو . . أطلق كل منها الرصاص على الآخر والسبب غير معروف . . في رأيي أن الحادث لا يعنك . .

انطونيو : ولماذا هما في الخارج؟

فابيو : يريدان مقابلتك . . وواضح أنها يسعيان لتسوية المسألة .

اماكولاتا تعود ممسكة أمامها بمشجب يتحرك على عجلات عليه بدلة دون انطونيو ولوازمها . . الكرافت والمنديل والقميص والحذاء ، وعليه علبة مستطيلة تحتوي على الأشياء الثمينة . . السلسلة الذهبية والساعة والزراير الذهب والخواتم .

انطونيو : (يخلع الروب والبيجاما بمساعدة اماكولاتا) وأنت هل عقدت العزم يادكتور؟

فابيو : أنت تعرف طبعي يادون انطونيو . . إنني رجل صريح من أخص قدمي إلى شعر رأسي .

انطونيو

: سألتك إن كنت قد عقدت العزم .

فابيو

: دعنا لانضحك على أنفسنا يادون انطونيو . إن رحيلي

يؤلمك . فبعد خمسة وثلاثين عاما من التعاون بل واسمح لي من الصداقة . . مفهوم أن قراري يضعك في موقف لأنه يعرقل تحقيق الهدف الذي حددته لنفسك والذي عملنا في سبيله معا حتى الآن . قد أكون مغرورا ولكن يجب أن تعترف بأن سفري سيجعلك تفقد ذراعك الأيمن في تحقيق الفكرة التي أنفقت ثلاثة أرباع عمرك من أجلها . . أليس كذلك؟

انطونيو

: (بعد أن ارتدى البنطلون والجورب والحذاء بمساعدة

اماكولاتا يلحظ أنها تتناول الزراير الذهب لتضعها في سوارى القميص فيبتدرها منها) قلت لك يا اماكولاتا إن هذا ليس من اختصاصك ، يداك متسختان ومبللتان بالعرق من شغل المطبخ .

اماكولاتا

: (تفتح يديها وتربهما له) أهاتان متسختان؟

انطونيو

: (في حزم) نادي جيرالدينا .

اماكولاتا

: (مستسلمة) حاضر . سأناديها . (تخرج مهرولة) .

انطونيو

: (يستأنف الحديث السابق) نعم هذا صحيح . . . ومن

ثم؟

فابيو : (يوجز في عبارة واحدة كل ماهو مقتنع به في قرارة نفسه)
إنني تعبت من اللف في دائرة مفرغة .

انطونيو : ومتى ترحل؟

فابيو : بعد غد .

انطونيو : بالطائرة؟

فابيو : نعم وقد قطعت التذكرة .

انطونيو : (في غموض) بعد غد الجمعة . فهل من المناسب أن
تسافر يوم الجمعة؟ المثل يقول «الجمعة والثلاثاء لا سفر
ولا زواج» على أية حال إذا كنت مصرا فأني طائرة ترحل
عليها لن تصل نيويورك قبل يوم السبت .

فابيو : (في ارتياب) وما معنى هذا؟

انطونيو : (كالسابق) يعني أنه من واجبي أن اتصل ببعض
الأصدقاء لينتظروك في المطار ويستقبلوك الاستقبال
اللائق .

فابيو : (يدرك الخطر فيعتريه الشحوب . بعد لحظة من التفكير
يتمتم) دون انطونيو . هذا تهديد .

انطونيو : بل هو تحذير (في صدق واقتناع بشرعية عدالته الخاصة
التي واجه بها دائما قضايا الناس في الحياة وقام بحلها

طبقا لقواعدها) يادكتور. . أنا أحب أن أضع رأسي على
الوسادة في الليل وأنام ملء جفني ، ولكي أفعل هذا
لابد أن يكون ضميري مستريحا ، لذلك إذا اتخذت قرارا
نهائيا في شأن أحد - وفي هذه الحالة في شأنك أنت - فأولا
يجب أن اقتنع بأنه ليس أمامي حل سواه وثانيا يجب أن
أحذر صاحب الشأن . سوف أشرح لك هذا . . .

جيرالدينا تدخل ووراءها اماكولاتا .

جيرالدينا : أبي . . صباح الخير ياأبي (تجري نحوه وتعانقه في حب
غامر).

انطونيو : (في حنان) جيرالدينا يا حبيبتني ، القميص مكوي . .

جيرالدينا : إذن خذ هذه القبلات (تطبع على خده عدة قبلات) هل
نمت جيدا؟

انطونيو : لا بأس .

جيرالدينا : (تريه يديها) انظركم هي نظيفة . سأضع لك الزراير
(تشرع في وضع الزراير في سوارى القميص) .

انطونيو : وأين جنارو؟

اماكولاتا : يقوم باختيار الكرافة . . طلب معرفة لون البدلة التي
سترتديها وقال إن الكرافة التي اخترتها أنا (تريها له)
ليست لائقة .

انطونيو : (في رضاء) جنارينو ذوقه رفيع . . بعد قليل سيجيء
بأربع أو خمس كرافتات ويقول اختر واحدة منها . . ثم
يلف ويدور ويفعل ما صنع الحداد لأضع الكرافة التي
تروق له .

جنارينو يدخل حاملا ست كرافتات مختلفة الألوان تليق
كلها على البدلة التي يرتديها انطونيو.

جنارينو : صباح الخير يا أبي .

انطونيو : صباح الخير . . تعال عانقني . .

يتعانقان

جنارينو : (يريه الكرافتات الستة ويقول) انظر أيها تعجبك . . .

اماكولاتا : (تلوّح بالكرافة التي اختارتها) وما العيب في هذه؟

جنارينو : الكرافة شيء شخصي ولا بد أن يختارها الإنسان بنفسه
حسب ذوقه . وأبي لا يحتاج أبدا لرأي أحد (يتجه إلى
أبيه) اختر واحدة منها .

انطونيو : أيها تعجبك؟

جنارينو : إذا أردت الحقيقة هذه تعجبني جدا . (يشير إلى أكثرها
لفتا للأنظار) .

انطونيو : يا جنارينو، أنا عمري خمسة وسبعون عاما، أتريد أن تضع هذا في رأسك أم لا؟ سيصبح شكلي مضحكا بهذه الكرافة . . .

جنارينو : أنت متمسك بحكاية الخمسة وسبعين عاما هذه . .
فأين تراها؟

انطونيو : أنا لا أراها ولكنني أشعر بها .

جيرالدينا : أنت مازلت في عز الشباب (تعانقه بحرارة وتقبله كالسابق)

جنارينو : في رأيي أن هذه لائقة جدا ولا أحد يستطيع أن يتفوه بكلمة .

انطونيو : حسن . . حسن . . سألبس هذه الكرافة المهم أن تسكت (يتناول ربطة العنق من ابنه ويضعها في ياقة القميص ويبدأ في ربطها) ومتى ستخرج؟

جنارينو : إذا عجلت يمكننا الذهاب معا .

انطونيو : لا . . أنا لم أخرج الآن . . لدي بعض الأعمال في البيت .

جنارينو : وأنا لدي أعمال في نابولي . لقد أعددت فرش ثلاث شقق لثلاثة عرسان ، ووقعت العقود وأخذت المقدم والأسعار ثابتة . أتريد أن تعرف مقدار الربح .

- انطونيو : هذا شيء يخصك .
- جنارينو : ولكنه سيسعدك .
- انطونيو : سعادتي أن تشعر أنت بالسعادة .
- جنارينو : وسعادتي أن أراك راضيا وفي خير وصحة وعافية .
- انطونيو : (إلى اماكولاتا) هل أكل الكلب؟
- اماكولاتا : ليس بعد .
- جيرالدينا : أعملت بحكاية أمي؟
- اماكولاتا : نعم علم بها .
- جنارينو : أبي . . أتأذن لي بقتل هذا الكلب؟
- جيرالدينا : ياللحيوان المسكين .
- اماكولاتا : تقولين عنه ياللحيوان المسكين . . كادت السيدة أن تموت من الخوف .
- جنارينو : ولكني قلت لكم أن أحدا لا يستطيع أن يمنعني من إطلاق النار في قلب جبينه .
- اماكولاتا : استغفر الله . صحيح أن بعضنا تعلق به ولكنه وحش ومن الأفضل للجميع أن يموت . . دون انطونيو أنا لم أقدم لهما الطعام لأعرف إن كنت تريد أن أعد وجبتين أم وجبة واحدة .

انطونيو : (يتوجه بالكلام إلى ابنه) الكلاب كلابى . اهتم أنت بها
يخصك (إلى اماكولاتا) وأنت جهزي الأكل للكلبين كما
تفعلين دائما .

اماكولاتا : حاضر .
دون انطونيو يفرع من ارتداء ملابسه . جيرالدينا تناوله
الساعة الذهبية والخواتم .

جيرالدينا : (في إعجاب) يالوسامتك يا أبي (تعانقه وتقبله مرة
أخرى) الناس سيقولون متى يتزوج؟ ولكن أين يجدون
رجلا مثل أبي؟ (تتناول الخف وتطوي الروب وتحملها
إلى غرفة انطونيو . اماكولاتا تفض المائدة وجنارينو يحمل
الكرافات الخمس إلى حجرته) .

فايو : (في استحياء) دون انطونيو . . كنت تشرح لي . .

انطونيو : بخصوص السفر؟

فايو : نعم بخصوص السفر . .

انطونيو : أنت حر يادكتور في أن تعيش ما كتب الله لك من أيام ،
أو أن تنهي حياتك في لحظة بيدك (الشحوب يعتلي وجهه
فايو) فهل ترى أن هذا تهديد؟ لقد بقيت إلى جانبي
سنوات طوال وأنت تعرف طبعي فكيف تتصور مثل

هذا؟ إن الرجل التافه هو الذي يهدد، وهو حين يفعل هذا - دائما - يفعله ليخيف الناس ويصل لغرضه، فإذا لم يصل إليه فإنه يتخلى عن تهديده ويعود كل شيء كما كان. لا. لا. ليس كما كان لأن المقصود بالتهديد أن يخرج من الموضوع مرفوع الرأس لعدم استسلامه والذي يهدد سيقدم الدليل على تفاهته. وأنا قد اتخذت قراري يادكتور، والآن عليك أنت أن تتخذ قرارك. وكما ترى ليس هذا تهديداً. إنه فقط تحذير.

فابيو : ألم يراودك شك في هذا القرار بعد كل ما حدث في الخمسة والثلاثين عاما الماضية؟

انطونيو : (بعد برهة من التفكير) نعم راودني، ولكن فسر لي أنت معنى عبارتك «إنني متعب من اللف في دائرة مفرغة».

فابيو : (يحدق في عينيه بنظرة مصطبغة بالخجل والحرص يحسم أمره في النهاية ويفرغ ما في صدره ليسترى) دون انطونيو، لقد فهمت أخيراً. فهمت من أكون أنا ومن تكون أنت. أنا رجل أحق متهور وأنت رجل مخبول ذهب عقله.

انطونيو : من أكون؟

فابيو : (ينفعل لهدوئه ويصبح عدوانياً) أنت مجنون واهم. هذا هو من تكون. أما أنا، فأني رجل تعس شاء حظه

العائر أن يلتقي بك في الثانية والثلاثين من عمره فأمن بأفكارك وتبعك وعاونك . والآن وقد أصبح سنه أربعة وستين عاما وجد نفسه عجوزا خائب الرجاء فاقد الأمل . إن ثلاثين عاما عمر إنسان بأكمله ، ولقد أمضيها نحن في حماية شراذم من المجرمين الذين يجلبون العار على بلدنا . . . وجازفنا بدخول السجن ليس مرة واحدة بل مئات المرات لنساعد فئة من أناس سفلة منحطين هم سبب البلاء في كل مجتمع .

انطونيو : تقصد الضحايا الحقيقيين .

فابيو : ضحايا؟

انطونيو : مؤكدا . . . لأنهم جهلة والمجتمع يستغل جهلهم . يادكتور . . إن الجرائم والجنح التي يرتكبها الجهلة تتحرك بها وتعيش عليها عجلة الشراة في المجتمع . الجهل سهم رابح . . ضع إلى جانبك جاهلا وعش هنيئا بقية حياتك . ولكن الجاهل قد فهم . . فهم «إن من له قدس يحميه ، يدخل الجنة» فيقول في نفسه إذا ذهبت إلى المحكمة لأسوي هذه القضية فمهما كان الحق معي فإن الخصم إما أن يلجأ إلى «القديسين» الذين يحمونه وإما أن يأتي بثلاثة أو أربعة شهود زور وأنت تعلم أنهم شهود مأجورون يعملون لحساب من يدفع وتجدهم على باب المحكمة نفسها .

«لا تشهد زورا» هذا ما قاله المسيح ومادام قد قاله فمعناه

أن شهادة الزور كانت موجودة على أيامه . وأنا أقول لك
إنها مازالت موجودة يادكتور . (يقلد صوت القاضي
المهيّب) « قل : اقسم بالله أن أقول الحق ، كل الحق ،
ولا شيء غير الحق » . ويقسم الأوغاد الأربعة فيقول
الواحد منهم : إذن هناك ملعوب شهادة الزور . وفي
نفس الوقت لا يجد الأدلة وإن وجدها تختفي لأن النقود
لها أرجل تقف عليها وعجلات تمشي بها . ولا يخسر
الجاهل القضية فقط وإنما يقع في عدة إشكالات بتهمة
القذف والتشهير ، ولذا فإنه بدلا من أن يعرض نفسه
لمخاطر اللجوء إلى المحكمة ، يذهب من فوره وبنفسه إلى
الخصم ويأخذ حقه بيده . وصحيح أنه يدخل السجن
ولكن الخصم أيضا يدخل القبر . وأنا يادكتور . أأست
أنا قاتلا؟ من قتل جاكينو خفير عزبة مارفيتزي . .
أأست أنا؟ وهل تعرف السبب؟

فابيو

: كلا ، فأنا لم أسألك عنه .

انطونيو

: إذا قلت لك إن الحق كان في جانبي فيجب أن
تصدقني ، بل كان الحق في جانبي ألف مرة وكان لابد
من قتل ذلك النذل . . ثم اختلقت الأدلة وقدمت ثمانية
شهود زور وأثبت أنني كنت في حالة دفاع شرعي عن
النفس فأطلقوا سراحي . وها أنذا اليوم كما ترى لست
مراقبا بل وأحمل أيضا رخصة سلاح .

فابيو

: وما معني هذا؟

انطونيو : معناه أن من له قديسون يحمونه يدخل الجنة ومن ليس له . .

فابيو : يدخل النار.

انطونيو : كلا، يجيء إليّ هنا.

فابيو : وعلى حين نعمل نحن على المصالحة بينهم بالعدل، يقومون هم بقتل بعضهم بعضا كالأرانب.

انطونيو : ومع هذا كم من جرائم وكم من حوادث منعنا وقوعها في الثلاثين عاما الماضية؟

فابيو : ولكنهم كثيرون . . خضم من الناس . . فكيف تزعم أن في استطاعتك حل مشكلة خطيرة لها مثل هذه الأبعاد . ثم إني تعبت من مداواة الرؤوس وخياطة البطون واستخراج الرصاص من الأرجل والأيدي والأكتاف (يبدأ في فقد السيطرة على نفسه وتستولي على ذراعه الأيمن حركة عصبية لا تلبث أن تنتشر في كل أطراف جسده، يتغير صوته شيئا فشيئا حتى يصبح حادا متشنجا كصوت من يتعرض لنوبة صرع حقيقية). لقد دفعت غاليا ثمن ذلك اليوم اللعين الذي عرفت فيه . هذه ثالث مرة يدفع لي أخي ثمن تذكرة السفر إلى أمريكا وثالث مرة أيضا تضيق علي الفرصة في البقاء إلى جواره وفي أن أجد راحتي وأعيش حياة كريمة بعد طول عذاب . اقتلني هنا بدلا من أن تقتلني في أمريكا (يفرد ذراعيه ويعرض صدره لدون

انطونيو) هيا اقتلني لنخلص من هذا إلى الأبد (يصرخ
بكل قواه) كنت طبيبا شريفا وكان أبي، أورستي
ديلا راجوني، أستاذا جامعا عمل بشرف أربعين
عاما في جامعة نابولي (يدق الأرض بقدميه ويبكي
كالأطفال) لقد لوثت اسم عائلتي، إنني جبان . .
حقير. . (يترنح ويقع جالسا بمعجزة فوق المقعد)
وضيع .

جيرالدينا : (تدخل جريا في قلق) ماذا حدث يا أبي؟

اماكولاتا تدخل وتقف لتستمع .

جنارينو : (يلحق بها) ماذا جرى يا جيرالدينا .

فابيو : (تتأبه نوبة من البرد العصبي فتصطك أسنانه ويحاول

نطق الكلمات بصعوبة) يجب أن أرقد على السرير . .

(يلمس راسه) بعد خمس . . س دقا . . ثق

ستد . . تابني . . الحمد . . ي .

اماكولاتا : (في همة) دكتور . .

جنارينو : هل أحضر لك كأس كونياك؟

فابيو : أعد . . والس . . رير وجه . . زوا قر . . بة الماء

الساخ . . ن (اماكولاتا تخرج بسرعة) خذ . . وني إلى

حجرتي . .

جيرالدينا وجنارينو يتقدمان ويساعدانه

انطونيو : (الذي ظل جامدا يقول ملمحا ومصرعا على رأيه) إذا

كانت الحمى ستتأبك بسبب السفر فعليك أن تؤجله
حتى تسترد صحتك . أليس كذلك؟

فابيو : نعم . . هو كذلك . . (يتجه نحو غرفته بمساعدة
الاثنين) .

انطونيو : وحين تزول الحمى ماذا ستفعل؟ هل ستسافر؟

فابيو : (بعد برهة من الصمت) لا أعرف كل ما يهمني الآن أن
تزول الحمى ، (يخرج مستندا على الفتى والفتاة) .

كاتيللو يدفع الباب الزجاجي في رفق ويغلقه وراءه .
يرى انطونيو فيقترب منه ويخلع قبعته محيا .

كاتيللو : صباح الخير يادون انطونيو . إن كان لا يضايقك . .

انطونيو : (يتمتم) من هناك؟

كاتيللو : حضر بسكالي أوه نازوني وفتشيزو أوه كوتزو . . وهناك
رافيلوتشو سانتا نيللو ومعه فتاة . .

انطونيو : رافيلوتشو سانتانيللو؟

كاتيللو : ابن صاحب الفرن .

انطونيو : آه . . ومن أيضا؟

- كاتيللو : أوه نايت وأوه بالوميللو يريدان مقابلتك .
- انطونيو : (إلى جيرالدينا التي عادت) جيرالدينا .
- جيرالدينا : نعم يا أبي؟
- انطونيو : هاتي الأوراق وابحثي عن دوسيه كوتزو - نازوني .
- جيرالدينا : (تتناول مجموعة من الدوسيهات الضخمة ، وتجلس إلى المائدة ، وتبدأ في البحث عن الدوسيه ، تجري بعينها على الأسماء) نازوني ، نازوني ، نازوني ، كوتزو ، كوتزو ، كوتزو ، كوتزو ، أين راح؟
- انطونيو : (إلى كاتيللو) احضر الناس . .
- كاتيللو : كلهم؟
- انطونيو : نعم يا صاحب السعادة ! .
- كاتيللو : في الحال (يخرج من الفرندة) .
- جيرالدينا : (تجد الدوسيه) هاهو . .
- انطونيو : ما الموضوع؟
- جيرالدينا : كمبيالة قيمتها ٠٠٠ , ٣٠٠ ليرة أخذها بسكالي أوه نازوني من فتشزو أوه كوتزو وتحمل توقيعه .

انطونيو : آه . . وعليها أرباح ١٠٪ في الأسبوع تصبح ٤٠٪ في الشهر.

جيرالدينا : بالضبط .

انطونيو : وما موضوع سانتانيللو؟

جيرالدينا : لاشيء في الدوسيه . هذه أول مرة تقابله .

انطونيو : وما هو موضوع أوه نايت وأوه بالوميللو؟

جيرالدينا : إنها الاثنان الذان تبادلا إطلاق النار اليوم .

انطونيو : فهمت . . صاحب العملية الجراحية . عال . . عال . .

يضر بان بعضهما بالنار ثم يحضران إليّ؟

كاتيللو يفتح ضلفتي الباب الزجاجي على مصراعيها
ويقوم بإدخال الأشخاص الذين ذكرهم في المشهد
السابق .

كاتيللو : تفضلوا . .

يدخلون الواحد تلو الآخر . . فتشنزو أوه كوتزو وبسكالي
أوه نازوني وأوه نايت وأوه بالوميللو . في آخر الصف
يدخل رافيلوتشو سانتانيللو وريتا موروزو . الفتاة حامل
في الشهور الأخيرة ، ترتدي ملابس متواضعة تزيد من
حالة الرثاء التي تبعثها في النفس ، يعتلي وجهها شحوب

الموتى ، وتظهر عليها بوضوح آثار الحياة الشاقة المحفوفة بالحرمان وسوء التغذية . من حسن حظها أن عينيها واسعتان وسوداوان ويسمحان لها بالابتسام رغم كل ما تعانيه ، فتبتسم دائما لتجنب الآخرين الإحساس بالضيق والشعور بالمسئولية عن حالتها التعسة ، خطواتها متعثرة ولكن رافيلوتشو الفتى الوسيم والفقر مثلها يسندها في محبة .

فتشنزو : (نجار يرتدي ملابس لائقة . متعكر المزاج وتظهر بوضوح على وجهه المرارة التي تعتمل في نفسه . عند دخوله يخلع قبعته ويتجه إلى دون انطونيو في احترام) دون انطونيو . . وافر احترامي .

بسكالي : (رجل منعدم الخلق . يجمع مظهره بين المقامر والقواد . يرتدي ملابس أنيقة وقطعا ثمينة من الذهب . حين يتكلم يستمع إلى نفسه ، وإذا وجدت امرأة فهي دائما له وحده . يخلع قبعته في جبن ولزوجة أمام دون انطونيو) دون انطونيو . . خادمكم المطيع .

رافيلوتشو : صباح الخير يادون انطونيو .

انطونيو : (الذي رد على تحياتهم جميعا بإيماءة خفيفة من رأسه) أنت ابن سانتانيللو؟

- رافيلوتشو : خادمتك (يشير إلى ريتا) وهذه خطيبتى .
- انطونيو : (بعد وقفة قصيرة يلقي خلالها نظرة على بطن الفتاة ويهمهم بكلمة غير مفهومة) احم . . لو تنتظران بعض الوقت تتزوجان وتعمدان في يوم واحد .
- رافيلوتشو : (في اقتناع واضح) فعلا .
- انطونيو : تقول إنك تريد الكلام معي . .
- رافيلوتشو : الحقيقة أن حكايتي معقدة . .
- انطونيو : فهمت . . الموضوع طويل . حسن ، اذهب أنت وخطيبتك إلى الخارج فتمشيا وتنسما الهواء ، وحين أنتهي من هذين الموضوعين البسيطين سأدعوك للحضور .
- رافيلوتشو : كما تحب يادون انطونيو . (إلى ريتا) هيا بنا (يخرجان معا) .
- انطونيو : أنت أوه نايت وأنت أوه بالوميللو؟
- أوه نايت : خادمتك .
- أوه بالوميللو : خادمتك .
- انطونيو : اجلسا هناك .
- أوه نايت : بإذنك (ينتحي جانبا ويجلس هو وبالوميللو) .

- انطونيو : (متوجها إلى أوه نازوني) ما أخبار نابولي؟
- بسكالي : كما هي . . أختي أنجبت طفلا آخر فأصبحوا نصف
دسته بالتهام والكمال . . ولدان وأربع بنات .
- انطونيو : الأبناء يجلبون الرزق .
- بسكالي : نحمد الله على كل ما يعطينا ، فنحن لا ينقصنا شيء .
- انطونيو : (مشيرا إلى فتشيزو) ألا تريد أن نسوي هذه المسألة؟
- بسكالي : أية مسألة؟
- انطونيو : فتشيزو أيضا لديه أولاد .
- فتشيزو : ستة .
- بسكالي : حسن . . هذا يعني أن بيته لا ينقصه الرزق هو الآخر .
- انطونيو : اسمع يابسكالي . . أنا لا أحب الكلام الكثير وعلاوة
على هذا فإن اليوم قصير . الموضوع أنني ذهبت إلى
نابولي أول أمس لشراء بعض اللوازم ، فقابلته في الطريق
(مشيرا إلى فتشيزو) و«أهلا يافتشيزو» و«مرحبا بك يادون
انطونيو» فأنا كنت أعرف أباه . . رجل شهم وصديق
عزيز وقلت له : ماذا بك يا بني؟ أنت شاحب الوجه . .
ولكي لا نطيل في الكلام قال لي فتشيزو هذا - المائل

أمامك أن الخراب قد حل بيته بسبب كمبالة
بـ ٣٠٠,٠٠٠ ليرة يدفع لها أرباحاً ٣٠,٠٠٠ ليرة في
الأسبوع منذ سبعة شهور. ولكي يتخلص منها يريد أن
يقتل بسكالي أوه نازوني .

بسكالي : يقتلني أنا؟

فتشنزو : (مندفعا في صدق ويأس) لقد حطمني يادون انطونيو .
حطم أبنائي . . صدقني أنا لا أكسب ١٢٠,٠٠٠ ليرة
في الشهر. وطوال سبعة شهور لم أتوان عن الدفع ومع
ذلك فما زال الدين كما هو: ٣٠٠,٠٠٠ ليرة. إن أبنائي
يموتون من الجوع وهذا الجبان لا يعرف الرحمة. والويل
لنا في آخر كل شهر. . إن زوجتي باعت مراتب السرير،
وبدلتني الجديدة. . بدلتني التي كنت ألبسها يوم الأحد
حتى هذه باعتها.

بسكالي : إن أمرك عجيب حقا. عندما احتجت إلى النقود ألم
تعرف طريقك للحصول عليها؟ لو كنت أعدتها بعد
أسبوع لكسبت الصفقة كلها لأن ٣٠٠,٠٠٠ ليرة كانت
ستكلفك ٣٠,٠٠٠ ليرة فقط. يادون انطونيو إن هؤلاء
الناس لا يعرفون كيف يدبرون أمورهم.

فتشنزو : النقود أخذتها لأدفع أجر عملية ابنتي؟

بسكالي : أنت معذور ولكن أنا أيضا رب أسرة إذا لم أحصل على مستحقاتي فسيقف حالي .

فتشنزو : أنت تعيش كالمملوك . لديك سيارة وتؤجر الغرف بالساعة وزوجتك تستقبل الزبائن في حضورك .

بسكالي : اعطني النقود أولا ثم ضع رأسك برأسي وتكلم . .

انطونيو : ألا نريد أن ننهي هذا الموضوع؟

بسكالي : كيف ننهيه وهو يقول إنه سيقتلني . . . لعله يريد أن يقضي ثلاثين عاما في السجن!

انطونيو : صحيح أنه قال هذا أول أمس ولكنه غير رأيه وجاء ليعرض علي فكرة جديدة .

فتشنزو : (متعجبا) أنا جئت إليك أمس؟

انطونيو : (في هدوء) اسكت أنت . جاء أمس وأحضر لي الـ ٣٠٠,٠٠٠ ليرة .

فتشنزو : (متعجبا أكثر) أنا؟

انطونيو : قلنا إن فتشنزو أحضر لي الـ ٣٠٠,٠٠٠ ليرة .

بسكالي : عفوا يادون انطونيو ولكن مع كل احترامي وتقديري لك لماذا لم يحضرها لي أنا؟

انطونيو : لأنه لا يريد أن يدفع أرباح الشهر الأخير، فرجائي أن أتوسط لديك . وطبيعي ومن باب الإنسانية أنه إذا اعتبرنا أن الـ ٣٠٠,٠٠٠ ليرة قد عادت عليك بـ ٨٤٠,٠٠٠ ليرة في سبعة شهور ففي رأيي أن تغمض عينا عن أرباح هذا الشهر.

بسكالي : (يظهر عليه الرضاء لاسترداد المبلغ) وهل يمكن رد رجاء لدون انطونيو. . إن طلباتكم أوامر.

انطونيو : هل أحضرت الكمبيالة معك؟

بسكالي : نعم . . هاهي (يخرجها من الحافظة ويقدمها له) .

انطونيو : (يتناولها في رفق) حسن لنقل «هنا الغسيل وهنا الصابون» .

بسكالي : بالضبط .

انطونيو : لعلك لا تمنع أن يكون المبلغ كله أوراقا فئة ١٠,٠٠٠ ليرة .

بسكالي : ليس مهما، فلدي جيب سحري في بطانة جيب الجاكتة .

انطونيو : إذن كل شيء على مايرام . افتحي الدرج ياقرة عيني . .

جيرالدينا : أي درج يا أبي؟ (تنظر إلى المائدة فتجدها خالية من أي درج).

انطونيو : هذا الدرج يابنيتي (يتظاهر بفتح درج وهمي في وسط المائدة) هاهي النقود . . ثلاث رزم . . كل منها مئة ألف ليرة . (يتظاهر بأخذ ثلاث رزم) واحد، اثنان، ثلاثة . (يتظاهر بوضعها على المائدة) دون بسكالي . . لقد قمت أنا بعدّ النقود فهل تتكرم بعدها أنت الآن؟

بسكالي : (لم يفهم الحيلة بعد . ينظر إلى انطونيو تائها وهو لا يعرف إن كان قد حدث شيء لعقله أم أن الجنون عصف بعقل دون انطونيو) ماذا أعدّ يادون انطونيو؟

انطونيو : الثلاثمائة ألف ليرة .

بسكالي : (كالسابق) ولكنك يادون انطونيو . .

انطونيو : عدّ (يحدق طويلا في عيني بسكالي بنظرته الفولاذية) .

بسكالي : (مرتعا وأشبه بالمفتون بتلك النظرة الرهيبة فيدرك أن طريق النجاة الوحيد أمامه هو عدّ المبلغ الوهمي . يتظاهر مقهورا بعد ثلاثين ورقة فئة عشرة آلاف ليرة أمام عيني انطونيو اليقظتين وتحت بصر الآخرين المغتبطين) واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة .

- انطونيو : هذه مئة ألف . عدّ
- بسكالي : واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة.
- انطونيو : مائتان . عدّ.
- بسكالي : واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة.
- انطونيو : ثلاثمائة . هل وصلك حقك؟
- بسكالي : نعم ياسيدي .
- انطونيو : والآن ليشد كل منكما على يد الآخر ليتم الصلح .
- فتشنزو : أنا على أتم استعداد . (يمد يده لبسكالي) .
- بسكالي : كما ترى يادون انطونيو
- (يمد يده لفتشنزو)
- انطونيو : عظيم .
- بسكالي : حان وقت انصرافي (يتحرك ليخرج) .
- انطونيو : والثلاثمائة ألف ليرة . . أتركها هنا؟ خذ النقود .

بسكالي : (ليقول كفى هذا) دون انطونيو .

انطونيو : خذ النقود . (بسكالي يتقدم نحو المائدة ويتظاهر بتناول ثلاث رزم من النقود ثم يخرج في بطاء . انطونيو يأخذ الكمبيالة من فوق المائدة ويرفعها بيده قائلاً لفتشنزو) أهذه هي الكمبيالة؟ .

فتشنزو : نعم ياسيدي .

انطونيو : إذن لنمزقها . (يقوم بتمزيقها) .

فتشنزو : (طائراً من الفرح وعاجزاً عن التعبير في سهولة) دون انطونيو، أطال الله عمرك مائة عام . . دون انطونيو، لقد أنقذت بيتي ورحمت أبنائي . . (يركع أمامه ويتناول يده بين يديه ويقبلها في تلاحق) هذه يد قديس (تغلبه مشاعره فينحني بوجهه على قدمه ويتعلق بها ويقبلها) .

انطونيو : كفى ، كفى ، من تعتقد أن أكون . . القديس بطرس؟

(جيرالدينا وكاتيللو يرفعان فتشنزو بكل قواهما من فوق الأرض)

فتشنزو : (متأثراً وعيناه مغرورتان بالدموع) دون انطونيو راعينا، راعي نابولي كلها، نحن نحبك ياتوني(*) نحن نحبك .

* اسم التصغير لانطونيو واستخدامه هنا للدلالة على المحبة والإعزاز.

كاتيللو : (يصحب فتشزوا إلى الباب) دون انطونيو يقدر مشاعرك
والآن هيا اذهب إلى بيتك .

جيرالدينا : (تواصل عمل كاتيللو) أبي . . هل لديك وقت؟ هناك
أناس آخرون ينتظرون . .

فتشزرو : (يردد مرة أخرى قبل أن ينصرف) نحن نحبك ياتوني
(يخرج ويصل صوته إلى الداخل صائحا مرتين أو ثلاثة
في انفعال) دون انطونيو راعينا . . راعي الجميع . . راعي
نابولي كلها .

انطونيو : لنعد إلى العمل . (إلى جيرالدينا) من هناك .

جيرالدينا : (تنظر في الدوسيه) سانتانيللو .

أوه نايت : ونحن أيضا .

انطونيو : من أنت؟

أوه نايت : أوه نايت .

انطونيو : (يرى بالوميللو الذي يتقدم ويعرج) أنت الذي أصابتك
الرصاصة في ساقك؟

بالوميللو : نعم ياسيدي . خادمك بالوميللو .

أوه نايت : أنا عملي الوقوف على رصيف الميناء . . وعندما يحضر

الأمريكان أذهب إليهم وأبحث عن الزبون المناسب فإن
وجدته أخذته إلى الملهى الليلي . . كولورادو في شارع
مارينا . . والآن لم تعد الصحة تساعدني بسبب السهر
والرطوبة . . وفي الفترة الأخيرة رقدت خمسة وعشرين يوماً
من جراء نزلة شعبية ونزلة رئوية (يشير إلى بالوميللو)
فاستغل هذا النذل الفرصة وذهب إلى إدارة الملهى
وعرض عليهم أن يحل محلي . وأنت تعرف يادون انطونيو
أن لقمة العيش هي لقمة العيش .

بالوميللو : أنا لم أذهب لأحد . . هم الذين طلبوا مني أن أعمل
محله .

انطونيو : (إلى بالوميللو) من أي حي أنت؟

بالوميللو : من حي منتى كالفاريو.

انطونيو : وأنت؟

أوه نايت : من سانيتا .

انطونيو : هل المسدس في جيبك؟

أوه نايت : نعم ياسيدي دون انطونيو.

انطونيو : ضعه على المائدة (أوه نايت يخرج المسدس ويضعه على
المائدة) هناك خطأ . خطأ ارتكبه بالوميللو في حق أوه

نايت (متجها إلى بالوميللو)، الكولورادو منطقته (يشير إلى أوه نايت) إياك أن تقترب منها بعد الآن . إنها لقمة عيشه . مفهوم؟

بالوميللو : مفهوم ياسيدي .

انطونيو : هل أضعك تحت المراقبة؟

بالوميللو : لا . لا لزوم .

انطونيو : والخطأ الثاني ارتكبه أوه نايت في حقي أنا .

أوه نايت : (قلقا) دون انطونيو .

انطونيو : أوه بالوميللو أخطأ ولكن خطأه لا يستحق العقاب بضرب النار . أنت من حي سانيتا . فلماذا لم تأت إليّ قبل أن تطلق عليه النار؟ ولماذا لم تحمله إلى الإسعاف بعد أن أصبته هل كنت خائفا من التقرير الطبي؟ .

أوه نايت : كلا يادون انطونيو، ولكنه كان ينوي . .

انطونيو : أن يضربك بالنار؟ ولا ننتهي أبدا؟ ألا تريدون أن تفهموا أن الحياة لها احترامها؟ أنا أضربك وأنت تضربني . . ثم يجيء دور الإخوة والأقارب والآباء والأعمام . . مذبحه . . حرب . إياك أن تفعل هذا مرة أخرى وإلا ألقيت بك في السجن . . أنت من الحي ولن أجعل نقطة ماء تدخل

لك في السجن . . مجرد منديل نظيف لن تراه . . .
سأجعل الحشرات تسري في بدنك . كفى موضوعكما
انتهى . شدا على يدي بعضكما (كلاهما ينظر إلى الآخر
ثم يشد على يد رفيقه في صفاء صادق) والآن اسمع
ياهما . . (يخلع من يده اليمنى خاتما به حجر كريم كبير
الحجم ويضعه في قبضة يده اليسرى) .

أوه نايت : أتكلمني أنا؟

انطونيو : (يسدد له صفعة قوية تحبس أنفاسه ويحذره في نفس
الوقت قائلا) إذا أردت أن تستخدم مسدسك مرة أخرى
فانس اسم انطونيو بركانو. ولكنك إذا تذكرته فقبل أن
تطلق عيارا واحدا يجب أن تطلب مني الإذن (يأخذ
المسدس من على المائدة ويناوله له) خذ مسدسك
وانصرف .

أوه نايت يتناول المسدس من يد دون انطونيو في ذهول

بالوميللو : (بعد وقفة يتجاسر ويسر في أذن أوه نايت) ألم يحن الوقت
لكي ننصرف؟ (دون أن ينتظر ردا يدفعه أمامه فيترك له
الأخير قياده كأنه في حلم) . (دون انطونيو لم يلتفت إلى
المشهد ويبدو كأنه لا يشعر بوجودهما. يضع الخاتم
بهدوء في إصبعه) .

أوه نايت : (يصل إلى الفرندة فيقف ويلوح عليه ، ثم يدور نصف دوره ويتجه نحو انطونيو ويحدق فيه بعينه . أوه بالوميللو يقف متأها ويرقب كل حركة من حركاته . أوه نايت يرفع يده اليمنى بحركة غامضة ليصوب مسدسه نحو الرجل الذي صفعه ثم لا يلبث أن يديره نحو نفسه فيتأمله ويشرد ذهنه لحظة في الموقف ولعله يفهم الدرس في هذه اللحظة ، فيدس المسدس في جيبه ويقول للجميع بابتسامة خفيفة على طرف فمه) طاب يومكم جميعا . (يخرج ووراءه بالوميللو) .

انطونيو : نادوا على سانتانيللو .

يدخل رافيلو تشو ومعه ريتا .

رافيلوتشو : اجلس واسمعي هذه الحكاية المعقدة .

رافيلوتشو : شكرا . (يقدم مقعدا لريتا ويجلس إلى جوارها) .

انطونيو : نعم؟

رافيلوتشو : أنت لا تذكرني يادون انطونيو .

جيرالدينا : أنا أذكرك . أبوك يملك مخبزا في شارع جاتشتو البينو .

رافيلوتشو : أصبح يملك مخبزين .

جيرالدينا : آه توسع في أعماله .

رافيلوتشو : مخبز شارع جاتشتو البينو ظل كما هو . ولكنه فتح مخبزا منذ عامين في شارع روما . مخبز حديث له مدخلان ويدر عليه ذهباً . فربائنه خيرة أهل نابولي .

جيرالدينا : كانت مدرستي في شارع جاتشتو البينو . وفي الصباح كنت اشترى الساندوتش من عندكم دائما ألا تذكرني؟

رافيلوتشو : كيف لا أذكرك .

جيرالدينا : كيف حال السيدة السمراء الجميلة التي كانت تقف على البنك وتبيع الخبز للزبائن؟ كانت تضع دائما في رقبتها سلسلة ذهبية جميلة .

رافيلوتشو : إنها أمي . . لقد رحلت عني وأنا في السادسة من عمري . . كانت الغارات صعبة أيام الحرب، وكانت تعاني من مرض القلب، ولا تقوى على البقاء في الملجأ . . وكنا في ذلك الوقت نقطن في الطابق الأول فأصيب المبنى المجاور لنا بثلاث قنابل . . وماذا نقول في القدر؟ لقد دخلت شظية من النافذة وأصابتها هنا (يشير إلى رقبته) في نحرها . ولم تمض ثلاث دقائق حتى لاقت ربها .

جيرالدينا : يا للمسكينة!

انطونيو : هل لنا أن ندخل في لب الموضوع؟

رافيلوتشو : أنا أريد أن أكلمك على انفراد يادون انطونيو . المسألة حساسة للغاية .

اما كولانا : (وهي تدخل) السيدة . . السيدة أرميدا وصلت .

جيرالدينا : أمي وصلت (تنهض وتجري نحو الفرندة منادية)
ماما . .

تدخل أرميدا في تلك اللحظة مستندة إلى ذراع ابنها
أميديو. أرميدا تبلغ من العمر خمسة وأربعين عاماً،
ولكنها مازالت تحتفظ بمسحة من الجمال، ترتدي
قميص النوم وعليه الروب، وتضع بلوفر من الصوف
على كتفها، وجهها يعتليه الشحوب وعيناها تشوبها
حمرة من أثر النوم، شعرها الأسود الغزير مصفف على
عجل ومثبت ببعض البنس والأمشاط المصنوعة من
صدف السلحفاة. صدرها ملفوف برباط من الشاش
يغطي أسفل صدرها وثديها الأيسر. حين ترى جيرالدينا
يغلبها التأثير.

أرميدا : ابنتي . . ضنائي . . (جيرالدينا تقترب من أمها مشوقة
لتعانقها ولكن أرميدا تمنعها من القيام بهذه الحركة
التلقائية بإشارة مناسبة) لا . . لا . . استحلفك الله . .
(جيرالدينا تراجع متفهمة حالة أمها) إن ناراً تتأجج هنا
(تشير إلى ثديها الأيسر. ترى زوجها فتوجه إليه ضارعة
وتناديه) توني.

انطونيو : أرميدا . . ساعحك الله . .

اما كولانا : يا لشحوب وجهها!

- أميديو : خاطوا لها اثنتي عشرة غرزة (يقرب بأمه من انطونيو)
- أرميدا : هل رأيت ياتوني؟ (تمنع نفسها من البكاء وتبتسم ابتسامة خفيفة لتشد من أزر زوجها).
- أميديو : هذه الفعلة من صنع مالا فيتا.
- جنارينو : (الذي دخل مع الآخرين) أبي . . إذا أذنت لي سأقتل هذا الكلب (يخرج مسدسه من جيبه).
- أميديو : لا . . بعد إذنك هذه المتعة لن تكون إلا من نصيبي أنا (يخرج مسدسه هو الآخر).
- أرميدا : (في جدية وفي قلق الأم) لا تؤذيا أنفسكما بهذه المسدسات.
- انطونيو : انتظروا! أرميدا . . ياروح توني . . أريد أن أعرف شيئا واحدا فقط وبعده لن يقضي على مالا فيتا إلا مسدس واحد . . مسدسي أنا . عندما هاجمك هل جاء إلى حجرتك؟
- أرميدا : لا . .
- انطونيو : ومتى وقع الحادث؟
- أرميدا : في الواحدة بعد منتصف الليل . كنت ساعتها أجمع البيض من حظيرة الدجاج .

- انطونيو : أرميدا . . يا حياتي . . قولي لي كم أحبك؟
- أرميدا : كثيرا . .
- انطونيو : وأنت هل تحبينني؟
- أرميدا : (لتقول . أهذا محل شك) توني . .
- انطونيو : صحيح أنك عانيت كثيرا ليلة أمس ولكن من يعاني أكثر الآن . . أنا أم أنت؟
- أرميدا : (في اقتناع) أنت .
- انطونيو : وأثر الجرح الذي سيظل على ثديك ماذا سيكون بالنسبة لي؟
- أرميدا : (كالسابق) غصة في القلب .
- انطونيو : مالايتا هنا في العزبة ليحمي البيت والأسرة والدجاج . .
- أنت التي أثرتيه (إلى ابنيه) ليضع كل منها مسدسه في جيبه (الابنان يطيعان) الكلب صاحب الحق . (لا أحد ينبش بكلمة . ويظهر الرضاء على وجه أرميدا لانتهاه الموضوع بهذا النحو) وكيف حالك الآن .
- أرميدا : (تقلل من شأن آلامها) أشعر بتحسن ولكني أريد أن أرقد على الفراش .
- اماكولاتا : هيا بنا ياسيدي وسأقدم لك فنجانا طيبا من الشربة .

(الجميع يتقدمون ليصطحبوا أرميدا إلى حجرتها).

أرميدا : قالوا لي أن آخذ حقنا ضد عضّة الكلب .

أميديو : كلا لن تأخذها ، فسأذهب اليوم وأقدم لهم الشهادة ليتأكدوا أن الكلب ليس مسعورا .

(يخرج الجميع ماعدا انطونيو الذي يبقى في مؤخرة المسرح).

رافيلوتشو : دون انطونيو . .

انطونيو : معذرة ياسانتانيللو ولكن كما ترى اليوم غير مناسب .
تعال غدا .

رافيلوتشو : إنها مسألة عاجلة وخطيرة يادون انطونيو .

انطونيو : أربعة وعشرون ساعة ليست نهاية العالم (يتقدم ليخرج).

رافيلوتشو : دون انطونيو . أنا سأقتل أبي غدا .

انطونيو : (يقف على مسافة خطوة من الباب ويستدير نحو الاثنين ويتفرس الفتى بنظرة مشدوّهة . بعد وقفة طويلة يقول)
لم أفهم جيدا ماقلت .

رافيلوتشو : (في رباطة جأش) غدا سأقتل أبي .

(ريتا تنفجر في بكاء طويل ، يلوح بوضوح أنها لم تعد تقوى عليه فيتحول إلى أنين واهن مسترسل لا يكاد يسمعه رافيلوتشو أو دون انطونيو.

انطونيو : (يفطن للمرة الأولى لحالة الفتى والفتاة البائسين .
فيتفرسهما بتمعن شديد فترة طويلة . يتأثر على وجه الخصوص بنظرة الفتى الصافية وأنين الفتاة البريء .
أخيرا يقول في اقتناع : أرى أنك قررت وصممت على قرارك).

رافيلوتشو : (في هدوء) نعم .

انطونيو : إذن المسألة طويلة . هل يمكنك العودة بعد ساعتين ؟

رافيلوتشو : نعم بعد ساعتين .

ريتا تشعر بيد رافيلوتشو تربت على كتفها في محبة فتدرك أنه قد حان لهما الانصراف . يتقطع أنينها على فترات ثم يتواصل طويلا ورتيبا على طول الطريق من الفرندة إلى الخارج . انطونيو لا ينتظر تبدد النحيب إلى النهاية فيبقى قليلا ليستمع إليه ثم يتجه إلى حجرة زوجته خافض الرأس بطيء الخطى . .

الفصل الثاني

نفس بيت انطونيو بركانو ونفس حجرة الفصل الأول بعد مرور أقل من ساعتين بقليل . أرميدا تقف في مقدمة الفرندة لتتنسم الهواء وتعرض جسدها للشمس . تحكم تغطية كتفها بشال من الصوف . جيرالدينا واماكولاتا تقفان إلى جوارها . فابيو يجلس إلى المائدة في مواجهة الثلاثة وظهره للحائط .

أرميدا : كم الساعة الآن؟

فابيو : (يلقي نظرة على ساعته) التاسعة إلا ربعا .

أرميدا : ولماذا تأخر توني . . متى سيعود؟

جيرالدينا : الذهاب والعودة من مصحة الكلب يحتاج إلى بعض الوقت .

اماكولاتا : إنه بعيد ولم تمض ساعة منذ حضورهم لأخذ الكلب .

أرميدا : ولماذا لم يصحبه جنارو؟

جيرالدينا : أنت تعرفين أنه إذا لم يذهب إلى المحل في الصباح لا يهدأ له بال . لقد ركب عربته وذهب .

أرميدا : وأميديو؟

اماكولاتا : دون انطونيو أرسله في مهمة عاجلة إلى نابولي وسمعتة
يقول له : لا أوصيك يا أميديو . ضعه في السيارة
واحضره إلى هنا .

أرميدا : من ؟

اماكولاتا : لا أعرف .

أرميدا : (إلى فابيو) ولماذا لم تصحبه أنت يا دكتور؟

فابيو : دوناً أرميدا . . أنا كنت في الفراش أعاني من نوبة حمى
شديدة وكانت أسناني تصطك من البرد . أليس كذلك
يا اماكولاتا؟

اماكولاتا : لقد جريت لأحضر له قربة الماء الساخن .

فابيو : لم تتحسن صحتي وأغادر الفراش إلا منذ ربع ساعة .

جيرالدينا : أنت دكتور كلما تنوي على السفر تتوعدك صحتك . فالمرّة
السابقة أيضاً انتابتك نفس هذه الوعكة

فابيو : لا بد أن جو أمريكا لا يلائمني وعندما أشعر به من بعيد
يصيبني المرض .

أرميدا : (ما زالت قلقة على زوجها) هل مستشفى الكلب هذا
بعيد .

فابيو : لماذا أنت خائفة؟ ليست هذه المرة الأولى التي يأخذون فيها كلاب دون انطونيو إلى الحجر الصحي .

أرميدا : ولكنك تعرف طباع توني . . إنه طيب كبير القلب ، ولكنه يرى القانون بمنظاره الخاص ، ولو أساءوا معاملته فسوف يفقد صوابه ، ولن نضع اعتبارا للمكان الذي يقف فيه ، أو يعمل حسابا للسلطات . بل لو عمل حسابها فسيفقد أعصابه ولن نحمد العواقب .

فابيو : إذن اسمحي لي أن أقول لك إنك لا تعرفين دون انطونيو جيدا . لعلك تعرفين فيه الزوج على حقيقته ولكنني أعرف فيه دون انطونيو الرجل أكثر منك . هل رأيته مرة في المحكمة وهو يركع على قدميه ويقول للقاضي : سيادة المستشار الموقر؟ يتظاهر بخلع قبعته ويقلد في خشوع . انحناء دون انطونيو أمام القاضي) .

أرميدا : (تبرر تصرف زوجها) ولكنه القاضي .

فابيو : لا . . لا . إنه يفعل هذا حتى مع الحاجب . . بل ومع كل من يعمل في القضاء كبر مركزه أم صغر فعلى سبيل المثال إنه يعرف أن الحاجب ليس حرا في تعامله وأنه لا يستطيع معاملته الند للند بل يعرف أنه موظف عام عليه واجبات وله مسؤوليات . . إن دون انطونيو يعرف تماما كيف يتصرف وليس من المستبعد أن يحضر الكلب معه .

جيرالدينا : لا، هذا لا، فالمرة السابقة احتجزوه أسبوعين في الحجر
للتأكد من سلامته .

رافيلوتشو يدخل بخطوات أقرب إلى الجري ثم يقف
لاهثا بجوار النساء .

رافيلوتشو : لا تؤاخذوني . .

أرميدا : من هذا؟

اماكولاتا : إنه شاب جاء اليوم وقابل دون انطونيو . .

جيرالدينا : رافيلوتشو سانتا بيللو يا أماء .

رافيلوتشو : خادمك يا سيدتي .

جيرالدينا : هل وقع لك مكروه .

رافيلوتشو : (يبتسم ليخفي الضيق الذي يشعر به) الفتاة التي كانت
معي . .

اماكولاتا : آه، صحيح . . ولكن ألم تخرج معك؟

رافيلوتشو : بلى ، لأن دون انطونيو طلب مني أن أعود بعد ساعتين .
فخرجنا معا وبقينا في العزبة لأننا لم نكن نعرف أين
نذهب . والساعتان لم تنتهيا بعد فما زال هناك ثلث
ساعة . ولا أعرف ماذا انتابها؟ ربما كانت الشمس
ولكنها فجأة شعرت بالدوار وترنحت فهرب الدم من
عروقي من الخوف .

- اماكولاتا : يا للبنية المسكينة!
- جيرالدينا : وأين هي الآن؟
- رافيلوتشو : في حديقة الفاكهة الثانية، على الجانب الأيمن.
- اماكولاتا : (لتحث فابيو على التدخل) دكتور... .
- فابيو : احضروها هنا فأنا أيضا مريض والشمس تضرمني.
- جيرالدينا : (تتجه نحو الباب). تعالي يا اماكولاتا. (تخرج)
- اماكولاتا : هيا بنا يا بني (تخرج وراء جيرالدينا ووراءها رافيلوتشو
- فابيو : الظاهر أنه ابن صاحب مخبز شارع جاتشتو الينوا.
- أرميدا : والبنت؟
- فابيو : لا أعرفها، ولكن كيف حالك أنت يا دونا أرميدا؟
- أرميدا : أشعر بتحسن وشكرا لسؤالك.
- فابيو : استأثت كثيرا لأنني لم أكن هنا ليلة أمس. بعد قليل سأرسل إلى الصيدلية ليحضروا لك نقطا مهدئة.
- أرميدا : شكرا يا دكتور. .
- اماكولاتا : (من الخارج) حمدا لله. . لقد وصلنا يا حبيبتي.

- جيرالدينا : بالراحة ، بالراحة ، استندي إلى . .
- ريتا : متشكرة . . أنا بخير الآن . . لابد أنها نوبة دوار مفاجئة .
- اماكولاتا تدخل ممسكة بوسط ريتا المستندة في نفس الوقت على ذراع جيرالدينا .
- اماكولاتا : لا . . لا . . البنية تعاني من شيء (الثلاثة يتقدمون نحو وسط الحجرة ثم تقوم اماكولاتا وجيرالدينا بإجلاسها إلى المائدة) إنها الشمس كما قال هذا الشاب . استريح قليلا هنا في الظل وسوف تتحسنين في الحال .
- أرميدا : أليس من الأفضل أن تكشف عليها يا دكتور؟ الظاهر أن البنت حامل .
- ريتا : (في اعتزاز وثقة وبنفس ابتسامتها المعهودة ، وعيناها الواسعتان مفتوحتان) في الشهر السابع .
- أرميدا : (إلى رافيلوتشو) أهي زوجتك؟
- رافيلوتشو : (مصححا وفي إحساس رجولي بالمسئولية) إنها امرأتي وحياتي .
- اماكولاتا : اكشف عليها يا دكتور .

فابيو

: وما فائدة الكشف عليها . . الحمل لا دخل له بحالتها .
إنها تعاني من سوء التغذية . (يقرب من ريتا) ألا ترين
مقدار شحوبها؟ ألا ترين زرقة جفنيها الداكنة؟ (يتناول
يدها) انظري . . إن هذه البنية المسكينة تموت من البرد
(يقيس النبض) ولم لا تموت ونبضها لا يكاد يسمع (إلى
الفتاة) متى أكلت اليوم؟ (ريتا تغض بصرها لتتخاشى
الرد ثم تنفجر في نحيبها الشاكي المعتاد) ألم تأكلي؟

رافيلوتشو

: (من الفرندة ودون أن يتحرك من مكانه يرد في مرارة
شديدة) لا . . لم تأكل يا دكتور.

فابيو

: يا إلهي! إنها حالة جوع مزمن . . هذه الفتاة تعاني من
سوء التغذية منذ شهور طويلة .

رافيلوتشو

: هذا هو الواقع .

فابيو

: أمرك عجيب حقا . . منذ قليل قلت في جرأة تحسد عليها
إنها امرأتك والآن تجد الشجاعة لتقول إنها على لحم
بطنها .

رافيلوتشو

: (يتقدم بخطى ثابتة ويقف أمام فابيو) انظر إلى هذه
الفتاة التي كشفت عليها الآن . . إنها حطام لا قيمة له .
مجرد عدة عظام مركبة بعضها على بعض وقد يجيء أي
شخص فيفعل هكذا في لحظة غفلة (يؤدي حركة كأنه

يلم نفايات) ثم يقول هذا شيء لا نفع فيه ولا يصلح
لشيء . ودون أي تفكير يذهب ليلقي بها في إحدى
النواحي وسط الزبالة ويتخلص منها . أتراها تلبس على
الموضة؟ كلا يا سيدي . هل ترتدي الجوارب الحريري؟ لا،
لا ترتديها . أتذهب إلى الكوافير؟ لا، لا تذهب ومع كل
هذا فهذه العظام التي تراها أمامك والمركبة بعضها على
بعض بهذا الشكل بالذات وفي هذه الحالة بالذات . .
بهذه الجفون وهذا الجلد وهذا اللون . . هذا الحطام الذي
لا قيمة له . . أتراه؟ حسن . . إنه امرأتى . وأنا . . انظر
إلى حالي . . إن حذائي ممزق (يرفع إحدى قدميه
ويكشف عن نعل الحذاء البالي) وردائي . . انظر . . يثني
ذراعه ويريه كم السترة المتآكل على المرفق) وتحب أن ترى
قميصي؟ (يخلع السترة ويشير إلى الخياطات والرقع
المتعددة في القميص) وأنا نفسي من أكون؟ مجرد كومة من
العظام المنفردة التي لا يرضى أحد أن يدفعها بقدمه
هكذا (يدفع ساقه اليمنى بسرعة إلى الأمام ويحك بقدمه
البلاط كأنه يبعد شيئاً يبعث على الغثيان) ويلقي بها في
الزبالة . ولكن كومة العظام المنفردة هذه أتعرف ماذا
تعني عندها . . إنها الرجل الذي اختارته لنفسها .

ريتا : (مأخوذة وفي غمرة من الحسب كأنها تكلم نفسها)
ما أجمله .

رافيلوتشو : أنا أعمل شيالا باليومية في الميناء، وحين أزيد عن العدد المطلوب، لأننا كثيرون، يغلّقون الأبواب في وجهي، فأعرض نفسي للأعمال اليدوية وأعمل تباعا وعتالا وخفيرا وعامل مراحيض. . لا امتنع عن عمل أي شيء وإذا كسبت ليرة أضعها في يدها. وإذا رزقنا الله برغيف أقسمه بيني وبينها وإذا لم يكن لي نصيب في الرزق فلا شيء لها ولا شيء لي.

فابيو : وتموتان من الجوع.

رافيلوتشو : لا، بل نموت من الجوع فالجنين الذي تحمله في بطنها ابني.

فابيو : إن الأبوة التي تشعر بمسئوليتها بكل اعتزاز شيء يشرفك ولا غبار عليه، ولكن المشكلة أيتها السيدات العزيزات هي هذه الفتاة. إنها إذا لم تأكل في الحال فإنها ستفقد الوعي تماما.

أرميدا : (في نجدة ومروءة) اماكولاتا.

اماكولاتا : تفهم قصدها على الفور فتسرع إلى المطبخ قائلة) ماذا كتب علينا أن نراه في هذه الدنيا (تخرج)

فابيو : (يفصل من الدفتر الروشّة التي كتب عليها أسماء بعض الأدوية اللازمة لريتّا ويتجه إلى رافيلوتشو) اذهب إلى الصيدلية واحضر هذه الأدوية.

رافيلوتشو : (في شيء من الاضطراب وممسكا بالورقة في يده) الآن؟

فابيو : الآن . . أم أنك خائف تترك امرأتك هنا؟

رافيلوتشو : لا، ولكن . .

ريتا : (في عدم اكتراث مصطنع) إنه لا يحمل نقودا في جيبه أبدا لأنه يخاف أن تضيع ولذلك فأنا احتفظ بها دائما . (تخرج من صدرها منديلا معقودا على هيئة ربطة صغيرة . تحاول فكه مرة ولكنها تفشل لهزالها وانعكاسه على دقة بصرها . تحاول مرة ثانية فتبوء محاولتها بالفشل .

رافيلوتشو : دعيني أفكه . . (يفك المنديل البالي في مهارة ويقلب في محتوياته المتواضعة) هاتان تذكرتا القطار . . لقد قطعنا تذكرتين ذهابا وإيابا وإلا ما استطعنا العودة . (يضع التذكرتين في المنديل مرة أخرى) وهذا سوارك (يرفع بيده سوارا من أحجار المرجان الصناعي المفروطة .

ريتا : الخيط مقطوع . . احذر حتى لا تضيع حباب المرجان .

رافيلوتشو : أين ذهبت النقود؟ آه إنها هنا (يتناول ثلاث قطع معدنية فئة مائة ليرة هي كل ما يجده فيقول) ثلاثمائة ليرة تكفي؟

فابيو : وما علمي بهذا؟

أرميدا : قل لهم في الصيدلية أنك من طرف حرم دون انطونيو
بركانو. إننا ندفع الحساب آخر الشهر.

رافيلوتشو : وما ذنبك أنت لتدفعي ثمن الدواء؟

أرميدا : إنه شيء بسيط .

جيرالدينا : وأنا مدينة لك .

رافيلوتشو : مدينة؟

جيرالدينا : حينما كنت أذهب إلى المدرسة وآتي عندكم لشراء
الشاندوتش كنت تعطيني دائما كعكة من وراء أبيك
وكنت استمتع كثيرا بأكلها . انظركم ثمن الكعك الذي
أعطيته لي وستجد أننا بعد أن ندفع ثمن الدواء علينا
أيضا أن ندفع لك الباقي .

أرميدا : اذهب وعد سريعا .

رافيلوتشو : (في شيء من التأثر) بإذنكم (يخرج مسرعا)

اماكولاتا تدخل حاملة في يدها صينية عليها إناء من
الحساء يتصاعد منه الدخان وطبق من جبن الموتزاريلا
الطازج ولبن وفاكهة .

اماكولاتا : شربة ساخنة وقطعة من اللحم أيضا (تضع الصينية على
المائدة)

- أرميدا : دوتا . . . ما اسمك ، تفضلي كلي .
- ريتا تخفض رأسها ولا تجيب .
- فابيو : قليل من الشربة . . ابدئي بقليل من الشربة .
- جيرالدينا : طبعاً . . الشربة واللحم وكوب اللبن اللذيذ وقطعة من الجبن الطازج .
- (ريتا تظل مطرقة برأسها دون أن تحرى جواباً)
- أرميدا : ألا تريدان أن تأكلي؟
- اماكولاتا : كيف لا . . إنها ستأكل في الحال . يا للبنية المسكينة لعلها تشعر بالخجل .
- أرميدا : أتريدان البقاء وحدك؟
- ريتا : أريد رافيلوتشو .
- جيرالدينا : لقد ذهب إلى الصيدلية . . كلي أنت .
- ريتا : (مستسلمة دون رضا) حاضر .
- جيرالدينا : (تنحني جانباً بالآخرين) الأفضل أن نتركها وحدها وإلا لن تقترب الطعام .
- اماكولاتا : نعم ، هذا أفضل .

أرميدا : لن يغمض لي جفن الليلة . . لقد بدأ الألم ينتاب كتفي
(تتقدم نحو حجرتها)

اماكولاتا : (تتبع أرميدا) كان الله في عونك فأنت ترين نجوم
الظهر.

فابيو : سوف أرسل الآن كاتيللو ليحضر لك النقط المهدئة .
(يخرج مع السيدات الثلاث)

بعد وقفة قصيرة تتلفت ريتا حولها ثم تتناول شوكة
وتغمسها في الشربة لتتصيد بها قطعة اللحم . عندما
تتمكن من إخراجها تنظر إليها باهتمام شديد لتقدر
حجمها . تصاب بخيبة أمل حين تدرك أن القطعة
تكفي شخصا واحدا بالكاد . تتناولها وتضعها في طبق
وتصب عليها بعضا من الحساء الساخن بالملعقة ثم
تقلب عليه طبقا آخر . أخيرا تتناول جرعة من الحساء
فتشعر بالراحة ثم تسرع شيئا فشيئا في تناول الجرعات
لتمنح المعدة بهذا وبنحو غريزي حقها المقدس في
الطعام .

يدخل انطونيو

انطونيو : (يرى ريتا فيبتسم ويعلق ساخرا) مهلا يا عروسة
فلا أحد يجري وراءك .

ريتا : (خائفة فتقع منها الملعقة في الطبق وتنهض مسرعة لتبتعد عن المائدة كأنها لص ضبط متلبسا . . لم أكن أريد شيئا . . السيدة أرميدا هي التي أصرت أن تقدم لي الطعام).

انطونيو : ولتأكلي بالهناء والشفاء (يقرب من الفتاة ويجلسها إلى المائدة ويقدم لها الملعقة) عظيم . . عظيم . . تناولي الشربة ساخنة .

ريتا : لا . . شكرا . . لقد شربت الشربة . أريد أن آكل قطعة من الجبن .

انطونيو : كلي بالصحة والعافية (يقطع بنفسه قطعة من الجبن ويقدمها إليها)

ريتا : شكرا (تسرع في أكل الجبن في حياء)

انطونيو : أنت خطيبة رافيلوتشو سانتانيللو؟

ريتا : لست خطيبته بالضبط .

انطونيو : ولكنه قال هذا .

ريتا : هو يقول هذا عندما يقدمني للغرباء ولكن إذا طلبت منه أن يفتح لك قلبه فسيقول لك إنني امرأته .

انطونيو : وهل تعرفين ما معنى أن يقول الرجل «إنها امرأتي»

ريتا : نعم أعرف لأنه أوضحه لي .

انطونيو : إذن ماهو؟

ريتا : وأنت ألا تعرفه؟

انطونيو : أعرفه ، ولكنني أريد أن أتأكد أن المعنى الذي أوضحه لك يطابق المعنى الذي أقصده .

ريتا : قل أنت أولا ما تقصده وسأكل أنا قطعة الجبن ثم أتكلم .

انطونيو : لا بأس . . الحقيقة أن كلمة امرأتي لا تعني القول خطيبي أو زوجتي واستخدامها في كلتا الحالتين يمكن اعتباره إهانة للمرأة ، فالزوجة زوجة وعندما يتكلم عنها الرجل يقول «حرمي» والرجل الأصيل لا يقول امرأتي إلا في حالتين فقط «الحالة الأولى» إذا استدعته الضرورة القصوى إلى الإشارة إلى عشيقته أو إلى خطيبته كما يقولون . وفي هذه الحالة يجب أن يكون من يسر إليه بهذا رجلا عاقلا على مستوى المسؤولية ومحل ثقة لا تشوبها شائبة . و«الحالة الثانية» أن يقول هذا في موقف نجدة إذا كان رجلا شهيا وشجاعا ويريد أن يحمي امرأة ما - حتى وإن كانت عاهرة - من تحرشات شلة من البلطجية الفتوات المغرضين . . عندئذ يعلن نفسه حائزا مؤقتا لهذا العنصر الأنثوي ويقول : لا أحد يلمسها إنها امرأتي .

ريتا

: كلا، ربما كان هذا معناه على أيامكم، فأنت رجل عجوز
أما الآن فالأحوال قد تغيرت وما قاله لي رافيلوتشو شيء
آخر. وعلى أية حال فإن هذه هي حكايتي. . أنا لم أعرف
لي أبوين. وقد تربيت على يد الراهبات المحسنات في دار
الرحمة في تورى دل جربكو. ولما بلغ سني الخامسة عشر
أي منذ حوالي ثماني سنوات لأن سني الآن خمسة وعشرون
عاما. خرجت لأعمل خادمة في بيت أسرة كريمة.
فقدمت طلبا إلى دار الرحمة وأرفقت به كل الضمانات
اللازمة. والحق أقول إنهم عاملوني معاملة طيبة فأحببتهم
وتعلقت بهم. وكان بيتهم يقع في شارع متفرع من شارع
جاشتتو البينو. وطوال المدة التي خدمت فيها في بيتهم
كنت أذهب لشراء الخبز من فرن والد رافيلوتشو. فهاذا
حدث؟ ألم أظل انظر إليه وينظر إلى سبع سنوات دون أن
نتبادل كلمة واحدة؟ كنت أدخل الفرن وأقول: ٢ كيلو
خبز فيزن لي الخبز وبعد أن آخذه أقول: أسعد الله
صباحكم وبعدها لاحس ولا خبر.

انطونيو

: وما دخل هذا.

ريتا

: انتظر الآن ستسمع. فذات صباح. . وكان هذا منذ عام
ونصف. . كنت اشترى الخبز كالعادة فإذا بي أسمع من
يقول أتذهبين معي إلى السينما اليوم؟

انطونيو

: من كان هذا. . رافيلوتشو؟

ريتا

: لا، إنه ميكانيكي كان يشتري بعضا من الكعك . .
فقلت له : لا، متأسفة أنا لا أذهب إلى السينما مع أحد
لا أعرفه . فقال : لا عليك سأذهب مع رافيلوتشو .
اتفقنا يا رافيلوتشو . فقال له : لا . الليلة لا يمكن . ونظر
في عيني نظرة شاقبة وقال : الليلة لدي موعد في التاسعة
تماما أمام سينما سانتالوتشيا وظل ينظر في عيني دون أن
يرفعها عني ففهمت غرضه . وفي الساعة التاسعة تماما
كنت أمام سينما سانتالوتشيا . وشعرت بذراع رافيلوتشو
تتأبط ذراعي . كنت أسير مغمضة العينين . . لم أكن أرى
شيئا وانتظرت أن يتكلم . وأخيراً قال لي : هل تحبينني؟
فأجبتة على الفور منذ سبع سنوات . ثم سأله وأنت متى
فكرت في أول مرة؟ قال : منذ سبع سنوات . شخصان
والفكر واحد . ومنذ تلك الليلة أصبحت لا اهتم
بشيء . . لم أعد اهتم بمن يسيرون في الشارع ولم أعد انظر
إلى المحلات أو أرغب في السينما ، وإذا كلمني أحد لا
أسمع ما يقول . وعندما أكون مع رافيلوتشو تتملكني
سعادة غامرة وأرى أن كل شيء حلال في حلال . وقد
قال لي إن هذا يحدث عندما يكون الإنسان قد خلق
للإنسان الآخر وحده . أي أن المرأة يكتمل نضجها
وتعرف كيف تقدر الأشياء الجميلة حين تلتقي بالرجل
الذي خلق لها . وما يجوز على المرأة يجوز على الرجل وأنا
قد التقيت برافيلوتشو ورافيلوتشو التقى بي .

انطونيو : مفهوم ، مفهوم . . التقى الروحان التوأمان . ولكن قولي لي : أتعرفين شيئاً عما نوى عليه رافيلوتشو؟

ريتا : (توميء برأسها مرتين ثم تردد بالإيجاب) نعم (يختنق حلقها فجأة وتنفجر في نحيبها الشاكي المعتاد، وتسترسل في البكاء، وتخرج من جيبها منديلاً بالياً تمسح به دموعها وتمشط أنفها وتقول : إن رأسه ناشف كالحجر . . إذا قال كلمة فهي الكلمة . ولقد ملك عليه هذا العزم كل حواسه منذ ثلاثة شهور).

انطونيو : وهل تعتقدين أن لديه حقاً فيما ينوي عليه؟

ريتا : (فريسة لنوبة البكاء) حينما نكون معا ونتحدث في الموضوع يتهيا لي أنه على حق وحين اختلي بنفسي وأفكر فيما قاله يتهيا لي أنه ليس على حق .

انطونيو : وأنت ألم تستطيعي أن تحمليه على تغير رأيه؟

رافيلوتشو يدخل ويقف على عتبة الباب

ريتا : وماذا بوسعي أن أفعل . إنها بالنسبة له ليست نية . . إنها مرض فهو لا يكف أبداً عن التفكير فيها ولا ينام الليل . خلصه منها يا دون انطونيو . . أنت الوحيد القادر على تحقيق هذه المعجزة .

رافيلوتشو : (يتقدم نحو المائدة ويتوجه إلى ريتا) لقد جئنا إلى هنا
لأكلم أنا دون انطونيو لا لأن تكلميه أنت، اغفر لها
يا دون انطونيو فهي لا تعرف قدرك . (إلى ريتا) قلت لك
لا تفتحي فمك في غيابي .

انطونيو : أنا الذي بدأت بسؤالها؟

رافيلوتشو : إذن لتقل أنا لا أعرف شيئاً وحين يعود رافيلوتشو تستطيع
سؤاله (ريتا تنتحب بصوت خفيض) كفاك بكاء . . إنه
يضر بصحتك . أترى يا دون انطونيو . . إنها تبكي ليل
نهار.

انطونيو : إذا كنت تريد أن تكلمني فهيا أنا مستعد للسمع .

رافيلوتشو : اذهبي لتمشي في الخارج حتى انتهي من الكلام مع دون
انطونيو.

ريتا : دعني أبقى . . أريد أن أسمع ما يقوله دون انطونيو.

رافيلوتشو : (في حزم) هيا، هيا . . اذهبي لتشمي الهواء في الخارج .

ريتا : (ضارعة) قل له أنت يا دون انطونيو . . قل له إن يدعني
أبقى فأنا أحبك . تدخل جيرالدينا .

جيرالدينا : ماذا تم في الموضوع يا أبي؟

انطونيو : لقد تأكدت بنفسني أنهم سيعاملون الكلب معاملة طيبة
وأنهم سيعيدونه بعد سبعة أيام . كل شيء على ما يرام .

جيرالدينا : وأنا يا صبية هل أكلت لقمة؟

ريتا : نعم أكثر الله خيركم .

تدخل اماكولاتا

اماكولاتا : (مشيرة إلى ريتا) هل أكلت؟

انطونيو : تناولت قليلا من الشربة وأكلت قطعة جبن . والآن
اصطحبها إلى المطبخ لتكمل أكلها .

اماكولاتا : تقوم بفض المائدة وتقول : تعالي يا بنيتي . . تعالي معي
يا حبيبتني .

ريتا : (تهم مسرعة حين تتناول اماكولاتا الطبق الذي يحتوي
على قطعة اللحم . لنذهب به) لا . لا . لا . هذا نصيب
رافيلوتشو . لقد تركته له . كل يرافيلوتشو . إنه لحم
مسلوق .

رافيلوتشو : كلا . . شكرا ليست لي نفس (إلى اماكولاتا) تفضلي
خذي .

جيرالدينا : بل كل من أجل خاطرها هي (تشير إلى ريتا) .

ريتا : نعم من أجل خاطري .

رافيلوتشو : ليست لي نفس .

انطونيو : لا بأس . . اتركه هنا لعل نفسه تنفتح فيما بعد . والآن اذهبن لأننا نريد أن نتكلم .

اماكولاتا : (إلى ريتا) تعالي يا بنيتي (تتم بالخروج ووراءها جيرالدينا)

ريتا : لحظة واحدة . . سآتي حالا (تبتعد عنها وتقرب من رافيلوتشو فتضغط على يديه وتنظر في عينيه طويلا) ثم تقول رافيلوتشو . . إنني سأخرج لأن هذه هي رغبتك . فكلّم دون انطونيو ولكن تذكر إنني امرأتك ولاشك أن نصيحتة لك سيكون فيها كل الخير (تتحي به جانبا وبصوت خفيض) كل اللحم فأنت لم تأكل شيئا منذ أمس .

رافيلوتشو : حاضر . حاضر .

ريتا : (إلى المرأتين) أين المطبخ .

جيرالدينا : من هذه الناحية .

تخرج النساء الثلاثة

انطونيو : (مشيرا إلى ريتا) وأنها ابنة حلال . .

رافيلوتشو : إنها قديسة .

انطونيو : اجلس يا سانتانييللو.

رافيلوتشو : شكرا. (يجلس)

انطونيو : حسن . . ما الحكاية؟

رافيلوتشو : (مرتبكا)دون انطونيو. . الموضوع، الموضوع يا دون انطونيو. . الموضوع.

انطونيو : سانتانييللو. . أنا خبرت الحياة والناس وطففت الدنيا من أولها إلى آخرها وأقول لك بكل تواضع إني عشت حياتي بطريقة عملية. أنت منذ ساعتين قلت في هدوء وثقة تحسد عليها: أنا سأقتل أبي والآن أراك مرتبكا ومحجبا عن الكلام فهل راجعت نفسك في هاتين الساعتين ولا تجد الكلمات لتقول إنك تراجعت.

رافيلوتشو : يا دون انطونيو. . إذا كنت تراني مرتبكا فذلك لأنني سمعت الكثير عنك، ولكنني لم أتشرف بالاقتراب منك من قبل. فعندما يتردد اسم انطونيو بركانو تقفل الأفواه وترفع القبعات من على الرؤوس تكريما وإجلالا. إن الاحترام الذي أكنه لك هو الذي يمنعني من الكلام بتبجح في حضورك. أقصد أن رؤيتك تبعث في نفسي الرهبة. ولكن الرجل رجل مهما كان الأمر وإن ما قلته لك منذ ساعتين أوكدته لك الآن وسأؤكدده أيضا صباح غد.

انطونيو : أي أنك ستفتك بأبيك في الصباح .

رافيلوتشو : لا مفر من هذا .

انطونيو : ولماذا لا مفر . أين كتب هذا؟ وإذا كان مكتوبا في

مكان ما لم يعثر عليه أحد غيرك وعزمت على تنفيذه،

فلماذا جئت إلي؟ جئت لتقوله لي هكذا . . من باب

الإحاطة وماذا يهمني أنا من الإحاطة؟ ماهي وظيفتي؟

قسيس الاعتراف؟ . . لو جئت تقول لي يا دون انطونيو

إنني أعاني من ظروف صعبة وهي كذا . . وكذا ، وأشر

علي بما أفعل ، ففي هذه الحالة أ تدخل وأقدم لك العون،

ولكن أن تقول لي إنك مصرّ على عزمك لأن الرجل رجل

فأنا أقول لك إن الرجل رجل فقط إذا لم يكن عنيدا

متصلبا وإنه إذا أدرك أن لابد من التراجع يتراجع ، وإنه

إذا أيقن أنه أخطأ يتحمل مسؤولية الخطأ ويحاول

الاعتذار، وإذا تأكد من تفوق رجل آخر عليه يعترف

بهذا . الرجل رجل إذا عرف مدى شجاعته وكيف يحسن

استخدامها ، وأدرك مدى خوفه وعرف كيف يتدبر أمره .

الرجل هو أنا يا سانتانيللو . . فهل تريد الانصراف أم

تريد المشورة والنصيحة .

رافيلوتشو : (متريدا) دون انطونيو .

انطونيو : (بكل ما يحمله التعبير من وزن) إنكما أب وابن . . أتريد أن تفهم هذا أم لا ؟

رافيلوتشو : (ساخطا وبإحساس من يشعر بأنه ضحية الظلم) ولماذا لا يفهم هو أولا أننا أب وابن . عندما جئت إلى الدنيا كان هو رب البيت والمسئول عنه لا أنا . إن أرتورو سانتانيللو ليس أبا يادون انطونيو . . إنه وغد .

انطونيو : إذا كنت جئت للمشورة والنصيحة فأنا الذي أحكم إن كان أبوك وغدا أم لا . ولماذا لا تكون أنت الوغد؟

رافيلوتشو : دون انطونيو . .

انطونيو : لنمضي في الموضوع . . منذ متى لم تر أباك؟

رافيلوتشو : من ثلاثة عشر شهرا .

انطونيو : وكيف تركته في آخر مرة .

رافيلوتشو : لقد قال لي بالحرف الواحد : أنا برىء منك . ابحث عن عمل في مخبز آخر، ومنذ الليلة إياك أن تضع قدمك في هذا البيت .

انطونيو : ثم تطوع بعضهم ليقول لأبيك : ابنك قال عنك كذا وكذا وتطوع البعض الآخر ليقول لك أبوك قال عنك كيت وكيت . ولم يلتق أحدكم بالآخر منذ ذلك اليوم .

رافيلوتشو : نعم .

انطونيو : هل تعلمت في المدارس؟

رافيلوتشو : (في خجل) قليلا حتى الثالثة الابتدائية . . فبعدها رأى أبي أن المهنة أفضل وأخذني معه إلى المخبز . ولكنني أعرف القراءة والكتابة .

انطونيو : أما أنا فلم أر المدارس في حياتي (يضحك) صحيح انني أعرف قراءة الجرائد وخاصة ما يكتبونه بالحروف الكبيرة ولكن الكلمات المكتوبة بخط اليد لا أقدر على قراءتها وأجعل أحدهم يقرأها لي . المهم . . تقول إنك تعرف شيئا عن القراءة والكتابة؟

رافيلوتشو : أدبر حالي .

انطونيو : وأنا أيضا دبرت حالي . . إنني لا أطلب منك يا سانتانيللو أن تقص علي سبب الخلاف بينك وبين أبيك . . فالقصة «جرسان دائما وقد اعتدت أن أسمعها يدقان معا فالجرس الواحد يدق للموتى فقط وأنا حي أرزق» .

رافيلوتشو : (يرفع سبابة يده اليمنى) دون انطونيو . . هل تسمح لي؟

انطونيو : (يجيبه إلى طلبه) أفندم .

رافيلوتشو : إن كلمتك لها قدرها وأبي يجب أن يعرف منك ما وصلت إليه الأمور وما عزميت على القيام به ، وإذا لم يعطني ما يخصني من حق بصفتي ابنه . .

انطونيو : قلت لك إن الجرسين يجب أن يدقا معا . هل تحمل سلاحا؟

رافيلوتشو : (بعد وقفة قصيرة) نعم .

انطونيو : هل معك مسدس؟

رافيلوتشو : (كالسابق) نعم .

انطونيو : ضعه فوق المائدة .

رافيلوتشو : (يخرج المسدس ويضعه على المائدة) حاضر .

انطونيو : أهذا كل ما معك من سلاح؟

رافيلوتشو : نعم كله .

يدخل أميديو

أميديو : نفدت كل ما طلبته يا أبي (يرى رافيلوتشو) صباح الخير.

رافيلوتشو : صباح النور.

- انطونيو : والرجل؟
- أميديو : في الخارج . . هل أدعه يدخل؟
- انطونيو : انتظر (إلى اماكولاتا التي تدخل في هذه اللحظة) هناك رجل بالخارج (يشير إلى مكان وراء الفرندة) ادخله من هناك .
- اماكولاتا : حاضر. (تخرج بسرعة)
- انطونيو : هذه مسألة عاجلة يا سانتانييللو. اصحبه أنت يا أميديو.
- أميديو : تعال معي سنذهب إلى حجرتي .
- رافيلوتشو : (قلقا) هل سترسل في طلبي يا دون انطونيو؟
- انطونيو : نعم . . سأرسل في طلبك .
- يخرج الشابان . تعود اماكولاتا بصحبة أرتورو سانتانييللو.
- اماكولاتا : تفضل . . دون انطونيو هنا .
- أرتورو : (يدخل) شكراً .
- أرتورو يتسم مظهره بخشونة مقبولة . يعتز بأعوامه

الستين ، فقوة بنيابة الجسدي وصحته الممتازة لم يعطياه
سببا لإنزال اللعنات على مرور الزمن . نظرتة الثابتة تدل
على قلة الفطنة . يرتدي ملابس فاخرة ويضع في أصابعه
خواتم ذهبية .

انطونيو : دون أرتورو سانتانيللو؟

أرتورو : خادمك .

انطونيو : معاذ الله ، حضورك كرم منك وشرف لنا .

أرتورو : (يلقي نظرة أخرى إلى الخارج معجبا) أكل هذا ملك
لك؟

انطونيو : لا . . أملاكي لا تراها كلها من هنا . فهي تصل إلى حقل
الزيتون الذي يبعد أربعة كيلو مترات من هنا ، وتصل
إلى البحر من هنا ، وهي أيضا مسافة أربعة
كيلومترات .

أرتورو : متعك الله بها .

انطونيو : اشتريتها كلها منذ أربعين عاما بعد عودتي من أمريكا .

أرتورو : الأرض لم يكن لها سعر في تلك الأيام .

انطونيو : قروش قليلة . . ولكن شيئا فشيئا بدأت في بناء العمارات
والفيلات فارتفعت قيمتها .

أرتورو : إن المنطقة كالجنة . صحيح فأنت إذا لجأت إلى معماري
أو مهندس . . .

انطونيو : لا . . أعود بالله . . ألقأ إلى مهندس أو معماري لكي
يخرب بيتي؟ أنا أقوم بكل شيء بنفسى . فأنا عندي رئيس
بنائين عجوز من أهل زمان ، والعمال تحت الطلب فى أى
وقت تشاء ، واقتصد فى لوازم البناء . . الاسمنت والحجر
والطوب والحديد والأبواب والشبابيك . . أما الحسابات
فاتركها لابنتى .

أرتورو : ولكن ألا يجب أن تقدم مشروع البناء لجهات
الإسكان؟

انطونيو : هذه المنطقة بعيدة عن العين . ومن ناحية أخرى فالمشروع
ليس إلا قطعة من الورق .

أرتورو : لا تؤاخذنى ولكن ماذا تقصد؟

انطونيو : إن أكبر اختراع يا دون أرتورو لم يكن الراديو أو التليفزيون
أو الذرة أو الصاروخ اسبوتنيك . . إن أكبر اختراع كان
الورق .

أرتورو : (متسلية) لنسمع كيف . .

انطونيو : كم شيئاً يصنع من الورق؟

- أرتورو : (كالسابق) .. هيه .. كم شيئاً ..
- انطونيو : أنت ستقول الكمبيالات والعقود وورق الدمغة والكتب والجرائد ..
- أرتورو : وجوازات السفر والرخص والإعلانات .
- انطونيو : وأوراق النقد .
- أرتورو : آه فعلاً .. النقود .
- انطونيو : وهناك شيئاً آخر مصنوع من الورق أيضاً .
- أرتورو : وما هو؟
- انطونيو : في يوم من الأيام ظهر رجل لا أعرف اسمه ولكن لاشك أنه كان عبقرياً .. هذا الرجل جاء بقطعة مربعة من الورق، وثنى جوانبها الأربعة، ولصق ثلاث منها فقط، وترك الجانب الرابع مفتوحاً، وجاء على هذا الجانب ومر عليه مرتين بفرشاة مغموسة في نوع من الصمغ يجف في الحال ثم يعود للصق مرة أخرى إذا مر عليه لعاب اللسان .
- أرتورو : الظرف .
- انطونيو : هذه الورقة تصبح ظرفاً حين تضع بداخلها أوراق النقد

وتغلقها وكما ترى فهي الأخرى مصنوعة من الورق ، يا
دون أرتورو بدون الظرف يقف حال كل شيء . . . حتى
القنبلة الذرية . فلا داعي إذن للمهندس والمعماري .
هذا النوع من الناس يحفظ قانون البناء ظهرا عن قلب . .
وحين يجيئون لتكبير رجل أقدم على البناء ويجهل
أصوله ، فإنهم لا يتركونه إلا إذا ساقوه حتما إلى أحد
أمرين : إما الإفلاس وإما مستشفى المجانين . ولأن
الجهل شديد فإنهم يعيشون في ترف ورفاهية . وهم دائما
على حق أمام القانون لأن القانون لا يعترف بالجهل . وفي
رأبي أن هذا ليس عدلا لأن القانون لا يعترف بثلاثة
أرباع الشعب . ولكن إذا عدلت العبارة على سبيل المثال
لتصبح « القانون يعترف بالجهل » فإنني أضمن لك أن
أكثر من نصف هؤلاء السادة سيخفون شهاداتهم
وسيصبحون على الفور جهلاء .

أرتورو : (لا يبدو مقتنعا) فعلا . . لقد كنت أسمع عنك فقط
ولكنني تشرفت اليوم بمعرفتك وبالتحدث معك
شخصيا .

انطونيو : بل هذا شرف لي أنا .

أرتورو : أراك تمر كثيرا من شارع جاتشتو البينو وأعرف أنك
تسكن في حي سانتا .

- انطونيو : بالضبط .
- أرتورو : وقد رأيتك أيضا أيام الشباب .
- انطونيو : أين في أمريكا؟
- أرتورو : كلا في نابولي أثناء إعادة النظر في قضيتك منذ أربعين عاما .
- انطونيو : آه . . هل حضرت المحاكمة؟
- أرتورو : حضرتها . . أولا لأن جميع الناس في نابولي اهتمت بهذه القضية وثانيا لأنني كنت أحب في ذلك الوقت متابعة أخبار الجرائم .
- انطونيو : لقد طلبت أنا إعادة النظر في القضية . فحين وقع الحادث كان عمري ثمانية عشر عاما فاستطعت بمعاونة أحد المعارف وهو لا يزال حياً يرزق حتى الآن ويبلغ من العمر ثلاثة وثمانين عاما . . وهو وإن كان يعيش في أمريكا إلا أنني على اتصال دائم به وأراسله .
- أرتورو : ما اسمه؟
- انطونيو : أنت تطلب معرفة الكثير .
- أرتورو : معك حق .

انطونيو

: استطعت بمعاونته أن أهرب سرا إلى أمريكا فحكمت المحكمة علي بالسجن غيابيا وبقيت في أمريكا سبعة عشر عاما . وكسبت محبة هذا الرجل فساعدني على شق طريقي . ماذا كنت أعمل ؟ كنت أعمل معه (يدرك على الفور مغزى إيحاءة خبيثة صدرت عن أرتورو) لا . لاشيء يخل بالشرف . صحيح أنها مسألة قتل ولكن قتل من أجل الحق . ولقد عملت في الميناء ومسحت الأحذية واشتغلت بصنع البيتزة وقلي السمك وتعليق الإعلانات . فدبرت أموري بشتى الطرق وكانت الدولارات التي اقتصدتها مبلغا زهيدا في أمريكا ولكنها كانت ثروة كبيرة في إيطاليا بسعر تغير العملة في ذلك الوقت . فاشتريت العزبة وطلبت إعادة النظر في القضية . ووكلت دي فونزيكا في الدفاع عني . وانهالت الأدلة من كل جانب والشهود . . ثمانية شهود نفي . فبرأت المحكمة ساحتي واعتبرتني في حالة دفاع شرعي عن النفس .

أرتورو

: وهل كان الشهود حقيقيين؟

انطونيو

: لا .

أرتورو

: ودي فونزيكا؟

انطونيو

: لم يكن يعرف شيئا . . فإذا أردت أن تكسب القضية فإن أول من يجب إخفاء الحقيقة عنه هو المحامي فكما يقولون : المحامي كقسيس وأنا لا اعترف للقسيس .

وحقا إنهم كانوا شهود زور ولكن أنا لم أكن كذلك .
فأنا شاهد حقيقي وصاحب حق . ومازلت أعيش
بضلعين مكسورين كما أن نصف فكي الأسفل من
المعدن . لقد كسرهم جاكينو خفير عزبة مارفيتزو . .
ذلك النذل لقد مات واستراح . كان عمري ثمانية
عشر عاما وكنت أرعى الماعز . . ولعل لا تعرف أني
من أصل متواضع . . كنت أسوق الماعز إلى المرعى فإذا
بجميع الناس يرعون إلا أنا . فهل هو عدم
استلطاف . . هل هو العناد . . محال أن تعرف
السبب . كنت أقول له : جاكينو، لماذا لا تدعني أنا
بالذات أرعى معيزي ؟ فكان يرد علي وبندقيته جاهزة
ومصوبة نحوي : أنا خفير العزبة . . الآخرون سيرعون
أما أنت فأرني عرض أكتافك وإلا أطلقت عليك
النار . وذات صباح أكلت كثيرا من الخبز والجبن وبينما
القطيع يرعى غلبني النعاس وواضح أنه بحكم العادة
انحرف القطيع إلى عزبة مارفيتزو فصحوت على
عاصفة من الضرب . . لكلمات وصفعات وركلات
تنهال على كل قطعة من بدني . وسمعت صوت ذلك
النذل يقول : هذا سيذكرك بخفير عزبة مارفيتزو .
وأصبح وجهي هذا يا دون أرتورو مسخا من التراب
والدم . وفي حجرة الإسعاف لم أنطق بكلمة . قلت لهم
إنني وقعت في أخدود . كانت الأيام تمر علي دون أن
أنام أو أتناول الطعام ، وكانت المرحومة والدتي تسألني

في حسرة: ماذا دهاك ياتوني؟ ويستفسر أبي: أأست
بخير؟ وبدأت ترتفع درجة حرارتي. . ثمانية وثلاثون
وتسعة وثلاثون يادون أرتورو وأصبحت جلدا على
عظم. . وطلبوا لي طبيين أو ثلاثة ولكن لم يستطع
أحد أن يشخص مرضي. كنت أمشي في الشارع فأرى
جاكينو. وإذا ألقى علي أحد الأصدقاء التحية أحسبه
جاكينو. وفي الليل كنت أرى جاكينو إلى جوارى في
الفراش. أصبحت مكهربا. وبدأت أفكر. . إذا لم
يمت جاكينو فإني لن أعيش. إنني أموت. . وأنا
لا أريد أن أموت. . إذن فإما أنا وإما جاكينو. (يردد
العبارة بانفعال كما كان يفعل في ذلك الحين) إما أنا
وإما جاكينو. . إما أنا وإما جاكينو. . إما أنا وإما
جاكينو. وأخذت يا عزيزي دون أرتورو بمطواة غزال
وخطوة خطوة تسللت إلى عربة مارفيتزو. وهجمت
عليه فجأة وقلت: جاكينو! ولم أترك له الفرصة
ليصوب بندقيته. «هل فعلت بي هذا؟ فصاح من
فوره: لا، لست أنا. . لا تقتلني. فكررت عليه
القول: هل فعلت بي هذا؟ فقال: لا. . وأقسم لك
بأبنائي. . أمام الله. . أمام الله. ولو كان قد اعترف
وقال: نعم فعلت هذا لكنت غفرت له والآن مرت
على ذلك اليوم سبعة وخمسون عاما ولكنني ما زلت أريد
أن أكيل له المزيد من الطعنات.

أرتورو : لا تؤاخذني يا دون انطونيو، ولكن بعد أن يكسر لك ضلعين وثلاثة أسنان ويجعل وجهك مسخا من التراب والدم ألا تبلغ عنه؟

انطونيو : كان سينكر. فلم يكن هناك أحد وقت اعتدائه علي إلا أنا وهو والقطيع. كانوا سيطلبون منه أن يحلف اليمين، وكان سيحلف أمام الله بأنه لم يفعل. فالناس ينقسمون إلى نوعين: نوع أمين صادق ونوع من الأنذال أمثال جاكينو. والقانون لا يمكن أن يكون مطاطا ويميز بين النوعين. فالقانون الجنائي مثلا يضم ٢٦٦ صفحة و٧٣٤ بندا أتعرف ماذا يقول الأنذال أمثال جاكينو «إذا صدر القانون وجد التحايل عليه» وماذا في وسع القاضي أن يفعل؟ أمامه الأدلة وأمامه الأوراق والشهود، وحتى إن كان غير مقتنع كإنسان ببراءة المتهم أو إدانته فإن حكمه ينبغي أن يكون في النهاية كحاصل جمع عملية حسابية. إن القانون عادل ولكن الناس يأكلون بعضهم بعضا. . . ماذا أقول لك. . . الخبث يأكل الجهل وأنا أدافع عن الجهل.

أرتورو : (غير مقتنع فيقول بابتسامة باهتة في رياء) معلوم.

انطونيو : أخذنا الكلام وبعدنا عن صلب الموضوع وأخشى أن أضيع وقتك.

- أرتورو : معاذ الله . . لقد أوليتني شرف الإطلاع على أسرارك .
- انطونيو : لأن الكلام بيني وبينك فقط . . ولو كان هناك طرف ثالث لما فتحت فمي بكلمة .
- أرتورو : مفهوم . . مفهوم . .
- انطونيو : الموضوع يادون أرتورو أنني أتعبك بالحضور لأطلب منك أن تصنع لي معروفا وتشارك معي في إصدار حكم في مسألة لا ترضي أحدا ولا ترضيك أنت نفسك إذا تحركت فيك مشاعر الرجل الشريف الطاهر وأنت أهل لذلك . .
- أرتورو : أوامرك يادون انطونيو. اطلب ما تشاء وستجدني رهن إشارتك وفي خدمتك .
- انطونيو : هذا كرم منك . . الموضوع أنني أعرف أن العلاقة بينك وبين ابنك ليست على ما يرام .
- أرتورو : (في تظاهر مكشوف) وهل لي ابن؟
- انطونيو : دون أرتورو. إن مثل هذه التمثيليات لا تصلح معي .
- إنك رجل وردك يجب أن يكون رد رجل . إن لك ابنا واسمه رافيلوتشو .

أرتورو : كان لي . . كان لي ابن اسمه رافيلوتشو، ولو لم تذكره أمامي لما استطعت حتى أن أتذكره .

انطونيو : تريد أن تقول إن القطيعة بينكما — ولنسمها هكذا — وصلت إلى حد لا رجعة فيه؟

أرتورو : دون انطونيو . . لقد بدأت العمل كفران وعمري لا يتجاوز الثانية عشر، ولكن بالجهد والتضحيات وإجادة المهنة أيضا أصبحت أملك مخزين . ومازلت في سني هذه أعمل فأصبحو في الخامسة كل صباح . أما هو فكسول ومتشرد وقليل الحياء وجاحد . كيف؟ أقول له : لا تخرج الليلة . . ابق معي لكي لا أظل وحدي ولتفرج على التلفزيون أو لنلعب الورق . كلا يا سيدي . لا يبقى ويسوق سيلا من الأعذار «الليلة عندي موعدا» . . «لو أخبرتني في الصباح» . . ويفضل أصدقاءه علي .

انطونيو : إنه شاب ويبحث عن صحبة أقرانه من الشبان .

أرتورو : يجب أن نقدم طلبا إلى البلدية . . غدا آخر موعد ولا أوصيك يا رافيلوتشو . فيقول : اعتبر أنك قدمته . وبعد ثلاثة أيام تجد الطلب في جيبه . . إذن لا تأخذني . . . واسمع هذا أيضا . إنني معتاد أن أكل سمك البكلاه بالزيت يوم الجمعة فأقول له يوم

الخميس : هل وضعت السمك في الماء لتنقعه؟ فيقول
بالتأكيد . وأعود إلى البيت في الليل . . فهل نقعته
أنت؟ كذلك هو لم ينقعه . أتريد أن تعرف إلى أي
مدى وصل جحوده؟ عندنا في البيت صورة كبيرة
للمرحومة زوجتي ، جعلت حجمها في حجم صورتي
المعلقة في المخبز . وفي يوم الجمعة الأولى من كل شهر
أضع أمامها الورد والمصباح والشمع وفاء لذكراها ،
فأقول له : غدا يلزمنا الشمع يا رافيلوتشو فهل يأتي
به؟ كلا وكأنك تكلم الحجر . ولو لم أحضره بنفسه
لظلت صورة المرحومة والدته بلا إضاءة . فما معنى
هذا؟ معناه أنني إذا أسبلت عيني وودعت الدنيا
فستبقى صورتي وصورة أمه في الظلام . إنه خامل . .
كسول . أنا أعمل وأكد وهو طفيلي . فلا يمكن إذن
أن نتفق ثم إني قلت لك إنه جاحد .

انطونيو

: ولكن إذا حاولت أن تساعد . .

أرتورو

: آه . . هذا . . أفتح له حافظة نقودي . .

انطونيو

: إنه ابنك وليس بغريب . ومع هذا فأنا أفهم مشاعرك
فأنت تقول إنه لن يحبني إلا إذا فتحت له حافظة
نقودي .

أرتورو

: بالضبط .

انطونيو : وهل لا تعرف هذا؟ . . يادون أرتورو. إن الأبناء ننجبهم في البداية ونشترهم في النهاية .

أرتورو : وأنا لا أريد أن أبدد نقودي .

انطونيو : ولكنك تملك مخبزين . .

أرتورو : إذا كنت تتكلم عن مخبز روما فإنه لا يستطيع مجرد الإقتراب منه . إنه محل حديث لا يعمل فيه على البنك رجال . . كلهن بنات يرتدين ملابس سماوية ويضعن القبعات على رؤوسهن . وكان لهذا مفعول السحر في نابولي . ومن بينهن فتاة أجنبية . . سويسرية الجنسية . . تشرف على جميع أعمال المخبز وتقدم لي الحسابات . أما مخبز شارع جاتشتنو البينو فأعمل فيه أنا وحيث أتواجد أنا من الأفضل ألا يوجد هو . ثم إنني أرى ومع كل احترامي لدون انطونيو بركانو . أن أسرار بيتي يجب أن تظل في بيتي . وليست لدى أية نية في الإعلان عنها ونشرها وأحب أن أقول لك شيئاً . . هذا ليس خلافاً بين شخصين غريبيين بل خلاف بين أب وابنه . وإذا كان ابني قد جاء إليك طلباً للحمايتك فيجب أن تتذكر أنه لم يطلب الحماية ضد شخص غريب وإنما ضد أبيه . فهل ترى أنه شيء مشرف؟

انطونيو : لا، انتظر لحظة . . إن ابنك لم يأت من أجل هذا . .
فالسبب الذي دفعه إلى المجيء إلى هنا سبب آخر
لا أستطيع أن أطلعك عليه الآن .

أرتورو : إني أصدقك لأنك أهل للصدق ولكني أرجو أن تنفض
يدك من هذه المشكلة فهي مشكلة خاصة وليست
عامة . . مشكلة عائلية ولا تغضب مني يا دون
انطونيو .

انطونيو : كلا، على الإطلاق .

أرتورو : إن كل إنسان حر في بيته (حانقا فجأة) إن النقود نقودي
ورافيلوتشو يجب أن ينساها .

انطونيو : هذا حقك لا جدال . أنت حر (وقفة طويلة يحاول
انطونيو أن يجد خلالها موضوعا ثانويا يغير به دفة
الحديث . يجده أخيراً فيتظاهر بإبداء إعجابه بالسلسلة
الذهبية اللامعة التي يضعها أرتورو على صدريته) رائعة
حقاً هذه السلسلة .

أرتورو : اشتريتها منذ سنوات طويلة في المزاد العلني بينك
نابولي .

انطونيو : واشتريتها بهذه القلادة؟

أرتورو : كلا ، القلادة اشتريتها بعد وفاة زوجتي ووضعت فيها صورتها .

انطونيو : هذا ما نفعله دائما . . نشري ونشري . . أثاث ، أجهزة ، ملابس . .

أرتورو : ويمتلئ البيت بالأشياء .

انطونيو : المقتنيات . . أنا أيضا لدي هوس الاقتناء .

أرتورو : ثم يجيء وقت ويتوقف كل هذا وتنتهي الرغبة التي لا تقاوم في الشراء .

انطونيو : حقا أنا أيضا مررت بهذه التجربة فبعد إعادة النظر في القضية تزوجت وجاء الأولاد ، وفي هذه الأثناء كنت اشترى واشترى وكانت أرميدا تقول لي : كفى يا توني انه لا ينقصنا شيء . . الأملاك إذا أصبحت أكثر من اللازم تورث الهم . وذات يوم قال لي ابني جنارو وكان يومها في الثامنة من عمره : صحيح يا أبي أنه عندما تموت ستصبح كل هذه الأملاك لي؟

أرتورو : في الثامنة من عمره؟

انطونيو : آه . . الأبناء ينتظرون موت الآباء؟ وأبنائي جنارو وأميديو وجيرالدينا هل ينتظرون موتى حين يكبرون؟!

لا يا جنارو يا بني ليس عندما أموت بل الآن كلها
أملاكك من الآن واستدعيت موثق العقود وقسمت
أملاكي ثلاثة أقسام ودفعت الضرائب وكتبتها كلها
بأسمائهم وأنا على قيد الحياة والآن حين ينادونني بكلمة
أبي يعرف كل منا حقيقة معنى هذه الكلمة . هل تسمح
لي بالانصراف لحظة؟

أرتورو : تفضل . (يخرج ثم يعود بعد قليل ومعه رافيلوتشو الذي
لا يعلم شيئاً عن وجود أبيه فيتقدم عدة خطوات ثم يراه
فجأة فيقف في مكانه مباغتاً . أرتورو يتعرض هو الآخر
لنفس المباغته عند رؤيته . وقفة طويلة ثم يقول في حنق
لابنه وضعت نفسك تحت الحماية . .

انطونيو : لم يحضر هنا من أجل هذا .

رافيلوتشو : (محاولاً إخفاء بغضه وحقده على أبيه) حضرت لسبب
آخر.

أرتورو : إذن وما دخلي أنا؟

انطونيو : لك دخل . . أنت طرف في القضية ولست طرفاً فيها .

أرتورو : أنا لا أفهمك يا دون انطونيو . وكل ما أفهمه أن هذا

الحقير ما كان يجب أن يقلقك أو يقلقني معه . لقد
انقطعت صلته بي وترك المحل . . إنه راشد وأنا لست

مستولاً عنه . وأنت ضع في رأسه أنه من المحال أن تدخل
تلك الفاجرة بيتي .

رافيلوتشو : (مغتاظاً) ماذا قلت؟

أرتورو : (لينهي الموضوع) طاب يومك يادون انطونيو (يتقدم
للخروج) .

رافيلوتشو : آه . . . وتدخله تلك العاهرة السافلة التي أكلت عقلك
ثم تحولت لتأكل نقودك؟ تدخله السويسرية . .
عشيقتك السويسرية .

يدخل أميديو ووراءه ريتا

أميديو : ماذا حدث؟

رافيلوتشو : وأنا لا أجد عملاً . . فأني جهة أتقدم إليها يقولون لي لماذا
طرد أبوك؟ ويسدون الأبواب في وجهي . إنه يشكك في
جديتي وينم في حقي ليبرر طرده لي . أما عشيقته فيبعثر
عليها النقود . أي نقود تطلبها يعطيها لها .

أرتورو : أنا حر في بيتي أدخل فيه من أشاء . والنقود نقودي أنا ،
أتفهم هذا؟ وإياك أن تريني وجهك بعد الآن . إن شارع
جاتشتو البينو لا وجود له بالنسبة لك (في عنف)
لا أريد أن أرى وجهك .

رافيلوتشو : وأنا لا أطيق سماع صوتك . اللعنة (يلتقط كرسيًا ويهم
بإلقائه عليه ولكن أميديو يشل حركته في الوقت
المناسب .

ريتا : (تجري فزعة) رافيلوتشو . استحلفك بالله . . كفاني
خوفا .

أرتورو : (ساخرا) آه . . وهنا أيضا خطيئته وخلف المستقبل .

رافيلوتشو : (يحاول أن يطوله بكل قواه ولكن أميديو يشل حركته مرة
أخرى) والله لأريك . تدخل أرميدا .

أرميدا : ماذا يحدث يا توني؟

انطونيو : لا شيء . . لا شيء . .

أرتورو : يا لخيتك (إلى الآخرين) اسمعوا ما يقوله لأبيه . .
أتفهمون؟ إنك تثير القرف في نفسي . أنا ذاهب يا دون
انطونيو وآسف لأنني لم أستطع أن ألبى أوامرك . إنني رهن
إشارتك في أي شيء آخر فأنت أهل للتقدير والاحترام
أما ما يخص أسرتي فأنا أقول لك ليس هذا من شأنك .

انطونيو : لقد أخطأت في كل ما قلته . . ولا أعني بهذا عبارتك
الآخيرة . . إنك أخطأت في كل شيء منذ أن دخلت هذا
البيت وحتى الآن .

أرتورو : هذا رأيك

انطونيو : اسكت . . حين أتكلم أنا يجب أن تسكت . . وعلى أي حال حتى لو كنت قد أصبت القول لما تغير شيء فأنا أرى فيك عاهة تؤذي العين . . البغض . . أنت بغض .

أرميدا : (متوقعة ماهو أسوأ) يا إلهي (تبادل النظرات والإيماءات مع أميديو) أميديو يفهم مغزى هذه الحركات الصامتة فيخرج من الحجرة .

انطونيو : أيها الخباز، إن أحدا من قبلك لم يقل لي أبدا ليس هذا من شأنك .

أرتورو : لأنك لم تزج بنفسك قبل الآن في مسألة عائلية خاصة .

انطونيو : كلا . بل لأنني تباستطت معك وأبحث لك بأسراري فسهل عليك التطاول علي . . إن تباسطي معك أنساك اسمي ويحسن أن أذكرك به . . إن اسمي انطونيو بركانو .

أرتورو : (يبدو عليه نفاذ الصبر بوضوح) وما شأني بهذا؟ إنني رجل شريف وأعمل بأمانة واسمي أرتورو سانتانيللو .

انطونيو : (مكتئبا) هل معك سلاح؟

أرتورو : لا يادون انطونيو.

(جيرالدينا واماكولاتا تدخلان وتقفان لتشاهدا
المشهد)

جيرالدينا : أبي . .

انطونيو : يشير إلى المرأتين بالابتعاد .

أرتورو : ليس معي سلاح (اميديو يعود ومعه فايو ويتابعان
المشهد باهتمام وقلق) ودون انطونيو بركانو لا يحتاج لمن
يقول له كيف يتعامل مع رجل أعزل .

انطونيو : (يضع المسدس في هدوء على المائدة ويقرب في ببطء من
خصمه ويصوب في عينيه نظرة متوعدة، يقف على
مسافة خطوة منه، ويقول له بعد وقفة طويلة) إنك
تبعث على الغثيان .

أرتورو : (في خضوع زائف) مادام هذا رأي رجل له مقامك فإني
أقبله عن طيب خاطر.

انطونيو : أنت قدر.

أرتورو : (كالسابق) تمت الإحاطة وسيتم اتخاذ اللازم .

انطونيو : إنك زبالة .

أرتورو : أقبل يديك ، وأسألك الصفح إن كان وجودي في بيتك
قد كدر صفوك بعض الوقت . والآن سأصرف شاكرًا
لك كرم الضيافة والدرس الذي تعلمته منك . القضايا
يمكن التحكم فيها ولكن إلى حد ما والأدلة يمكن
إيجادها ولكن ليس دائما والشهود يمكن شراؤهم ولكن
ليس كل الشهود يبيعون أنفسهم وقليل من الصبر من
جانبى وبعض الحرص من جانبك تسير الأمور . طاب
صباحكم جميعا (يخرج)

انطونيو : إنه حقير . . رمة . . هذا ليس رجلاً بل رمة .

رافيلوتشو : يا إلهي إنني لا أطيق مجرد رؤيته .

انطونيو : إنه أبوك . وهذا هو مصدر قوته . . لقد فهم هو هذا أما
أنت فلا . إن حكم القانون فيما تفكر فيه هو السجن
المؤبد ، مفهوم؟

أرميدا : (في قلق شديد) ما الحكاية؟

فابيو : السجن المؤبد؟

أميديو : أبي؟

ريتا : (متضرعة) دعك منه يا رافيلوتشو ولنفكر في أنفسنا . .
ولماذا نحطم حياتنا بأيدينا؟

رافيلوتشو : دون انطونيو . . قف إلى جانبى . .

انطونيو : إنه أبوك .

رافيلوتشو : وماذا يهمني من هذا؟

انطونيو : إذا كان لا يهمك فأنت أيضا حقير مثله . اسمع يا ستانيللو، الأمر يحتاج إلى بعض التوضيح ، فأنت تفهم أصول اللعبة جيدا . . واسمع أنت يا دكتور وأنت يا أميديو (إلى السيدات) واسمعن أنتن أيضا إذا ساعدك انطونيو بركانو فإن أرتورو سانتانيللو سينتقل إلى العالم الآخر في غضون أربع وعشرين ساعة . أقول لك كيف؟ أنت تمر في شارع جاتشتو البيتو . . ولنفترض أن المحل هناك (يشير إلى مكان ما في الحجرة) فتقرب منه وتقف في الخارج . وحين تتأكد أن الفرصة قد سنحت تطلق خمس رصاصات . . أربع عليه وتخلص منه والخامسة على الباب الزجاجي للمحل من الأمام وتقول إن أباك كان يحمل مسدسا ، وأنه أطلقها عليك فور رؤيته لك ، ولكنك كنت أسرع منه ، فجردته من سلاحه ، وقمت بالباقي . . وفصل تعسفي ، وامتناع عن الإعالة ، واقتناء عشيقة ، ودفاع شرعي عن النفس مدعما بالأدلة والشهود . واستطيع أن أجعلك تخرج من القضية بالبراءة أو على أسوأ فرض بأقل حكم ممكن . .

رافيلوتشو : إذن يمكن أن . .

انطونيو : رحماك يا ربي كأني أكلمه بالألمانية . إنه أبوك ولا يمكن أن تفعل أنت هذا ولا في استطاعتي أنا أن أساعدك عليه (الجميع يتبادلون النظرات ليؤيدوا وجهة نظر انطونيو)
لا تدع تلك الفكرة تستبد بك فكثيرا ما تؤدي زلة لسان إلى توريط صاحبها تحسبا لما يقوله الأصدقاء إذا لم . .

فابيو : غير أن الأصدقاء يمكنهم أن يفهموا ويقدرُوا . .

اماكولاتا : طبعي ، فأنت شاب وأمامك العمر كله .

أرميدا : الله كريم يا بني وقريبا سيرزقك بآبن ومتى جاء الأبناء لا يتخلي الله عن العباد .

ريتا : إنه يجيد قيادة السيارات فلو استطاع أن يستخرج رخصة . .

أميديو : اللعنة سنجد لك نحن العمل . سنساعدك أنا وجنارو وأبي .

الجميع يحيطون به ليخففوا عنه ويحاولون إقناعه بالتخلي عن عزمه الجنوني .

انطونيو : فكر جيدا يا رافيلوتشو وتذكر ما قلت لك منذ نصف ساعة . إن الرجل رجل إذا أدرك أنه لابد من التراجع فيراجع .

رافيلوتشو

: (يفرج عن يأسه الصادق الذي نما في نفسه نتيجة

الشك الدفين في صحة ما عزم عليه) أنا لا أستطيع التراجع يادون انطونيو. . صدقني إنها ليست غلطتي. . فحين أفكر في هذا الرجل لا أستطيع أن أتصور أنه أبي. . انظر، انظر إلى يدي. . إن جسمي كله يرتعش. . إن هذه الفكرة تطاردني دائما و أبدا وتحرمني من النور (ينفعل ويعايش شيئا فشيئا لحظات من هذه الفكرة الملحة) أنا لا أكل، لا أشرب، لا أتكلم، ولا أستطيع إلا الانغماس في هذه الفكرة (كأنه يصدر أمرا لشخص أمامه) اذهبي أيتها الفكرة. . أفهمت؟ اذهبي ولكنها لا تذهب يادون انطونيو. وإذا كلمني صديق أسمع صوت أبي، وإذا أغمضت عيني أرى أبي، وإذا فتحتها أراه أيضا، وفي الليل أراه إلى جوارى في الفراش. انظر كيف أصبح حالي يادون انطونيو. لقد قل وزني أحد عشر كيلو في شهرين. لم أعد أستطيع الحياة. . لم أعد أستطيع الحياة. وحرارتي. . حرارتي دائما ثمانية وثلاثون وتسع وثلاثون. إنها تقضي علي وأنا لا أريد أن أموت. أنا شاب ولا أريد أن أموت. إما هو وإما أنا. . يستحيل أن نعيش معا في وقت واحد. (يتهالك على المقعد شاحبا مرتعدا ويدفن وجهه في راحتيه، وراحته على ركبتيه.

انطونيو

: (يكتئب لكلمات رافيلوتشو الساخنة التي جعلته يعايش الحالة التي انتابته حين استبدت به فكرة القضاء على جاكينو خفير عزبة مارفيتزو. لا يستطيع التخلص من هذا الشعور فيخرج الكلام من فمه لا إراديا) مسكين يا بني . . لديك حق فكيف تستطيع العيش في هذه الظروف . إن مثلك مثل إنسان يعاني من مرض خطير، وجرثومة هذا المرض منغمسة في تراب الأرض ، فتلتصق بحذاء الإنسان ، وتتسلل إلى القدم ، وإلى العظام ، وتصل إلى المخ ، وعندما تتربع فيه تبدأ في الكلام فتخبرك بالمكان المناسب والساعة الصحيحة والسلاح المطلوب ، ولا تتركك إلا إذا سلمتك إلى أيدي الشرطة . لا مفر . . إما هو وإما أنت ، أتريد مني أن أتدخل ؟ حاضر . . سأتدخل ، ولكن جاكينو كان جاكينو فقط أما أرتورو سانتانيلو فهو أبوك وبها أنه أبوك يجب أن يعرف مانويت عليه . يجب أن يعرف السبب الذي جعلني أشغل نفسي بهذه المسألة . اماكولاتا . . هاتي القبعة والعصاة .

اماكولاتا

: حاضر (تحضرها) .

انطونيو

: إن الإنسان إذا أراد أن يحصل على بضاعة ما ، فإنه يطلبها من صاحبها ثم ينتظر منه الرد . وصاحب البضاعة في

هذه الحالة هو أرتورو سانتانيللو وبناء على رده تتقدم
أنت بعرضك وقد يؤدي عرضك إلى التأثير على رده وفي
النهاية تتخذ أنت قرارك واتخذ أنا قرارى . أترى أن تقود
السيارة وتصحبني يا دكتور؟

فابيو : نعم ، أنا قادم معك .

يخرجان .

الفصل الثالث

غرفة الطعام الفسيحة في المسكن الشتوي لعائلة بركانو في حي سانيتا بنابولي . وكما هي العادة قامت السيدة أرميدا في بداية الصيف بتغطية جميع الأثاث والستائر بالملاءات البيضاء ونقلت اللوحات من على الجدران ، فأصبحت الغرفة مقلوبة بعضها فوق بعض . يستثنى من هذا مائدة الطعام في وسط الغرفة والتي أعدت لوليمة حافلة وجهزت لاستقبال ثمانية أشخاص . الوقت مساء ونور الثريا يغمر المكان . يشاهد دون انطونيو مسترخيا على مقعد وثير شاحب اللون تلوح عليه بجلاء آثار آلام جسدية يتحملها في جلد واستسلام . يجلس إلى جواره الدكتور فابيو أمام آلة كاتبة موضوعة على كرسي وينهمك في كتابة ما يمليه عليه انطونيو .

فابيو : (بعد أن كتب الأحرف الأخيرة من الجملة) ضع توقيعك هنا .

انطونيو : اقرأ أولا لأسمع ما كتبنا فقد نكون قد أغفلنا شيئا .

فابيو : إنني كتبت ما أمليته علي بالحرف الواحد . وليس لدينا الآن وقت نضيعه ، أما إذا كان لابد من القراءة (يسحب الورقة من الآلة الكاتبة) فاسمع وقل رأيك (جرس على الباب) هذا هو لويجي (يخرج مسرعا ويعود ومعه لويجي وفتشزيللا) عفارم . . عفارم عليك ، وعفارم عليك يا فتشزيللا .

لويجي : (يحمل لفافة فيها ثماني دجاجات مشوية وتورته كبيرة في

علبتها) أحضرنا كل ما طلبته يادون انطونيو. . ثمانية
دجاجات وسلطة وجبن والحلو جاتوه مخصوص .

فابيو : اذهبوا إلى المطبخ وضعوا الدجاج في أطباق السرفيس
الكبيرة .

فتشزا : (حاملة سلة بها خضروات وفاكهة وثلج) سأضع الثلج
في الفاكهة ثم أغسل السلطة وأعدها أما التوابل
فضعوها أنتم كما تحبون .

فابيو : حسن . . والآن اذهبوا وعجلي .

لويجي : الحلواني لم يصدق يا دكتور أن دون انطونيو هو الذي
طلب الجاتوه وقال : ماذا دهاك . . دون انطونيو الآن في
ترسينيو مع العائلة ، وأتعبني حتى أفهمته أنه قد عاد .

فابيو : لم يكن يصدق؟

لويجي : نعم . . فنحن الآن في أوائل سبتمبر ودون انطونيو يعود
من المصيف دائماً في منتصف أكتوبر .

فابيو : إننا سنقضي الليلة فقط في نابولي وفي الصباح سنعود إلى
ترسينيو .

لويجي : بالسلامة يا دون انطونيو . وعد سريعا فنحن لا نرى
شكل القرش إلا حين تعود لنا (يتجه نحو المطبخ) هيا
يا فتشنا .

فتشنا : عن إذنكم (تلحق بلويجي)

فابيو : كيف حالك الآن؟

انطونيو : أنا لا أشعر بأي ألم يا دكتور.

فابيو : مستحيل . . صحيح أن جسمك أقوى من العادة
ولكنك إنسان كباقي الناس من لحم ودم . إن النصل
انغمس في جسمك حوالي ستة سنتيمترات تقريبا . وأنا
هنا غير مستعد . . ليست لدي الأدوات اللازمة وليس
لدي صبغة يود . فماذا كان بوسعي أن أفعل؟ كل ما
فعلته هو ربط الجرح والتضييق عليه لا أكثر ولا أقل .
وأنت يا رجل يا طيب ألم يكن من الأفضل أن تخبرني
بالحقيقة من البداية بدلا من أن تقول أنك شعرت
بالتعب فجأة وأنت تريد الذهاب إلى البيت لتستريح .
لو قلت لي هذا لجريت بك إلى الإسعاف على الفور.

انطونيو : إذن كان علي أن أقدم بلاغا للشرطة . . وأن أكشف
المخبأ وأكيل الاتهامات ، وأذكر أسماء الأشخاص ، وأرفع
قضية جنایات؟ ولم كل هذا؟ لأن المصاب هذه المرة هو

شخصي أنا؟ كم من أحداث وأهوال أصلحتها وسويتها
دون اللجوء إلى السلطات؟

فابيو : كان من الممكن أن تتقدم ببلاغ ضد مجهول وتقول إن
شخصاً لا تعرفه قد اعتدى عليك ، وأنتك تستطيع
التعرف عليه إذا رأيته ، ولكنك للأسف لا تذكر
ملاحمه .

انطونيو : هذا عما يخص السلطات فماذا عن أبنائي؟ إنهم كانوا
يعرفون أنني ذاهب إلى دون أرتورو سانتانيللو ولقد كان
بوسعهم أن يتوصلوا إلى الحقيقة على الفور فيتصدى
جنارو وأميدو إلى سانتانيللو ويراق دم آخر
ويعقبه ثأر آخر . لا ، كفى . . كفى يا دكتور لقد عملنا
معاً خمسة وثلاثين عاماً لنللم جراح الجريمة بقدر
استطاعتنا لا لأن نزيد من نزيها .

فابيو : ولكنه لم يعطك الوقت لتكلم؟

انطونيو : بمجرد أن دخلت المحل . . . من يعرف ماذا دهاه؟ لعله
ظن أنني أبيت له سوء النية . . قلت له : دون أرتورو إن لي
عندك رجاء فقال : تفضل . لم يكن هناك أحد في المحل .
ولم أكد اقترب منه حتى عاجلني بطعنة . ولا أعرف كيف
تقع هذه الحوادث في لمح البصر؟ فالسكين إما أنه كان
يحتفظ به في يده وإما أنه تناوله من «البنك» . . .

لا أعرف بالضبط كل ما أذكره أنه حين طعنني هنا (يشير إلى الجانب الأيسر من بطنه) دخل في نفس اللحظة أحد الزبائن . أتعرف من هو؟ . . . أوه كوتزو . . . النجار الذي جاء إلي في الصباح . . . صاحب موضوع الكمبيالة . . .

فابيو : ذلك الذي أخذ يصيح : دون انطونيو راعينا . . دون انطونيو راعي نابولي كلها . نحن نحبك يا توني . أنا سمعته من حجرتي .

انطونيو : ثم دلف سانتا نيللو إلى مخزن المحل وولى أوه كوتزو الفرار.

فابيو : وأنت ألم يكن معك سلاح؟

انطونيو : كان معي المسدس . ولكني فكرت في أبنائي على الفور وقلت في نفسي إذا أطلقت عليه النار فستستمر سلسلة الجرائم وستتسع . ووضعت يدي على جرحي وذهبت إلى العربة التي كنت تنتظري فيها . أتعرف ماهو الخطر الآن؟ أنه أوه كوتزو . . إذا فتح فمه بكلمة فإن أبنائي سيدخلون السجن .

فابيو : أنا قمت بكل ما طلبته مني . . فعندما خرجت لدعوة الأصدقاء وإبلاغ التعليمات إلى سانتا نيللو ذهبت إلى محل أوه كوتزو فأكد لي أنه سيحضر.

انطونيو

: سافر أنت بعد غد (يلمح حركة يأتي بها فايو) لا . .
سافر. إن هذا العشاء نقيمه لوداعك ولنعبرك عن
أمانينا بإقامة طيبة في أمريكا . (وقفة قصيرة) حقيقة أنا
لا أشعر بألم . . (يضع يده على جبينه) فقط قليل من
العرق . . على أية حال لنواصل عملنا . المطلوب منا الآن
هو الهدوء التام لكي نحسب لكل شيء حسابه ولكي
نقوم بعد هذا ببعض الأشياء القليلة . أعطني جرعة ماء
من فضلك .

فايو

: رأيته؟ ستبدأ في الشرب؟ (يعطيه الماء) إن غشاءك
البريتوني ممزق والطحال مثقوب .

انطونيو

: أتقرأ لي الخطاب؟

فايو

: (يستعد لقراءة الورقة التي كتبها على الآلة الكاتبة)
«عزيزي بستيانو . . إن حامل هذا الخطاب هو الدكتور
فايو ديللا راجوني . ولقد بقي إلى جوارى سنوات طوال
اعتنى خلالها بصحتي وخدم قضيتنا بكل تضحية
وإخلاص وهو قادم إلى أمريكا للبقاء مع أخيه إذ أن
السن تقدمت به وحل به التعب وأصبح يبحث عن
الراحة والهدوء . . . قدمه إلى أصدقائنا واعمل على توفير
الاحترام اللائق به وعامله كما تعاملني . وإذا كنت تريد
أن تطلع على أحوالي الصحية فاطلب منه هذا ، فأنا أعاني

من بعض مشكلات القلب وأشعر أني سأنتقل إلى العالم الآخر في القريب ولا تحزن لهذا لأنني أنا نفسي لست حزينا . فسني الآن خمسة وسبعون عاما عرفت كيف أحيائها ، فعشتها على خير حال ولو قدر لي أن أعيشها مرة أخرى لما فعلت غير ما فعلت بها في ذلك حادث جاكينو . ولعل هذه هي المرة الأخيرة التي أكتب لك فيها وإنما أكتب لأقبل يدك اعترافا مني بالجميل لكل ما صنعت من أجلي منذ أن كان عمري ثمانية عشر عاما وحتى اليوم . حافظ على صحتك وابلغ تحياتي لجميع الأصدقاء . المخلص جدا . . . » حسن هكذا؟

انطونيو : اعطني القلم (فابيو يناوله القلم فيوقع على الخطاب)
انطونيو بركانو (يخلع خاتما من إصبعه ويقدمه إلى فابيو)
هذا لك .

فابيو : (مرتبكا) دون انطونيو . .

انطونيو : انظر إن كان مناسبا لإصبعك . .

فابيو : (يجرب الخاتم) نعم . . مناسب .

انطونيو : هذا الخاتم أهدها باستيانو عند عودتي إلى إيطاليا وقال لي : احتفظ به وعندما يحين الأجل وتغمض عينيك إلى الأبد دع أحد الأصدقاء يخلعه من إصبعك ، واطلب منه

أن يحضره لي إذا كنت على قيد الحياة أما إذا كان قد حان
أجلي فدعه يحتفظ به . إنه خاتم أبيه وقد تعرض في
حياته لقضية ظلم فيها ومات في السجن . إنها حكاية
طويلة . قدم له الخاتم وسترى أنه سيخلع قبعته وينحني
أمامك وإذا كان لا يضعها سيذهب ليضعها على رأسه
ثم يأتي ليخلعها وينحني أمامك . اعطني جرعة ماء
(فابيو يقدم له كوب الماء) موضوع الطحال يسبب
العطش (يشرب) لقد وقع الحادث منذ ساعة . . . فهل
لدينا ساعة أخرى؟

فابيو : نعم

انطونيو : لديك الوقت لتذهب غدا إلى ترسينيو . فلا تجعل
الكلبين - مونا شيللو ومالافيتا - يتألمان . تصرف أنت
لأن عائلتي لا تنظر إليهما نظرة طيبة . وزوجتي لاشك
أنها ستفطر فيهما . الناس ينقسمون إلى فريقين . .
فريق سليم الطوية ، وفريق خبيث السريرة مثلها مثل
انطونيو بركانو وأرتورو سانتا نيللو . . وأنت لن تعدم
وسيلة فيمكنك بحقتين . . . (يؤدي حركة تعني
قتلها) ربما يقع الكلبان في يدي شخص من نوع
أرتورو سانتانيللو . .

فابيو : كن مطمئنا .

انطونيو : (يشير إلى الملابس التي يرتديها) ، يجب أن أغير هذه
البدلة وهذا القميص والملابس الداخلية . . . لا أريد أن
يروني في الصباح بهذه الملابس . . . هنا في البيت ملابس
أخرى غيرها . . أما هذه فضعها في حقيبة وتصرف فيها
أنت «هل ستكتب شهادة الوفاة الآن»؟

فابيو : ليس ضروريا .

انطونيو : إذن نعدّها .

فابيو : سأكتبها في الوقت المناسب .

انطونيو : وما ستقول فيها؟

فابيو : كما تشاء .

انطونيو : سكتة قلبية .

فابيو : حسن . (جرس الباب يدق . تدخل فتشنزيللا وتمر في
الحجرة) هناك أحد بالباب .

فتشنزا : سأذهب لأرى من يكون (تخرج)

فابيو : المفروض أنه أوه كوتزو .

انطونيو : نرجو ذلك (يشرب بعضا من الماء) .

فابيو : لا بد أن تأتي .

فتشزنا : (تتقدم رافيلو تشو وريتا) تفضلا . . دون انطونيو هنا .

رافيلوتشو : مساء الخير يا دون انطونيو .

ريتا : مساء الخير .

انطونيو : ماذا هناك ؟

رافيلوتشو : كنت في حاجة ماسة لمقابلتك ولكني لم أعثر عليك .
ومن حسن الحظ أني قابلت أوه كوتزو فأخبرني أنك
ستقضي الليلة في نابولي وأكد كلامه بأنه مدعو على
العشاء عندكم .

انطونيو : وماذا تريد ؟

رافيلوتشو : إن حرمك دونا أرميدا قديسة صالحة . لقد قالت لي
الكثير وأفاضت في القول حتى أني شعرت في النهاية
بالتأثر وأحسست أني أمام أمي .

ريتا : قالت إن لدينا شقة خالية . . غرفتان ومطبخ . .
ستعطيها لنا .

رافيلوتشو : وقد رق قلبها لريتا فقالت : عندما تدبران النقود ادفعا
الإيجار .

ريتا : وابنك سيأخذ رافيلو تشو ليعمل معه في المحل .

رافيلوتشو : وأنا تذكرت كلماتك «الرجل رجل حين يدرك أنه لابد من التراجع فيراجع» وأنا أريد أن أكون رجلا يادون انطونيو ولذا جئت إليك لأبلغك أن تصرف النظر عن موضوع أبي.

ريتا : لقد هدته العذراء .

انطونيو : إن هذا شيء يسعدني خاصة وأن لقائي بأبيك جاء بنتائج طيبة .

رافيلوتشو : نتائج طيبة؟

ريتا : ماذا قال؟

انطونيو : وماذا كان في وسعه أن يقول ، كان لابد أن يتراجع . لقد قال لي : حسن . . حدد المبلغ الذي تراه مناسباً لابني ، فضربت رقماً عالياً . مليونان . . . فاستاء في أول الأمر لحبه للتوفير ولكنه رضخ في النهاية .

رافيلوتشو : ماذا تقول يا دون انطونيو .

انطونيو : ولم تكن معه نقود في تلك الساعة فقلت له : لا بأس سأدفع أنا الآن ورد لي النقود براحتك ، فبين الرجال تكفي كلمة الشرف . سأدفع لك المليونين وسأستردهما من أبيك فيما بعد . تكرم يا دكتور واعطني حافظة النقود

· من جيب الجاكتة . . . ذراعي هذه تؤلمني بشدة
ولا أستطيع تحريكها .

فابيو : سأحضرها أنا (يتناول الحافظة من جيب سترة انطونيو)

انطونيو : افتحها وتناول دفتر الشيكات .

فابيو : (يتناول الدفتر) هاهو .

انطونيو : املاً أنت البيانات وسأوقع عليه أنا . اكتب نابولي في
١٠ سبتمبر سنة ١٩٦٠ (فابيو يكتب على الشيك)
رفائيل سانتانيللو مليوناً ليرة .

فابيو : تمام . .

انطونيو : اعطني إياه (فابيو يناوله الشيك فيوقعه) خذ
يارافيلوتشو . . حلال عليك يابني .

رافيلوتشو : دون انطونيو . . إنني عاجز عن تقديم واجب الشكر (إلى
ريتا) قبلي يد دون انطونيو .

ريتا : الاثنتين . . (تقبل يدي انطونيو) .

انطونيو : شكراً يا صغیرتی الحلوة . . اهتما بنفسكما وانجبا كثيراً من
الأولاد، والآن تحسنان الصنع لو تنصرفا لأنني انتظر بعض
الزيارات .

رافيلوتشو : هيا بنا ياريتا . . دون انطونيو مشغول . تصبح على خير
يادكتور.

فابيو : تصبح على خير.

رافيلوتشو : ألف شكر . . ألف شكر (يخرج هو ووريتا).

انطونيو : أين الخطاب؟

فابيو : خطاب دون باستيانو؟

انطونيو : لا . . هذا يجب أن تحمله معك إلى أمريكا . الخطاب
الذي كتبه في الأول .

فابيو : احتفظ به معك عندما يحين الوقت سأطلبه منك
فتعطيني اياه .

(تدخل فتشيزا)

فتشيزا : لقد أعددنا كل شيء يادكتور إلا النبيذ فهل تريدونه
أبيض أم أحمر .

فابيو : الدجاج المشوي يحتاج إلى نبيذ أحمر (جرس الباب يدق)
افتحي الباب (فتشيزا تذهب) كيف حالك؟

انطونيو : لا بأس يادكتور . . وكل ما هناك أنني أتصيب عرقا .

فتشيزا : (تدخل ووراءها أوه كوتزو) تفضل .

(أوه كوتزو يدخل دون أن ينبس بكلمة، يقف على مسافة ثلاث خطوات من المدخل ويطرق برأسه).

فابيو : دون انطونيو كان يعتقد أنك لن تحضر ولكني كنت واثقا من حضورك .

أوه كوتزو : أيعقل هذا . . يطلبني دون انطونيو ولا أحضر؟

فابيو : خاصة وأن المناسبة خطيرة . فقد تكون هذه آخر مرة نرى فيها انطونيو بركانو .

أوه كوتزو : ماذا تقول يادكتور؟

فابيو : لا أحد يستطيع أن يفعل له شيئا .

أوه كوتزو : رحماك ياربي!

فابيو : سوف نفقد صديقا عظيما . وعلى أية حال هناك مسألة حساسة . منذ ساعة وقع الحادث وأنت الشاهد الوحيد . لم يكن أحد في المطبخ سواك . . أليس صحيحا يادون انطونيو .

انطونيو : لقد دخل في اللحظة الحاسمة .

فابيو : إن دون انطونيو قلق لهذا فهو يعرف جيدا من تكون وما تكنه له من حب وإخلاص .

- أوه كوتزو : أنا لا أفهم . . عن ماذا تتكلم؟
- فابيو : عن الحادث الذي وقع في مخبز شارع جاتشتو البينو.
- أوه كوتزو : أي حادث؟
- انطونيو : انتظر يادكتور. . ماذا تعني بقولك أي حادث؟ ألم تدخل مخبز شارع جاتشتو البينو منذ ساعة وأنا أتكلم مع سانتانيللو؟
- أوه كوتزو : كلا . . أنا كنت في البيت في هذا الوقت . لقد التبس عليك الأمر.
- انطونيو : (في مرارة) فهمت . . لم تكن أنت . . أنت لا تعرف شيئاً ولم تر شيئاً . ولكن هذا كل ما أريده ولم استدعك إلا من أجله . يمكننا أن نطمئن يادكتور فهذا الجبان لن يتكلم أبداً . أنت حين دخلت المخبز ونظرت في وجهي أدركت النهاية . . ولقد شرح لك الدكتور الموقف . فهدىء من روعك . فأنا أعرف أن الخباز قد هددك . معك حق أنت الآخر.
- فابيو : رأييت أنني على صواب؟ لا فائدة . . إننا ندور في حلقة مفرغة .
- انطونيو : لا . بل أنا الذي على صواب . فاليوم دون انطونيو

بركانو وغدا دون انطونيو غيره وبعد غد دون انطونيو آخر
وهكذا . . . وربما بهذا الشكل يجد أبناء أبناء أبنائي
وأبناء أبناء أبناء هذا الجبان ((يشير إلى أوه كوتزو)) ربما
يجدون أرضا تدور أيضا كهذه ولكنها أقل استدارة وأكثر
استقامة . ألا تتفق معي؟

فابيو : لا.

انطونيو : منذ فترة ونحن لا نتفق في الرأي . أريد أن أغير ملابسي ،
فهل تساعدني؟

فابيو : بكل تأكيد .

انطونيو : ولكن علينا أن نعتجل فالأصدقاء أصبحوا على وشك
الحضور . (إلى أوه كوتزو) سنحتفل بسفر الدكتور إلى
أمريكا . . هذه هي الحجة التي اصطنعناها لدعوتهم ،
أما الحقيقة فشيء آخر ولا مانع من اطلاعك عليها
فمثلك لن يتكلم . . حضور الأصدقاء إلى هنا سيجعل
منهم غدا شهودا على موتي . فإذا تساءل الناس عن
سببه وقالوا ماذا حدث؟ ماذا أصاب دون انطونيو؟ فإنهم
سيقولون لا شيء . . . لقد كان عجوزا يبلغ من العمر
خمسة وسبعين عاما . . وأصابته سكتة قلبية . فابق أنت
الآخر فبقاؤك هنا يجعل منك شاهدا . أعني شاهد زور
(يخرج مستندا على فابيو) .

(يدق جرس الباب بعد برهة، تدخل فتشنا وتمر من
الحجرة)

فتشنا : تركوك وحدك؟

أوه كوتزو لا يرد . فتشنا تعود بعد قليل وتتجه إلى
المطبخ . يدخل أرتورو صاحب الوجه مكفهر ومذهولا .
يحيط به شخصان غريان هما بيبي تشوتشو وزباكيللو .
الاثنان لا يتكلمان ويتسلمان في غموض .

أرتورو : (ضارعا) ألا تقولان لي ماهو الموضوع؟ . . ماذا تريدان
مني؟ . . أين جئتما بي؟ . . ومن سأقابل؟

بيبي : إننا أصدقاء . . لا تقلق .

أرتورو : أين نحن . . وبیت من هذا؟

زباكيللو : إنه بيت . . ألا تراه؟

بيبي : هذه المائدة معدة للطعام، والعشاء جاهز وهناك
مدعوون سيحضرون الآن فهدىء من روعك .

أرتورو : (منفعلا) . . إني رجل ولست طفلا تأخذونه وتذهبون به
حيث تشاؤون . (يزداد انفعاله) ألا توجد عدالة في هذا
البلد؟ أحقا تعتقدون أن مواطننا حرا يمكن أن يخضع
لتعدي أناس متجبرين . . أناس خارجين على القانون

يضعونه في ظروف صعبة كهذه . أنا رجل يعمل
وينتج . . رجل شريف . . دعوني أذهب . . لقد
أصابني الحمى ، انظروا . . (يمد يده) أنا محموم . لقد
كنت دائما في حالي . . من البيت إلى المحل ومن المحل إلى
البيت ولم أطلب أبدا شيئا من أحد . وفي كل يوم جمعة
أذهب لزيارة المرحومة زوجتي تلك القديسة التي لو
كانت على وجه الدنيا لتغير كل شيء . إنني أعيش
وحدي دون كلمة طيبة تعزيني مع ابن مجرم وضعني في
هذه الظروف . إنه سعيد الآن . . فقد أدخل أباه
السجن . . لقد خرب بيتي (إلى الاثنين متوسلا) أنتم
رجلان ولكما قلب وعقل . . ساعداني (يركع على
أقدامهما) أقبل يديكما . . أقبل قدميكما . . إن معي
تذكرة السفر إلى سويسرا . . (يخرج دفتر الشيكات من
جيبه) حددا أنتما المبلغ . . كم تريدان؟ (لا أحد يرد
عليه) أجيباني أجيباني . . ألا تريدان مجرد الرد علي؟

فابيو : (يدخل) ماذا هناك؟ آه . . أنت دون أرتورو
ساتتانييلو . . عظيم . . أراك في موقف تحسد عليه!

أرتورو : لقد كنت رجلا شريفا وفي حالي . . .

فابيو : هذه هي البلوى . . لقد أغمضت عينيك وصممت
أذنيك وعشت كأنك وحدك في الدنيا . . ثم يدهشون

بعد هذا إذا أطبقت عليهم الدنيا وأمسكت بخناقهم
ورمتهم أمام واقع المجتمع . وحين تقع المصائب يقول :
أنا كنت في حالي . . حسن . إنك الآن هنا لهذا . . لأمر
يخص «حالك» أمر بدأته بعينين مغمضتين ويجب أن
تنتهي بعينين مفتوحتين (الجرس يدق فينادي) فتشنزا . .

تدخل فتشنزا

- فتشنزا : نعم .
- فابيو : الباب . (يهم بالخروج) عن إذنكم . (تخرج فتشنزا وتعود
ووراءها بالوميللو وأوه نايت وجوه نازوني وزوجته) تعالوا
تفضلوا . . .
- أوه نازوني : شكرا (يرى أوه كوتزو فيقول) أنت أيضا هنا؟ (أوه كوتزو
لا يرد عليه فيقول موبخا) ما أحسن أدبك؟
- زوجته : أنت المغفل لأنك وقرته؟
- أوه نايت : لديك حق فهو لا يستأهل .
- أوه نايت : ستصل الليلة باخرة إنجليزية وسأخسر صفقة كبيرة،
ولكن أيعقل أن أرفض طلبا لدون انطونيو؟
- أوه نازوني : تستطيع الاستغناء عن ليلة .

(يدخل فابيو)

فابيو

: يمكننا الجلوس الآن (ينادي) الطعام يافتشنا (الجميع
يجلسون على المائدة على حين يظل أرتورو في مكانه)
تفضل أنت هنا إلى جوار يادون أرتورو (يشير إلى المقعد
المجاور لمقعد دون انطونيو).

بيبي وزيبا كيللو يصحبان أرتورو إلى المقعد الذي حدده
فابيو ويجلسانه عليه.

لويجي

: هاهو الدجاج.

فتشنا

: والسلطة.

فابيو

: اجلسا أنتما أيضا. لدي أوامر بأن تشاركا معنا في
الطعام.

لويجي وفتشنا يجلسان

لويجي

: بالهناء والشفاء جميعا.

فابيو

: عن إذنكم (يخرج بخطوات نشطة ويعود بعد قليل
متأبطا ذراع انطونيو)

ظهور انطونيو العجوز يشير صمتا يكتنفه القلق
والتساؤل. فقد اختفى من عيني الرجل بريق نظراته

وصرامتها واعتلى وجهه شحوب شديد واهتزت
خطواته .

فايو يفلح في السير به وفي إجلاسه على مقعده . تصفيق
بلا حماس يعقب جلسته . (أرتورو وأوه كوتزو يطأطآن
رأسيهما) .

انطونيو : لا تؤاخذوني . . فأنا أشعر بالتوعك وهذا شأن الطبيعة
البشرية ، فالعدو يكمن لنا باستمرار ويسدد لنا طعناته
ونحن في أحسن حال . على كل هذه مسألة بسيطة . إننا
نحتفل الليلة بالدكتور فايو لأنه عزم على الرحيل .
وبهذه المناسبة فاننا نتقدم له بالشكر والعرفان (تصفيق
من الجميع) وكان من الممكن أن يظل معنا ويستمر في
آداء واجبه لولا أنني قلت له : كفى يادكتور . . حان الوقت
لكي نعتزل ، فأنا كبير السن متعب ولا أخلو من المرض
ولذا فقد قررت أن اكتفي بحياتي الخاصة . ومن اليوم
فصاعدا أصبح حي سانتيا ليس من اختصاصي .

بيبي : دون انطونيو . . أتركنا هكذا في غمضة عين؟

انطونيو : لا أستطيع أن استمر إلى الأبد . . إن الجهل كثير . هناك
بحر من الناس في حاجة لمن يدهم على الطريق الصحيح
ويقدم لهم الحماية اللازمة فماذا يفعل رجل وحده . إن
للإنسان طاقة محدودة . يجب على البشر . على بحر

الناس . . أن يفهموا أن الحيوانات وحدها هي التي
مازالت تدب على الأرض بوبرها وشعرها أما نحن فقد
ارتدينا البدلة والحذاء والقميص والكرافطة ولا أقول إن
ما صنعتها في خمسة وثلاثين عاما كان عديم الفائدة .
كلا . . فقد ساعد على محاصرة سلسلة من الجرائم كان
من الممكن أن تضاف لها حلقات وحلقات . . وانني
لأرجو ألا تكون هناك حاجة في المستقبل إلى مثل انطونيو
بركانو.

أوه نايت : إذن تريد حقا أن تتركنا؟

انطونيو : لكل شيء نهاية . وكل نهاية تختتم بحفل وصحبة طيبة .
ودون أرتورو الذي لاشك أنكم تعرفونه قد شرفنا بحضوره
(الجميع يؤيدون) لقد سعدت برؤيته لأنه أتاح لي
الفرصة لأعرف أن الخلاف الذي بينه وبين ابنه رافيلوتشو
قد زال . وكان دون أرتورو قد غضب من ابنه لمشكلة
نشأت بينهما ولكن من حسن الطالع حالفني التوفيق
وسويت المسألة . لقد نفذت رغبتك يادون أرتورو . .
وأعطيت لابنك مليوني ليرة كما طلبت وأنا أشكرك على
الرسالة التي كتبتها لي . الرسالة يادكتور . .

فابيو : حالا (يخرج الرسالة من جيبه ويقدمها له)

انطونيو : اقرأها أنت يادكتور فأنا لا أرى جيدا كما وأني مرهق .

فابيو : (يقرأ) عزيزي دون انطونيو. . أقر بأني استلمت منك مبلغ ٢,٠٠٠,٠٠٠ ليرة هي قيمة المبلغ الذي دفعته لابني رافيلوتشو. وإني لأشكر لك هذا الصنيع نظرا لأنه لم تكن لدي نقود في البيت في ذلك الوقت. وغني عن القول إنني سأرد لك المبلغ المذكور في أول فرصة تطلبه فيها. . أكرر شكري وتقديري. . المخلص. .

انطونيو : (تلتمع عيناه لحظة فيصوبها في قوة نحو سانتانيللو) لقد نسيت أن توقع عليها. . فهل تريد التوقيع؟

أرتورو : (بصوت خفيض) نعم.

فابيو يقدم له الرسالة فيوقع عليها.

انطونيو : هل معك دفتر الشيكات؟

أرتورو : هاهو. .

انطونيو : اكتبه باسم السيدة أرميدا بركانو. (أرتورو يكتب الشيك ويقطعه من الدفتر ثم يقدمه لانطونيو)سلمه لزوجتي يادكتور.

فابيو : حاضر. (يضع الشيك في جيبه)

انطونيو : تفضلوا. . كلوا واشربوا. . (يشني على نفسه في بطاء ويضغط ذراعه الأيسر على بطنه فتزوغ عيناه وتميل رأسه).

- الجميع : دون انطونيو.
- أوه كوتزو : هددوني يادون انطونيو.
- انطونيو : أعرف هذا (يستأنف السير).
- أوه كوتزو : (في إلحاح) أتركني هكذا يادون انطونيو؟
- فابيو : اتركه ، ماذا تريد منه؟
- أوه كوتزو : هات يدك أقبلها.
- انطونيو : هات يدك أقبلها.
- انطونيو : (بعد وقفة قصيرة يبتسم ساخرا ويتهاusk ليقول) كلا . .
يدي لا . . (يخرج أخيرا مستندا إلى فابيو).
- أوه نازوني : أنا لست مقتنعا أبدا بحالة دون انطونيو.
- زوجته : لقد ذبل وجهه مرة واحدة.
- أوه نايت : لا تنسوا أن سنه كبير.
- لويجي : دون انطونيو قوي الجسم.
- بالوميللو : (إلى أوه نايت) اعطني هذه الزجاجاة.
- أوه نايت : (يقدمها له) الدجاج لذيذ.

أوه نازوني : أنا استطيع أن أكل دجاجة بأكملها وكأني لم أكل شيئاً .

فتشنزا : السلاطة ياأبي .

(يبدؤون في تناول الطعام ويتبادلون الحديث في مرح .
فابيو يعود مطأطأ الرأس ، ويتجه إلى المائدة نحو مقعد
دون انطونيو . يقف وينظر إلى الجالسين في ازدراء ،
ويقوم بتحليلهم الواحد تلو الآخر كأنه يراهم جميعاً للمرة
الأولى . بعد وقفة طويلة يعم خلالها الصمت التام
المشوب بقلق الانتظار يعلن بصوت خفيض) .

فابيو : دون انطونيو مات !

الجميع يتبادلون النظرات في إحباط وحسرة .

أوه نازوني : مسكين يادون انطونيو .

زوجته : أمات بالقلب ؟

فابيو : بالضبط مات بالقلب . فقد كان له قلب كبير به باب
صغير كلما أتى أحد ليدق عليه انفتح بلا تأخير .

أوه نايت : إن أمثال انطونيو بركانو من الرجال لن يراهم أحد بعد
الآن .

فابيو : لقد بقيت إلى جواره خمسة وثلاثين عاماً أحبته خلالها
وعرفت قدره . ولا أحد يتصور مقدار الألم الذي أشعر

به في هذه اللحظة . والآن جاء دوركم أنتم في الكلام .
(أرتورو لا ينس بكلمة) دون أرتورو . . تكلم (إلى أوه
كوتزو) إذن تكلم أنت . (أوه كوتزو يطأطىء رأسه ولا
يفتح فمه) ألم تصح وتقول دون انطونيو راعينا . دون
انطونيو راعي نابولي كلها؟ (يقرب منه ويطبق على رقبته)
فلماذا لا تتكلم الآن؟

أوه كوتزو : وماذا أقول؟ أنا لا أعرف شيئا .

فابيو : ألا تعرف شيئا؟ وأنت يادون أرتورو . . ألا تعرف شيئا
أيضا؟ الظاهر أنكم اعتدتم أن ترسلوا ضمائركم
دائما إلى المغسلة . . ولستم وحدكم في هذا بل الجميع
وبلا استثناء من الكبير إلى أصغر صغير . فهل لي بعد
هذا أن أنفذ وصية دون انطونيو؟ من أجل إنقاذ من؟
نذلين يخافان قول الحقيقة؟ . . حقيرين يفضلان الكذب
والنفاق والتهديد والابتزاز . شيء مريح للجميع أن
يموت انطونيو بركانو بالسكتة القلبية بعد أن أمضى
حياته كلها يحاصر الجرائم والجنايات . لقد كان الأجدر
به أن يعيشها لنفسه كما سأعيش أنا ما بقي لي من أيام .
لن أرحل . . سأبقى هنا . (يتجه إلى التليفون ويطلب
رقما يرد عليه) هالو . . اطلب من فضلك عزبة بركانو في
ترسينيو . الرقم ٣١٤٠٢١ شكرا (يضع الساعة على
التليفون ويخرج الشيك من جيبه ويسلمه لسانتانيلا)

خذ هذا واعطه لأرملته إذا أردت أن تقوم بواجبك
(يلتفت إلى أوه كوتزو) وأنت ستتكلم إذا شئت (إلى
الجميع) وأنتم ستحكون مارأيتم الليلة وماستمع إذا
أردتم . أما أنا فساكتب شهادة الوفاة كما يملها علي
ضميري . وسيهب أبناء دون انطونيو ويهب أقارب دون
أرتورو والرفاق ورفاق الرفاق والأصدقاء والحماة . .
مذبحة . . حرب . . دمار . . ولكن هذا أفضل ، فربما
خرجت من هذا الخراب دنيا كالتى كان يحلم بها دون
انطونيو . . دنيا أقل استدارة وأكثر استقامة وسأبدأ أنا . .
ساكتب شهادة الوفاة الحقيقية وأوقع عليها باسمي
ولقبي . . فابيو ديلا راجوني . . وافعلوا ما تشاءون .
اقتلوني . اذبحوني ، ولكن لن أحرم نفسي من السعادة
وأنا أذيلها بعبارة تحت مسئوليتي .

(يجلس أمام الآلة الكاتبة ويشعر في كتابة شهادة
الوفاة) .

النهاية

صدر من هذه السلسلة

- | | |
|------------------------------------|--------------------------------------|
| ١- سمك عسير الهضم | تأليف : مانويل جاليتش |
| ٢- القبرة (جان دارك) | تأليف : جان انوي |
| ٣- البرج | تأليف : هال انوي |
| ٤- عاصفة الرعد | تأليف : تساويو |
| ٥- الخادم الأخرس - | تأليف : هارولد بنتر |
| التشكيلة أو عرض الأزياء | |
| ٦- الشيطانة البيضاء | تأليف : جون ويست |
| ٧- الاسكندر المقدوني أو قصة مغامرة | تأليف : تيرانس راتيجان |
| ٨- سباق الملوك | تأليف : تيرانس راتيجان |
| ٩- استعدوا لركوب الطائرة وغيرها | تأليف : جون مورتيمر |
| ١٠- النيازك | تأليف : فريدريش دورينها |
| ١١- دراما اللامعقول | تأليف : يونسكو - داموف - أرابال البي |
| ١٢- مس جوليا - الأب | تأليف : أوجست سترندبرج |
| ١٣- عطيل يعود | تأليف : نيقوس كازندزاكي |
| ١٤- أنشودة أنجولا | تأليف : بيتر فايس |
| ١٥- تواضعت فظفرت | تأليف : أوليفر جولد سميث |
| ١٦- مدرسة الزوجات - | تأليف : مولير |
| نقد مدرسة الزوجات - ارتجالية فرساي | |
| ١٧- عسكر ولصوص أونيد كيللي | تأليف : دوجلاس سيتوارت |
| ١٨- العين بالعين | تأليف : وليم شكسبير |
| ١٩- الطريق إلى دمشق - ثلاثية | تأليف : أوجست سترندبرج |
| ٢٠- ١٤ يوليو | تأليف : رومان رولان |
| ٢١- شجرة التوت | تأليف : انجس ويلسون |
| ٢٢- روس أولرانس العرب | تأليف : تيرانس راتيجان |
| ٢٣- حلاق أشبيلية | تأليف : كارون دي بومارشيه |
| ٢٤- هاملت | تأليف : وليم شكسبير |
| ٢٥- الحياة الشخصية | تأليف : نويل كوارد |
| ٢٦- نساء تراخي | تأليف : سوفوكل |
| ٢٧- رجل الله - القلوب النهمة | تأليف : جبريل مارسل |
| ٢٨- ليلة ساهرة من ليالي الربيع | تأليف : انريكي خارديل بونثلا |

- ٢٩ - الأقوى - الرباط - تأليف: أوجست سترندبرج
- الجرائم - موسيقى الشبح
- ٣٠ - اصطيات الشمس
- ٣١ - حكاية فاسكو - السيد نويل
- ٣٢ - انتصار حورس
- ٣٣ - بيوت الأرامل - العاثر
- ٣٤ - ثلاث مسرحيات طليعية - قراقة السيارات - فاندو وليز - الشجرة المقدسة
- ٣٥ - أوديب الملك - أوديب في كولون - تأليف: سوفوكل
- الليكترا
- ٣٦ - الليكترا - لن تقع حرب طروادة
- ٣٧ - المغنية الصلحاء - الدرس - جاك أو الامثال - المستقبل في البيض - الكراسي
- ٣٨ - مسرحيات إذاعية
- ٣٩ - روما لم تعد في روما - تأليف: كويل تشيرشل - شارب مانج
- المحارب المضىء أو (مصباح النعش)
- ٤٠ - شيطان الغابة - الخال فانيا
- ٤١ - مهاجر بريسبان - البنفسج
- ٤٢ - ديانا والمثال - الحياة عطاء - لذة الأمانة
- ٤٣ - ستيفن «د» - منفيون
- ٤٤ - الغرماء - الأميرة البيضاء - عيد الفصح
- ٤٥ - أنتيجونه - أجاكس - فيلوكتيت
- ٤٦ - سدوم وعمورة - مجنونة شايو
- ٤٧ - ضحايا الواجب - مرتجلة الما - سفاح بلا كراء
- ٤٨ - طريق القمة - العالم المكسور
- ٤٩ - الحلم الأمريكي - الطابعان على الآلة
- ٥٠ - الأرض كروية
- ٥١ - السلاح والإنسان - كانديدا - رجل المقادير
- ٥٢ - الحارس
- تأليف: هارولد بنتر

- ٥٣ - ابن أمية أو ثورة المورسكيين
 ٥٤ - مأساة كريولانس
 ٥٥ - القصة المزدوجة للدكتور بالمى
 ٥٦ - الكترا - أورستيس
 ٥٧ - هرثاني
 ٥٨ - المستنيرون
 ٥٩ - سجاناريل - المتحذلقات المضحكات -
 مدرسة الأزواج - الطبيب الطائر -
 غيرة الباربويه
 ٦٠ - الطريق إلى روما
 ٦١ - المهرجون - قصة فلادلفيا
 ٦٢ - قصة حياة
 ٦٣ - أوبرا الصعلوك
 ٦٤ - الابن الطبيعي
 ٦٥ - رقصة الموت - الطريق الكبير
 ٦٦ - أيام العمر - سكان الكهف
 ٦٧ - العارض - بيرينيس المصرية
 ٦٨ - المعصرة - أداء الأدوار - أبوزهرة بقمه
 ٦٩ - حالة طوارئ
 ٧٠ - حياة جاليليو - طبول في الليل
 ٧١ - غرفة المعيشة
 ٧٢ - المستأجر الجديد - اللوحة - الخريت
 ٧٣ - السفر - سهرة الأمثال
 ٧٤ - نجونا بأعجوبة
 ٧٥ - تلميذ الشيطان - هداية القبطان براسبانود
 ٧٦ - الملك لير
 ٧٧ - الطريق
 ٧٨ - عزيزي مارات المسكين
 ٧٩ - زفاف زبيدة
 ٨٠ - مياه بابل - رقصة العريف
 ٨١ - روبسبير
 ٨٢ - أوديب
 ٨٣ - ظمأ - عبودية - ضباب -
 مبحرون شرقاً إلى كارديف -
 في المنطقة - بدر على البحر الكاريبي
- تأليف: مارتينيس دي لاروزا
 تأليف: وليم شكسبير
 تأليف: أنطونيو بوينو بايخو
 تأليف: يوربيديس
 تأليف: فيكتور هيجو
 تأليف: ليو تولستوي
 تأليف: مولير
 تأليف: روبرت شيروود
 تأليف: فيليب باري
 تأليف: ماكس فريش
 تأليف: جون جي
 تأليف: دنيس ديدرو
 تأليف: أوجست سترندبرج
 تأليف: وليم ساروبان
 تأليف: أندريه شديد
 تأليف: لويجي بيرندلو
 تأليف: ألبير كامى
 تأليف: برتولت برشت
 تأليف: جراهام جرين
 تأليف: يوجين يونسكو
 تأليف: جورج شحادة
 تأليف: ثورنتون وايلدو
 تأليف: جورج برنارد شو
 تأليف: وليم شكسبير
 تأليف: وول شوينكا
 تأليف: إلكسي أربورف
 تأليف: هوجوفون هومانزثال
 تأليف: جون آردن
 تأليف: رومان رولان
 تأليف: سنكا
 تأليف: يوجين اونيل

- ٨٤ - فرسان المائدة المستديرة - الآباء الأشقياء
 ٨٥ - تعلم الفرنسية بلا دموع - الممر المضيء
 ٨٦ - العرس الدموي
 ٨٧ - الحياة حلم
 ٨٨ - يوليوس قيصر
 ٨٩ - الفينيقيات - المستجيرات
 ٩٠ - لكل عالم هفوة
 ٩١ - ظل الوادي - الراكبون إلى البحر -
 زفاف السمكري - بشر القديسين
 ٩٢ - فتى الغرب المدلل - ديدرا فتاة الأحزان -
 عندما غاب القمر
 ٩٣ - كلهم أبنائي - الثمن
 ٩٤ - أوبرا القروش الثلاثة -
 لوكولوس - بعل
 ٩٥ - تيمون الأثيني
 ٩٦ - خادم سيدين
 ٩٧ - رحلة السيد بريشون
 ٩٨ - فتاة في سن الزواج - مشاجرة رباعية -
 تخريف ثنائي - الثغرة - لعبة الموت
 ٩٩ - ست شخصيات تبحث عن مؤلف -
 كل شيخ له طريقة - الليلة نرتجل
 ١٠٠ - انتحار الحبيبين في سونيزاكي -
 معارك كوكسينجا
 ١٠١ - وراء الأفق - أنا كريستي
 ١٠٢ - الحرية المغلوبة - صعود البطل
 ١٠٣ - مأساة عطيل
 ١٠٤ - الطلبة المشاغبون -
 قبل يوم الاثنين الموعود -
 الليلة يوم الجمعة
 ١٠٥ - حرم سعادة الوزير - الدكتور
 ١٠٦ - القمر في النهر الأصفر
 ١٠٧ - بينما تسطع الشمس - المهرجون
 ١٠٨ - الحصان المغمى عليه - الشوكة
 ١٠٩ - الصنوبرة المجتثة -
 انتحار الحبيبين في اميجيا
- تأليف : جان كوكتو
 تأليف : تيرانس راتيجان
 تأليف : فديريكو غرسيا لوركا
 كالدرون دي لباركا
 تأليف : وليم شكسبير
 تأليف : يوربيديس
 تأليف : الكسندر استروفسكي
 تأليف : جون ميلنجتون سنج
 تأليف : جون ميلنجتون سنج
 تأليف : آرثر ميللر
 تأليف : برتولت برشت
 تأليف : وليم شكسبير
 تأليف : كارلو جولدوني
 تأليف : أوجين لايش
 تأليف : يوجين يونسكو
 تأليف : لويجي بيرندلو
 تأليف : تشيكا ماتسبو
 تأليف : يوجين أونيل
 تأليف : جون آردن
 تأليف : وليم شكسبير
 تأليف : جانز كوبر - كولين فينيو
 تأليف : برانيسلاف نوشيتش
 تأليف : دنيسن جونسون
 تأليف : تيرانس راتيجان
 تأليف : فرانسواز ساجان
 تأليف : تشيكا ماتسو

- ١١٠ - الأم الشجاعة - تأليف : برتولت برشت
- السيد بنتلا وخادمه ماتي
- ١١١ - الغضب - الملك يموت - تأليف : يوجين يونسكو
- العطش والجوع
- ١١٢ - العاصفة - تأليف : وليم شكسبير
- ١١٣ - هكذا الدنيا تسير - تأليف : وليم كونجراف
- ١١٤ - الدراما الثورية الإسبانية - تأليف : ألفونسو ساستري
- فصيلة على طريق الموت -
- النطحة - الكهامة
- ١١٥ - مرحلة الواقعة الأولى - تأليف : يوجين أونيل
- رغبة تحت شجر الدردار
- ١١٦ - الآلة الجهنمية - تأليف : جان كوكتو
- ١١٧ - جيتس فون برلشجن - تأليف : يوهان فلفجلنج جيته
- ١١٨ - مأساة طيبة أو الشقيقان فيدر - تأليف : جان راسين
- ١١٩ - ليوكاديا - تأليف : جان انوي
- ١٢٠ - الشر يستطير - الصابرون - تأليف : جاك أوديرتي
- ١٢١ - مضيفة النزلاء - تأليف : جاك أوديرتي
- ١٢٢ - أسطورة دون كيشوت ١٩٦٨ - تأليف : بويرو بايغو
- ١٢٣ - حلم العقل - تأليف : بويرو بايغو
- ١٢٤ - مكبث - تأليف : وليم شكسبير
- ١٢٥ - القيثاره الحديدية - تأليف : جوزيف أوكنرو
- ١٢٦ - عائتي - الأشباح - تأليف : ادواردو دي فيليبو
- ١٢٧ - الزملاء الثلاثة - تأليف : جيمس بروم لين
- ١٢٨ - ممثل الشعب - تأليف : برانيسلاف نوفيتس
- ١٢٩ - الناشزون - تأليف : آرثر ميللر
- ١٣٠ - العائلة - خيال مريض - تأليف : إيفان سرجيفتش - فوجنيف
- ١٣١ - الكرز المزهر - تأليف : روبرت بولت
- ١٣٢ - توركوواتو تاسو - تأليف : يوهان فلفجلنج جيته
- ١٣٣ - مشهد في الطريق - تأليف : المررايس
- ١٣٤ - حبا بحب - تأليف : وليم كونجراف
- ١٣٥ - تحيا الملكة - تأليف : روبرت بولت
- ١٣٦ - لورانز الشو - تأليف : الفريد دي موسيه
- ١٣٧ - الإمبراطور جونز - الغوريلا - تأليف : يوجين أونيل
- ١٣٨ - هرقل فوق جبل أوبتا - تأليف : سينيكا

- ١٣٩ - دنيا زوال
١٤٠ - ميليت - السيد
١٤١ - قفزة في الخلاء أو - العجوز المراهق
١٤٢ - المستر دولار
١٤٣ - زوجة كريخ
١٤٤ - التطلع إلى المصيف -
مغامرات المصيف - العودة من المصيف
١٤٥ - اللصوص
١٤٦ - ثلاث قبعات كوبا
١٤٧ - القلب المحطم
١٤٨ - جريمة قتل في الكاتدرائية
١٤٩ - حفل كوكتيل
١٥٠ - نقيب كوبينيك
١٥١ - الآلة الكبير براون
١٥٢ - مختارات من المسرح الافريقي
- الخادم
- الزنزانة
١٥٣ - شهر في القرية
١٥٤ - الجدة الأولى
١٥٥ - المرحوم
١٥٦ - النمر والحصان
١٥٧ - حملة الدكتوراه
١٥٨ - فلهلم تل ١٨٠٤
١٥٩ - عيد الميلاد في بيت كويللو
١٦٠ - إنسان روسوم الآلي
١٦١ - أول من صنع الخمر -
ليلة تبكي الملائكة
١٦٢ - زواج لوترو هاديك
١٦٣ - سلطان الظلام
١٦٤ - الأعزب
١٦٥ - الأنسة روزيتا العانس أو لغة الزهور
١٦٦ - افيجينيا في أوليس -
افيجينيا في تاوريس
١٦٧ - أندرو ماخي - الطرواديات
- تأليف: مورس هارت - جورج كوفمان
تأليف: ليير كورني
تأليف: دونا ماكونا
تأليف: برانسيلاف نوشيتس
تأليف: جورج كيبي
تأليف: كارلو جولدوني
تأليف: فريدرش شلر
تأليف: ميغيل ميورا
تأليف: جون فورد
تأليف: ت. س. إليوت
تأليف: ت. س. إليوت
تأليف: كارل توكمير
تأليف: يوجين أونيل
تأليف: فرديناند أويونو
تأليف: هارولد كمل
تأليف: إيفان تورجينيف
تأليف: فرانس جريليا وتسر
تأليف: برانيسلاف نوشيتس
تأليف: روبرت بولت
تأليف: موريل سبارك
تأليف: فريدرش شلر
تأليف: ادواردو دي فيليبو
تأليف: كاريل تشايك
تأليف: تولستوي
تأليف: بيتر ليرسوف
تأليف: جول رومان
تأليف: إيفان تورجينيف
تأليف: فديريكو غريسيه لوركا
تأليف: يوربيديس
تأليف: يوربيديس

- ١٦٨ - سافو
١٦٩ - أصوات الأعماق
١٧٠ - أبوالهول الحي
١٧١ - الريفية
١٧٢ - الآلة الحاسبة
١٧٣ - الناسك الأسود
- ولد للموت
- الخروج
١٧٤ - مصرع كاسبر هاوزر
١٧٥ - الغابة
١٧٦ - الدكتاتور
١٧٧ - خاتمان من أجل سيدة
١٧٨ - انحراف في قصر العدالة
١٧٩ - أغسطس من أجل الشعب
١٨٠ - عابدات باخوس
١٨١ - ايون
١٨٢ - هيبوليتوس
١٨٣ - مارسيل بانيول
١٨٤ - عمود النار - الكلايدوسكوب -
نفير الضباب
١٨٥ - جريمة في جزيرة الماعز
١٨٦ - ميديا
١٨٧ - الفتى المذهب
١٨٨ - عصر الجليد
١٨٩ - الكذاب
١٩٠ - العدالة
١٩١ - أوبو ملكا
١٩٢ - أوبو عبدا
١٩٣ - أوبو فوق التل - أوبو زوجا مخدوعا
١٩٤ - ما ثمن المجد
١٩٥ - نجمة أشييلية
١٩٦ - وحش طوروس
١٩٧ - افعل شيئا يامت
١٩٨ - المتعاملون
- تأليف : فرانس جزيليارتسر
تأليف : إدواردو دي فيليبو
تأليف : رجب تشوسيا
تأليف : إيفان تورجينيف
تأليف : المرل . رايس
تأليف : جيمس نجوجي
تأليف : سام توليا موهيكا
تأليف : توم أومارا
تأليف : ديتر فورته
تأليف : الكسندر استروفسكي
تأليف : جول رومان
تأليف : أنطونيو جالا
تأليف : أوجوييتي
تأليف : نيغل دنيس
تأليف : يوربيديس
تأليف : يوربيديس
تأليف : يوربيديس
تأليف : طوباز
تأليف : راي برادبوري
تأليف : أوجوييتي
تأليف : بير كورني
تأليف : كليفوره أوديتس
تأليف : تانكرد دورست
تأليف : بير كورني
تأليف : جون جولزود ذي
تأليف : الفريد جاري
تأليف : الفريد جاري
تأليف : الفريد جاري
تأليف : ماكسويل أندرسون
تأليف : لوبي دي بيجا
تأليف : عزيز نسين
تأليف : عزيز نسين
تأليف : كوبيناسكي

- ١٩٩ - هرج ومرج في المنزل
٢٠٠ - الجزء الأول من حكاية الملك هنري الرابع
٢٠١ - الأشباح
٢٠٢ - البطة البرية
٢٠٣ - أعمدة المجتمع
٢٠٤ - نابولي مليونيرة
٢٠٥ - عطلة الإسكافي
٢٠٦ - الحبل المتهدل أو أغنية القطار الشبح
٢٠٧ - ماريوس
٢٠٨ - جثة حية
٢٠٩ - السكين الكبير
٢١٠ - الأرض الحرام
٢١١ - مذنبون بلا ذنب
٢١٢ - رحلة النهار الطويلة خلال الليل
٢١٣ - سيدات متقاعدات
٢١٤ - الهارب
٢١٥ - السحب - ١
٢١٦ - السحب - ٢
٢١٧ - مجانين واختصاصيون
٢١٨ - الموت وفارس الملك
٢١٩ - لون بشرتنا
٢٢٠ - توركاربه
٢٢١ - السيد دي ساد
٢٢٢ - الأيام الخوالي
٢٢٣ - الآلية
٢٢٤ - شروق الشمس
٢٢٥ - الحياة المديدة للملك أوزوالد -
المؤامرة
٢٢٦ - العاصفة الرعدية
٢٢٧ - الضوء يسطع في الظلام
٢٢٨ - سيدة الفجر
٢٢٩ - منحني خطر
٢٣٠ - توراندوت
٢٣١ - الجمعية الأدبية
- تأليف: كويشي كادي
تأليف: وليم شكسبير
هنريك إبسن
تأليف: هنريك إبسن
تأليف: هنريك إبسن
تأليف: ادواردو دي فيليبو
تأليف: توماس دكر
تأليف: فرناندو أربال
تأليف: مارسيل نانيول
تأليف: تولستوي
تأليف: كيلفورد أودتيس
تأليف: هارولد بنتر
تأليف: الكسندر استروفسكي
تأليف: يوجين أونيل
تأليف: ادوارد بيرسي وريجينالد دنهام
تأليف: جون جولدزوردي
تأليف: اريستوفانيس
تأليف: اريستوفانيس
تأليف: وول سوينكا
تأليف: وول سوينكا
تأليف: ثيلستينو جورستيثا
تأليف: آلان رينيه لوساج
تأليف: يوكيو ميشيما
تأليف: هارولد بنتر
تأليف: صوفي تريديويل
تأليف: تساويوي
تأليف: فيليمير لوكيتش
تأليف: الكسندر استروفسكي
تأليف: ليون تولستوي
تأليف: اليخاندرو كاسونا
تأليف: ج. ب. بريستي
تأليف: فريدريك شيلر
تأليف: هنري أفوري

- جواهر المعبد
- ٢٣٢ - فاوست - الجزء الأول - المقدمة
- ٢٣٣ - فاوست - الجزء الثاني - نص مسرحي
- ٢٣٤ - فاوست - الجزء الثالث - نص مسرحي
- ٢٣٥ - القفص - الانتحار
- ٢٣٦ - ملكة الليل في بحر حجري
- ٢٣٧ - افتتاحية الهاديء
- ٢٣٨ - كازانوف
- ٢٣٩ - نهذا تريزياس - لون الزمن
- ٢٤٠ - وظيفة مريجة
- ٢٤١ - مطعم القردة الحية
- ٢٤٢ - الخزان العظيم
- ٢٤٣ - كنت هنا من قبل
- ٢٤٤ - بيت آل روزمر
- ٢٤٥ - حورية من البحر
- ٢٤٦ - أيولف الصغير
- ٢٤٧ - بيركليس
- ٢٤٨ - حرية المدينة
- ٢٤٩ - بنات تراخيس
- ٢٥٠ - المرأة - اليقظ دائما
- ٢٥١ - البيت الذي شيده سويغت
- ٢٥٢ - ميدان بيركلي
- ٢٥٣ - مؤامرة الإمبراطورة
- ٢٥٤ - قضية روبرت أوبينهايمو
- ٢٥٥ - نساء لمن ماض
- ٢٥٦ - هيكابي
- ٢٥٧ - الناووس أو التابوت الحجري
- ٢٥٨ - نهاية اللعبة
- ٢٥٩ - سيمبلين
- ٢٦٠ - وداع في يونيو
- ٢٦١ - النبي المقنع
- ٢٦٢ - بلا لبس - دماء آل بامبيرغ
- ٢٦٣ - الرجل المنسي
- ٢٦٤ - باولو وفرانتشيسكا
- تأليف : جيمس اين هنشو
- تأليف : جيته
- تأليف : جيته
- تأليف : جيته
- تأليف : ماريو فراقي
- تأليف : يان سولوفيتش
- تأليف : جون ويدمان
- تأليف : جيووم أبولينير
- تأليف : جيووم أبولينير
- تأليف : السكندر استروفسكي
- تأليف : غونكور ديلمان
- تأليف : بيتر ترسون
- تأليف : ج . ب . بريستي
- تأليف : هنريك إبسن
- تأليف : هنريك إبسن
- تأليف : هنريك إبسن
- تأليف : وليم شكسبير
- تأليف : براين فرايل
- تأليف : سوفوكليس
- تأليف : جواد فهمي باشكوت
- تأليف : غريغوري غورين
- تأليف : جون بولدرستون
- تأليف : إلکسي تالستوي
- تأليف : هاينز كيههارت
- تأليف : ديميتري ديموف
- تأليف : يوربيديس
- تأليف : فلاجمير جوبريف
- تأليف : صمويل بيكيت
- تأليف : وليم شكسبير
- تأليف : الكسندر فامبيلوف
- تأليف : عبدالكريم الخطابي
- تأليف : جون أوزبورن
- تأليف : ناظم حكمت
- تأليف : ستيفن فيليبس

- ٢٦٥ - ليالي الغضب
 ٢٦٦ - لا
 ٢٦٧ - حمام روماني
 ٢٦٨ - المفتش
 ٢٦٩ - الرجل الأحزن
 ٢٧٠ / ٢٧١ - في انتظار جودو
 - الرحلة الجانية
 ٢٧٢ / ٢٧٣ - في سبيل الحرية
 - صحيفة الشيخ شربين
 ٢٧٤ / ٢٧٥ - عندما نبعث نحن الموتى
 - غرائب عندليب
 ٢٧٦ / ٢٧٧ - الجزيرة القرمزية
 - بريس جودونوف
 ٢٧٨ / ٢٧٩ - المؤامرة والحب
 - لا مزاح في الحب
 ٢٨٠ / ٢٨١ - سترة من المخملين
 - شارلوتا - عائشة
 ٢٨٢ / ٢٨٣ - شارع دوران
 - اقتسام الظهيرة
 ٢٨٤ / ٢٨٥ - العائلة الحزينة
 - في عرض البحر
- تأليف : أرمان مالاكرد
 تأليف : ماكس أوب
 تأليف : ستانسلان ستراتييف
 تأليف : نيقولا غوغول
 تأليف : بيرج زيتونتيان
 تأليف : صمويل بيكيت
 تأليف : مارتين فالسر
 تأليف : جوهر مراد
 تأليف : بهرام بيضائي
 تأليف : هنريك إبسن
 تأليف : تينسي ويليامز
 تأليف : ميخائيل بولغاكوف
 تأليف : ألكسندر بوشكين
 تأليف : فريدريش فون شلر
 تأليف : ألفريد دي موسيه
 تأليف : ستانيسلاف ستراتييف
 تأليف : شهابلق عيسى
 تأليف : آرمان سالاكرو
 تأليف : بول كلوديل
 تأليف : برانيسلاف نوشيتش

قسمة اشتراك



البيان		سلسلة المسرح العالمي		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
		د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	١٢	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	٦	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	١٦	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	٨	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	٥٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	٥٠	-
الأفراد في الدول العربية الأخرى	٢٥	-	١٥	-	١٥	-	١٥	٢٥	-
المؤسسات خارج الوطن العربي	١٠٠	-	٥٠	-	٥٠	-	٥٠	١٠٠	-
الأفراد خارج الوطن العربي	٥٠	-	٢٥	-	٢٥	-	٢٥	٥٠	-

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في : تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم :
العنوان :
اسم المطبوعة :
مدة الاشتراك :
المبلغ المرسل :
التوقيع :
نقدًا / شيك رقم :
التاريخ :

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت . وترسل على العنوان التالي :

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص . ب : ٢٣٩٩٦ - الصفاة - الرمز البريدي 13100
دولة الكويت

طبع في مطابع دار السياسة

العقد

قضية مسرحية العقد قضية إنسانية تسيطر على أجوائها حيلة ماهرة محكمة التدبير يستحيل تصديقها عقلانياً أو روحانياً ولكنها تنتشر انتشاراً واسعاً بين الناس ، فهي تعزف على الأوتار النفسية والمتغيرات الاجتماعية الجامعة فيسهل معها التعلق بشباك الأوهام والوقوع في أحابيل النصب والاحتيال .

وتقوم المسرحية على محورين أساسيين : محور المال والخداع ومحور التحاب والموت . والعلاقة في المحور الأول علاقة انتهازية متبادلة تقوم على ابتكار أساليب المكر والخداع للسلب والنهب ، وتقوم في المحور الثاني على ترقيع علاقات التراحم خوفاً من الموت وطمعاً في مضاعفة العمر ، والمحوران متداخلان ويدوران في إطار النزعات البشرية والعلاقات الإنسانية وارتباطهما بالروح المادية والحياة الوجدانية .

عمدة هي سانيتا

لاشك أن للعدالة مؤسساتها الشرعية والرسمية في كافة المجتمعات ، ولاشك أيضاً أنها تقوم أساساً على دساتير وقوانين توحد بين الناس ، وتنص على كفالة الحقوق وضمان وصولها لأصحابها ومستحقيها .

ولكن بعض الأقوياء لا يتورعون عن التلاعب بالقوانين وتسخيرها لصالحهم فيتسببون في إيجاد الظلم ، والظلم يولد التمرد ويفجر عدالة الضعفاء التي تسير جنباً إلى جنب مع العدالة الشرعية . ولذلك فإن المؤلف يوجه من خلال شخصية بطل المسرحية دعوة إلى المسئولين للاقترب من الشعب ومحاولة تفهمه ومعالجة ما يتعرض له من جراح . وفي نفس الوقت يوجه نداء إلى المجتمع الإنساني للتمسك بالقيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية .

سعر النسخة:

الكويت ودول الخليج	٥٠٠ فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولاراً أمريكياً
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكياً